

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
سلسلة مجمع البحوث الإسلامية
السنة التاسعة والأربعون ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

دفاعٌ عن القرآن ضد منتقديه

تأليف أ. د. عبد الرحمن بدوي
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة
ت. ٢٠٠٢ م

ترجمة / كمال جاد اللّه

دراسة وتقديم وتعليق
أ. د. محمد عمارة

إشراف
أ.د / محيي الدين عفيفي أحمد
أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

البدوي، عبد الرحمن
دفاع عن القرآن ضد منتقديه
الأزهر الشريف - مجمع البحوث الإسلامية
١- ماذا يعني الوصف (الأمي).
٢- الصابئون في القرآن.
٣- الألفاظ الأعجمية في القرآن.
٢٨٤ ص ، ٢٠ سم
العنوان: مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٢٧٧٦٣م

الترقيم الدولي: 978-977-205-233-2

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تصديــــــر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعائه واهتدى بهداه .. أما بعد،،،

فلقد كان الأزهر الشريف على مر تاريخه ـ ولا يزال ـ الحارس الأمين على الإسلام؛ عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، يؤدي رسالته، ويتحمل مسئوليته في المحافظة على الدين وتراثه وعلومه الشرعية والعربية وغيرها، حتى صار كعبة العلوم الدينية والعربية والثقافية في مصر والعالم، ومركز إشعاع روحي وديني وثقافي، ينشر مباديء وأخلاق الإسلام، ويوضح المنهج النبوي في مواقف الحياة المتنوعة بعيدًا عن التعصب الأعمى، أو الاضطهاد الفكري أو المادي، مراعيًا لظروف الناس وحاجاتهم، وكتب الله له القبول فتهيأت له النفوس على مدار عقود وقرون طويلة، فأصبح الجامعة الإسلامية الكبرى الفريدة في العالم بتاريخها وأهدافها ورسالتها ومنهجها ووسطيتها.

إن الأزهر الشريف يضطلع بمسئولياته ويواصل مسيرته العلمية في بيان حقائق الإسلام بمنهج وسطي معتدل يحترم التعددية الدينية والمذهبية والفكرية، ويعمل على تصحيح المفاهيم المغلوطة، لأجل حماية العقول من الغلو والتطرف والتسيب.

وانطلاقًا من هذه المسئولية كان الدور العظيم لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ أحمد الطيب في النهوض بالتبعات الملقاة على عاتق الأزهر الشريف في الداخل والخارج، ببيان حقائق الإسلام ومواجهة التطرف والإرهاب، وأهمية المجابهة الفكرية وبيان جهود الأزهر الشريف وجميع هيئاته حيث أكدّ فضيلته: أن الأزهر الشريف قد عاش أكثر من ألف عام - وسيظل - يُدرِّس المذاهب الفقهية، والمسائل الكلامية على افتراقها، والعلوم الإسلامية بمختلف أذواقها ومشاربها، لكن الأزهر قد وجد ضالته - منذ القدم - في مذهب أهل السنة والجماعة، واتخذه طوق نجاة للمسلمين كلما عضّتهم نوائب التشرذم وآفات التعصب المقيت لمذهب يراه أصحابه: هو الإسلام الذي لا إسلام غيره .. وسبيل الأزهر اليوم هو سبيله بالأمس: السعي الحثيث لجمع كلمة المسلمين، ووقوفهم صفًا واحدًا في مهب العواصف والتيارات.

إن الأزهر الشريف الذي يرفع راية «جمع الكلمة» بين المسلمين، لا يتردد في مقاومة موجات الإلحاد، والتغريب، والإفساد الأخلاقي، ولا يدخر جهدًا في مقاومة الانحراف التكفيري الطارئ، والمرفوض من جماهير الأمة الإسلامية قديمًا وحديثًا، وليس أمامه - من أجل تحقيق هذا الهدف - إلا مواصلة السعي - بصدق - لجمع علماء المسلمين على كلمة واحدة، لمواجهة الأخطار التي تهدد الجميع، ولتحقيق مصالح الأمة، ودرء المفاسد عنها، ومن دون هذا الالتقاء،

فإن النتائج لن تكون على النحو الذي نرجوه لأمتنا، وتقتضيه مصلحتها في هذه الظروف التي يمر بها العالم الآن[1].

هذا، وتتعاظم آمال وطموحات الناس حول الأزهر الشريف يومًا بعد يوم، وتتعالى صيحات النداء والفزع إليه ـ بعد الله تعالى – باعتباره الملاذ الآمن للمسلمين في العالم من الانحراف الفكري، والتطرف والإرهاب ، وقد عمل الأزهر الشريف على تلبية هذه النداءات وتحقيق الطموحات، وذلك بكل هيئاته ودواوينه ودوائره العلمية والمعرفية، ومنها: مجمع البحوث الإسلامية، الذي أسهم بجهود عظيمة في العطاء العلمي للأزهر الشريف من خلال دراسة القضايا العلمية المختلفة، إيمانًا منه بدوره العلمي في تصحيح المفاهيم الخاطئة، وبيان وسطية وسماحة الإسلام، وأهمية التيسير ورفع الحرج عن الناس.

إن ما قدمه مجمع البحوث الإسلامية ويقدمه في هذا الصدد ليؤكد جهوده الدؤبة في خدمة الحياة العلمية والعملية للمسلمين؛ في التنظيم، والتشريع، والثقافة، والحضارة، والاجتماع، والسلوك، والأحوال الشخصية، والمعاملات، وما إلى ذلك مما يدخل في صميم الحياة ومتطلباتها.

---

(١) كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أ.د/ أحمد محمد الطيب، في افتتاح مؤتمر خطورة الفكر التكفيري والفتوى بدون علم، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إن مجمع البحوث الإسلامية وهو يؤدي دوره باعتباره هيئة علمية وبحثية وثقافية ومعرفية بالأزهر الشريف، لا ينفصم عن واقع الناس والمشكلات والتحديات التي تحيط بهم، وظهور أنماط من السلوك وألوان من المعاملات تتطلب ضرورة بيان الرأي والشرعي والديني لها؛ حتى لا ينخدع الناس بالسييء منها، أو ينساقوا وراء الفكر المنحرف والفتاوى الشاذة التي تعاني منها مجتمعاتنا في ظل انتشار التطرف والإرهاب.

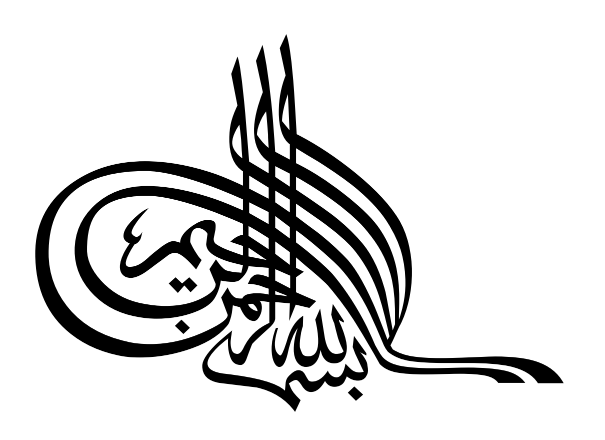
ومن المؤلم غاية الألم أن ترتكب جرائم باسم الإسلام وباسم شريعته السمحاء، وتُنفذ العمليات المدمرة مع صيحات التهليل والتكبير، ودعوى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، الأمر الذي استغله الإعلام الغربي أسوأ استغلال في تشويه صورة الإسلام، وتقديمه للعالم بحسبانه دينًا همجيًا متعطشًا لسفك الدماء وقتل الأبرياء، وأنه يحرض أبنائه وأتباعه على العنف والكراهية والأحقاد، وللأزهر موقف واضح في هذه القضايا قام بإعلانه وبيانه كأشد ما يكون البيان وضوحًا وجلاءً.

وانطلاقًا من دور المجمع ومسئولياته العلمية؛ فقد قام بإعادة طبع مجموعة من الكتب العلمية النافعة، والتي تتنوع موضوعاتها، وتلبي عددًا من احتياجات المرحلة الراهنة، حيث تشتمل هذه الكتب على قضايا ومسائل تتصل بالعقيدة، والشريعة، والأخلاق، والتفسير، وعلوم السنة النبوية، والثقافة الإسلامية في مجالاتها المختلفة؛ ليكون

الناس على بينة من أمرهم فيما يتعلق بالأمور الدينية والاجتماعية والأخلاقية، خاصة في ظل تراجع منظومة القيم الأخلاقية، وانتشار موجات التطرف والإرهاب والتكفير والإلحاد والتسيب والإنحلال، مما يستلزم معالجة هذه المسائل من خلال الفكر الوسطي الذي يعمل الأزهر الشريف على ترسيخه.

نسأل الله تعالى القبول، وأن يكون العمل خالصًا لوجهه تعالى، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية
أ.د/ محيي الدين عفيفي أحمد


بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

بطاقة حياة
الدكتور عبد الرحمن بدوي
(١٣٣٥ - ١٤٢٣ هـ - ١٩١٧ - ٢٠٠٢م)

- ولد بقرية شرباص، مركز فارسكور، بمحافظة دمياط، في ٤ فبراير سنة ١٩١٧م ـ ربيع ثاني سنة ١٣٣٥هـ ؛ لأسرة ريفية موفورة الثراء وثروتها الأساسية أراض زراعية.
- وحصل على شهادة الابتدائية من مدرسة فارسكور الابتدائية سنة ١٩٢٩م سنة ١٣٤٨هـ، وكان ترتيبه أول مدرسته ، وحصل على شهادة الكفاءة من مدرسة السعيدية ـ بالجيزة سنة ١٩٣٢م سنة ١٣٥١هـ ، ثم على شهادة البكالوريا سنة ١٩٣٤م سنة ١٣٥٣هـ ، وكان ترتيبه الثانى على جميع الحاصلين عليها بمصر في ذلك العام.
- ولقد بدأ التكوين الثقافي والفكري لعقله مبكرًا، وتحدث عن ذلك فقال: «لقد بدأ اهتمامي بالقراءة والدراسة والبحث عندما كنت دون العاشرة، حيث بدأت قراءتي لكتب المنفلوطي (١٢٩٣ - ١٣٤٢ هـ ـ ١٨٧٦ - ١٩٢٤م)، وكانت هذه القراءات من أشد الأشياء تأثيرًا في نفسى، وفي توجيهي إلى الأدب، والشعر منه خاصة، في إطار النزعة الرومانتيكية، وفي هذه السن ـ العاشرة ـ تنبهت إلى أن تحصيل

أكبر عــدد من اللغات هو أهــم أداة في يــد الباحث، ولهذا كنت وأنا في المدرســة الثانوية ـ أدرس الألمانية والإيطالية إلــى جانب اللغات المقــررة علينا وقتئذ، وهــي الإنجليزية والفرنســية، وكنت أقرأ صحيفتي «السياســة الأسبوعية» و «البلاغ الأسبوعى»، وفي الأولى يكتب محمد حسين هيكل (١٣٠٥ ـ ١٣٧٥هـ ١٨٨٨ - ١٩٥٦م) والدكتور طه حسين (١٣٠٧ - ١٣٩٣هـ ١٨٨٩-١٩٧٣م) وأســتاذي الشــيخ مصطفي عبدالــرازق (١٣٠٢-١٣٦٦هـ ١٨٨٥-١٩٤٦م) وأخوه الشيخ على عبد الرازق (١٣٠٥ -١٣٨٦هـ ١٨٨٧-١٩٦٦م)، وفي الثانية كان الأستاذ العقاد (١٣٠٦ - ١٣٨٤هـ ١٨٨٩-١٩٦٤م) هو الكاتــب الأول، والمازني (١٣٠٦ - ١٣٦٨هـ ١٨٨٩ - ١٩٤٩م) هو الكاتب الذي يشد الانتباه، وأعترف أن لهؤلاء جميعًا كبير الفضل في توجيه اســتعدادي للاطلاع».

- ولقــد التحق عبــد الرحمن بــدوي بكليــة الآداب ـ جامعة فؤاد الأول ـ القاهرة الآن ـ ، واختار قســم الفلسفة، وحصل على الليســانس الممتازة في مايو ســنة ١٩٣٨م ـ ربيع أول ١٣٥٧هـ ، وكان ترتيبه الأول على جميع طلاب الكلية طوال السنوات الأربع.

- وفي كليــة الآداب تتلمذ على «ألكســندر كواريه (١٨٩٢-١٩٦٤م) ـ وهو أســتاذ فرنســي صاحب مؤلفات في تاريخ

العلوم وفي الفلســفة الألمانية، وعلى الفليســوف الفرنسي «أندريــه لالانــد» (١٨٦٧-١٩٦٣م)، وعلــى عالم النفس «برلو» ــ الأســتاذ بجامعــة «رن»، وعلى الشــيخ مصطفي عبدالــرازق ـ الذي تأثر به الدكتور بدوي، حتى وضعه ـ دون المسلمين المعاصرين ـ بين الفلاسفة، ووصفه بأنه «كان مثلاً كاملا للإنســان، نبالة نفس ومكارم أخــلاق، كما كان عالما بالعلوم الإسلامية، متعمقًا في قراءة النصوص الإسلامية، مع إلمام بالفكر الأوربي» وهو وصف لم يجد به الدكتور بدوي ـ ولا بعشر معشاره ـ على أحد من معاصريه!.

- وفي الفلســفة ـ التــي تخصص فيها الدكتــور بدوي، والتي قدم فيها رســالته للماجستير عن (مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية) سنة ١٩٤١م سنة ١٣٦٠ هـ، ورسالته للدكتوراه عن (الزمان الوجودى) ســنة ١٩٤٤م ســنة ١٣٦٣هـ ـ تأثر بالوجودية ـ وجودية الفيلســوف الألمانى «هيدجر» (١٨٨٩ - ١٩٧٦م) ـ مــع الاهتمام بالنزعــة الديناميكية التي تجعل للفعل أولوية على الفكر والتي تستند في استخلاصها لمعانى الوجود إلى العقل والعاطفة والإرادة معًا، وإلى التجربة الحية، وعلى ملكة الوجدان بوصفها أقدر ملكات الإدراك على فهم الوجود الحى.

ولقــد تحدث الدكتــور بدوي عــن توجهه إلى الفلســفة الوجودية فقال: سافرت سنة ١٩٣٧م للدراسة في جامعة ميونخ،

فتوافرت لي قراءة مؤلفات «هيدجر»، رائد الفلسفة الوجودية الحديثة، وزميله «كارل ياسبرز» (١٨٨٣-١٩٦٩م)، وينتج عن ذلك أن بدأت أرى الوجودية خير مذهب فلسفي يطابق روح العصر، ويعبر عن حال الإنسان، ويهتم بكل ما يتعلق بالأحوال الإنسانية، ومن هنا يمكن أن يقال إن تفكيرى الفلسفي الخاص بالوجودية قد نبع من منبعين : فلسفة «هيدجر» من ناحية، ونزعات «نيتشة» (١٨٤٤-١٩٠٠م) من ناحية أخرى».

- ولقد عين الدكتور بدوي معيدًا بقسم الفلسفة بكلية الآداب في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨م شعبان سنة ١٣٥٧ هـ، وتولى مساعدة الأستاذ «لالاند» فيما كان يلقيه من دروس في مادتى «مناهج البحث» و «ما بعد الطبيعة»، ومنذ يناير سنة ١٩٣٩م قام بتدريس تاريخ الفلسفة اليونانية، وشرح نصوص فلسفية بالفرنسية لطلاب قسم الفلسفة، وكذلك تدريس المنطق، ونصوص في الفلسفة اليونانية.
- ثم عين مدرسًا للفلسفة في إبريل سنة ١٩٤٥م ـ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤هـ، ثم رقي أستاذًا مساعدا في يوليو سنة ١٩٤٩م ـ رمضان سنة ١٣٦٨هـ.
- وفي المدة من سنة ١٩٤٧م إلى سنة ١٩٤٩م - ١٣٦٦ - ١٣٦٨ هـ ـ عمل أستاذًا للفلسفة الإسلامية بكلية الآداب العليا ـ بالجامعة الفرنسية ـ ببيروت ـ التابعة لجامعة ليون بفرنسا.

- وفي صيف سنة ١٩٥٠م سنة ١٣٦٩هـ انتقل الدكتور بدوي للتدريس بجامعة عين شمس، فأنشأ فيها قسم الفلسفة ، وتولى رئاسة هذا القسم إلى أن ترك هذه الجامعة سنة ١٩٧١م ١٣٩١هـ ، وكان قد رقي لدرجة الأستاذ في يناير سنة ١٩٥٩م ـ رجب سنة ١٣٧٨هـ.
- كما عمل مستشارًا ثقافيًا ومديرًا للبعثة التعليمية ببرن ـ في سويسرا ـ من سنة ١٩٥٦م سنة ١٣٧٥ هـ إلى سنة ١٩٥٨م ـ سنة ١٣٧٧هـ .
- وفي فبراير سنة ١٩٦٧م ـ ذى القعدة سنة ١٣٨٦هـ ـ انتدب أستاذًا زائرًا في قسم الفلسفة بمعهد الدراسات الإسلامية بكلية الآداب ـ بالسوربون ـ في باريس ـ وحتى مايو سنة ١٩٦٧م ـ صفر سنة ١٣٨٧هـ .
- ومن سنة ١٩٦٧م ١٣٨٧هـ حتى ١٩٧٣م ١٣٩٣هـ عمل أستاذًا للمنطق والفلسفة في كلية الآداب ـ بالجامعة الليبية ـ ببنغازى ـ وهناك تعرض لمحنة الاعتقال من قِبْل نظام العقيد معمر القذافي (١٩٤٢ـ ٢٠١١م) فتدخلت مصر، وطلب الرئيس السادات (١٩١٨ ـ ١٩٨١م) الإفراج عنه.
- وفي العام الدراسى سنة ١٩٧٣م ـ سنة ١٩٧٤م عمل أستاذًا بكلية الإلهيات والعلوم الإسلامية بجامعة طهران ، وفيها درس التصوف الإسلامي والفلسفة الإسلامية لطلاب الدراسات العليا، وحاضر أساتذتها وطلابها في التصوف الإسلامي.

- وفي سبتمبر سنة ١٩٧٤م ـ رمضان سنة ١٣٩٤هـ ، انتقل إلى جامعة الكويت أستاذًا للفلسفة المعاصرة والمنطق والأخلاق والتصوف بكلية الآداب.
- ولقد أجاد الدكتور بدوي ـ إلى جانب العربية ـ اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والإسبانية والإيطالية واللاتينية واليونانية، وكتب بها الكتب والأبحاث والمقالات ـ التي بلغت المئات.
- كما عاش راهبا في محراب الفكر متخذا من المكتبات والمراجع أسرته، ولقد اعتاد ـ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ـ وبعد الفراغ من تصحيح أوراق الامتحانات في الجامعة ـ أن يطير ليقضى ثلاثة أشهر على الأقل في باريس وأوروبا (خصوصًا هولندا وإسبانيا) للاطلاع على المخطوطات، وكانت حياته بباريس بين المكتبة الوطنية وبين تلاميذه، ولقاء كبار المفكرين والأدباء والرسامين.
- وفي السياسة الوطنية كان الدكتور بدوي عضوًا بحزب «مصر الفتاة» ما بين عامى سنة ١٩٣٨م سنة ١٣٥٧هـ وسنة ١٩٤٠م سنة ١٣٥٩ هـ، ثم عضوا في اللجنة العليا للحزب الوطنى الجديد من سنة ١٩٤٤م سنة ١٣٦٣هـ حتى سنة ١٩٥٢م سنة ١٣٧١هـ .
- ولقد اختير عضوا بلجنة الخمسين التي عهد إليها سنة ١٩٥٣ سنة ١٣٧٢هـ بوضع دستور جديد لمصر بدلاً من دستور سنة ١٩٢٣م، الذي ألغته ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م.

- ولقـــد انتهي المطـــاف بالدكتور بدوي إلـــى الإقامة بباريس في الســـنوات الأخيرة من حياته ، وهناك واجه صعود ظاهرة العداء للإســـلام، التي عمت الكثير من المجتمعات الغربية، وخاصـــة بعد ســـقوط المنظومـــة الشـــيوعية، وتوحد قبضة الحضارة الغربية، واتخاذها الإسلام عدوًا أحلته محل الخطر الشـــيوعى الأحمر، فكان ختـــام حياته الفكريـــة بالدفاع عن الإســـلام والقرآن ونبي الإســـلام ﷺ مفندًا الجذور الفكرية الاستشـــراقية التي تغـــذى ظاهرة «الإســـلاموفوبيا»، وذلك بعد أن عاش ردحًا من الزمن ينشـــر في الثقافة العربية مناهج الاستشراق والمستشرقين.
- فقبيل ســـقوط الشـــيوعية، نشـــر الرئيس الأمريكى «ريتشارد نيكســـون» (١٩١٣ - ١٩٩٤م) ـ وهو مفكر اســـتراتيجى ـ كتابه (الفرصة الســـانحة) الذي أعلن فيه الحرب الغربية على الأصولية الإسلامية ـ التي تدعو ـ حسب رأيه ـ إلى:

- اســـترجاع الحضارة الإسلامية الســـابقة، عن طريق بعث الماضى، لاتخاذه هداية للمستقبل.
- والسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.
- واتخاذ الإسلام دينًا ودولة[1]

(١) نيكســـون [الفرصة الســـانحة] صـ ١٤٠ ترجمة : د. أحمد صدقى مراد ـ طبعة دار الهلال ـ القاهرة سنة ١٩٩٢م.

• وفور سقوط الشيوعية ـ الخطر الأحمر ـ قرر الغرب الإمبريالى الرأسمالى، اتخاذ الإسلام عدوًا بديلاً للخطر الأحمر ـ وشن عليه حملة واسعة من الكراهية والتخويف والتزييف، فكتبت مجلة [شئون دولية] ـ التي تصدر بلندن عن جامعة كمبردج ـ تقول: «لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفييتى، وبالنسبة لهذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول!، فالإسلام مقاوم للعلمنة، وسيطرته على المؤمنين به قوية، وهي أقوى الآن عما كانت من مائة سنة مضت، لذلك فهو، من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ليس لسبب سوى أن الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلى وحقيقى لمجتمعات يسودها مذهب اللا أدرية، وفتور الهمة واللامبالاة، وهي آفات من شأنها أن تؤدى إلى هلاك تلك المجتمعات ماديًا، فضلاً عن هلاكها المعنوى»[٢]

• ولقد تبارى المفكرون الاستراتيجيون الغربيون في التحذير من الإسلام، وفي تأجيج نيران العداء له، وإعلان الحرب عليه، فكتب «فوكوياما» يقول: «إن الإسلام هو الحضارة الوحيدة في العالم التي ترفض الحداثة الغربية، ومبدأها الأكثر أساسية وهو العلمانية، وإن الصراع الحالى ليس ضد

(٢) مجلة [شئون دولية] عدد يناير سنة ١٩٩١م.

الإرهاب، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي ترفض الحداثــة والدولة العلمانية، وهذا الصراع يمثل تحديا أيديولوجيًــا، هو في بعض جوانبه أكثر أساســية من الخطر الذي شكلته الشيوعية»!

- ولقد انضم «فيلسوف صدام الحضارات» «صموئيل هنتجتون» [١٩٢٧-٢٠٠٨م] إلــى «فوكوياما»، وأعلنــا ضرورة قيام «حرب داخل الإسلام، حتى يقبل الحداثة الغربية، والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي: فصل الدين عن الدولة»![٣]

- ويعلــن الكاردينال «بول بوبار» مســاعد بابا الفاتيكان ـ : «أن الإســلام يشــكل تحديا لأوربا وللغرب عمومــا، وأن هذا التحدى يكمــن في أنه دين وثقافة ومجتمع وأســلوب حياة وتفكير وتصرف، في حين أن المســيحيين في أوروبا يميلون إلى ـ تهميش الكنيسة ـ أمام المجتمع»[٤]

- ويعلن المونســنيور «جوزيبــى برنارديني» فــي حضرة بابا الفاتيكان ـ : «أن العالم الإســلامي لديه برنامج للتوســع في أوربا وهو يريد أن يفتحها فتحا جديدًا»[٥]!

- وتنصح مراكز الدراسات الغربية ـ وفي المقدمة منها «مؤسسة راند» الأمريكية ـ صانع القرار الغربى بالاعتماد على الحداثيين

---

(٣) مجلة [نيوزويك] ـ الأمريكية ـ العدد السنوى ـ ديسمبر سنة ٢٠٠١ ـ فبراير سنة ٢٠٠٢م.
(٤) صحيفة [الشرق الأوسط] ـ لندن في ١ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م.
(٥) المرجع السابق، في ١٣ ـ ١٠ ـ ١٩٩٩م.

والعلمانيين في العالم العربى والإســلامي، لاستخدامهم في الصراع ضد الإسلاميين الأصوليين والراديكاليين!.

- ويجــد الدكتور عبد الرحمن بــدوي كل معالم هذه الحرب على الإســلام ـ في فرنســا والغرب في السنوات التي عاشها هناك، وفي مواجهــة هذه التحديات انتفــض عقل الدكتور بــدوي، فعاد بكل كيانه إلى أصالتــه الحضارية، وبدأ مرحلة إيابه الفكريّ ودفاعه عن الإسلام، والقرآن، ورسول الإسلام ﷺ ، ويومها قال: «إن عنصرية الغربيين ضد الإسلام واضحة، فالغرب، فيما يتعلق بالإسلام، يكيل ليس بمكيالين فقط، بل بعشــرة أو ربما بمائة مكيال ، فهو أكثر عنصرية ووحشية مع الإسلام مما يمكن أن نتصور ، وفي مكتبات باريس عشرات الكتب التي تقطر سما على الإسلام، بل إن الكتابة في الإسلام قد أصبحت حكــرا على ذوى الخط الأعــوج! ، إن كل من هب ودب من الغربيين بات يعطى نفســه الحق في الحديث عن الإســلام، وترجمة قرآنه المجيد، ولقد تألمت كثيرًا لأن باحثًا يهوديًا يدعي «أندريه شــوراكى» (كان يشــغل منصب عمدة القدس) قام بوضع ترجمة للقرآن الكريم هي عار على الترجمــة والمترجمين في كل زمان، لأنها مليئة بالاعتداءات الصارخة على قداســة النص القرآني!، إن الغرب لا يريد أن يفهم من الإســلام إلا ما يريد هــو أن يفهمه، ولذلك يرحب ويفســح المجال أمام ترجمــة مؤلفات الكتــاب العلمانيين

دون غيرها، إنهم يحرصون على ترجمة مقالات الكتاب العلمانيين، أمثال فرج فودة وسعيد العشماوى وفؤاد زكريا ـ التي جمعها وترجمها من العربية إلى الفرنسية المستشرق جيل كيبيل.

ولقد لاحظت أن حياة النبي ﷺ أصبحت تلوكها ــ عن علم أو عن غير علم ـ ألسن الأدعياء من الكتاب الغربيين، ولذلك أردت أن أقطع عليهم هذا العبث، فقمت بترجمة ـ السيرة النبوية لابن هشام، وأنفقت فيها عامين كاملين من العمل المتواصل.

وبهذه الترجمة أكمل سلسلة الكتب التي أدافع بها عن الإسلام ـ بالفرنسية ـ وأهمها : [دفاع عن القرآن ضد منتقديه] سنة ١٩٨٩م و [دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره] سنة ١٩٩٠م.

إن هناك جرأة جهولة حمقاء عند هؤلاء الكتاب الأجانب، الذين يجهلون العربية، مع معلومات ضحلة عن المصادر الإسلامية، وسيطرة الحقد الدفين لديهم ضد الإسلام، ونقلهم الأكاذيب والافتراءات حول القرآن والإسلام بعضهم من بعض، والتزامهم التبشيرى الشديد التعصب والاجتراء على الإسلام، لذلك كرست جهودى في السنوات الأخيرة للدفاع عن الإسلام، وتصديت بالتفنيد والتحليل لكل الكتابات الغربية المغرضة.

وأعتزم كتابة دراسة نقدية لكل الترجمات الفرنسية التي صدرت عن القرآن الكريم في السنوات العشر الأخيرة».

- كذلك وجد الدكتور بدوي - بباريس - نماذج من الأساتذة والباحثين «العرب» الذين سقطوا في غواية الاستشراق الغربى، فأصبحوا خدمًا لهذه المخططات الاستشراقية - ومن هؤلاء د. محمد أركون - الذي قال عنه الدكتور بدوي: «.. وهل لأركون من رسالة سوى تشويه التراث الإسلامي؟!، إنه تلميذ في مدرسة الاستشراق الاستعمارى الكبرى التي تضع نصب عينيها كهدف ثابت تشويه الإسلام والإساءة إلى نبيه والطعن في قرآنه المجيد، وهو يحيط نفسه بمزاعم معرفية لا أساس لها، وهو مشكوك في وطنيته، لقد جنى على الفكر العربى جناية لا تغتفر، ولقد كتب مقدمة لترجمة «كازيمسكى» للقرآن الكريم حوت أخطاء ومغالطات لا تكاد تغتفر لدارس مبتدئ في تاريخ الفكر الإسلامي»!

- وفي باريس، رفض الدكتور بدوي استقبال أستاذ مصرى للفلسفة، معللاً ذلك بأن هذا الأستاذ «قد اعتنق النصرانية لمدة لا تقل عن عشر سنوات عندما كان يدرس في فرنسا وكان ينام الليل والنهار في الدير لا يبرحه»!!

هكذا انتفض عقل الدكتور عبد الرحمن بدوي، وانتفض وجدانه، فعاد إلى أصالته الحضارية، مدافعًا عن الإسلام وعن القرآن وعن رسول الإسلام ﷺ.

• وقبل شــهر من وفاته ـ التي جاءت فــي ٢٥ ـ ٧ ـ ٢٠٠٢م – ١٥ جمادى الأولى ســنة ١٤٢٣هـ وهو على فراش المرض ـ أجــرت معه مجلة [الحــرس الوطنى] الســعودية ـ حوارًا أعلن فيه صراحة إيابه الفكرى إلى الإســلام وحضارته، وطيه لصفحة الوجودية التي اســتغرقت من حياته عدة عقود ، وفي هذا الحوار سأله مندوب المجلة:

– ماذا تود أن تقول وأنت على فراش المرض؟

– لا أســتطيع أن أعبر عما بداخلى من إحساس الندم الشديد، لأننى عاديت الإســلام والتــراث العربى لأكثــر من نصف قرن، أشــعر الآن أننى بحاجة إلى من يغسلنى بالماء الصافي الرقــراق، لكى أعود من جديد مســلمًا حقًــا، إنني تبت إلى الله وندمت على ما فعلت، وأنوى إن شــاء الله ـ بعد شفائى ـ أن أكــون جنديًا للفكر الإســلامي وللدفــاع عن الحضارة التي شــادها الآباء والأجداد، والتي ســطعت على المشارق والمغارب لقرون وقرون.

– وهل تبرأت من كتاباتك الســابقة عــن «الوجودية» و «الزمن الوجودى» وعن كونك رائد الوجودية في الوطن العربى؟!

– نعم، أي عقل ناضج يفكر لا يثبت على حقيقة واحدة، ولكنه يتساءل ويستفسر ويطرح أسئلته في كل وقت، ويجدد نشاطه باستمرار، ولهذا، فأنا في الفترة الحالية أعيش مرحلة القرب

من الله تعالــى، والتخلى عن كل ماكتبت مــن قبل من آراء تتصادم مع العقيدة والشــريعة، ومــع الأدب الملتزم بالحق والخير والجمال، فأنا الآن، هضمت تراثنا الإســلامي قراءة وتذوقًا وتحليلاً وشرحًا وبدا لي أنه لم يتأت لأمة من الأمم مثل هذا الكم الزاخر النفيس من العلم والأدب والفكر والفلســفة لأمة الضاد!! كما أنى قرأت الآداب والفلســفات الغربية في لغاتهــا الأم، مثل الإنجليزية والفرنســية واللاتينية والألمانية والإيطالية، وأستطيع أن أقول إن العقل الأوروبى لم ينتج شيئًا يستحق الإشــادة والحفاوة مثلما فعل العقل العربى!!، وتبين لي في النهاية ـ الغى من الرشاد، والحق من الضلال.

- وماذا تنوى أن تقدم من مشــاريع فكرية في المستقبل؟ وهل ستعود إلى باريس ثانية؟

- مشــاريعى الفكرية القادمة إن شــاء الله تتجــه وجهة فكرية أخــرى، تميل إلــى الأصالة بعد أن افتضحــت «المعاصرة» وغزاها الجحود والتخلف والتعقيد.

وأنا من الباحثين عن أســس مرجعية للحضارة الإســلامية، وبصدد تأليف كتاب يكون مرجعا لمعالم الحضارة في الإسلام، ســماتها، أســماؤها، معالمها، اتجاهاتها، شــخصياتها، أبرز علمائها، إلخ.. وهناك كتاب آخر عن الأدب والعقيدة دراســة في نماذج مختلفة وغير ذلــك من الموضوعات التي تمتاح من الأصالة وتتعمقها وتنشر بها أصلاً ونبراسًا وطريقًا لا مناص ولا

محيد عنه، وربما أعود إلى باريس ثانية.

- خلافك مع كبـار المفكرين كالدكتور طه حسـين، وقولك إنه لم يقدم ما يستحق عليه لقب «عميد الأدب العربى»، هل مازلت مصرا عليه؟!

- نعـم، وليقارن القارئ والباحث بين إنتاج طه حسـين وإنتاج معاصريه، كالرافعى مثلا، ذلك الأديب الكبير المظلوم، الذي يمتلك قدرات ومؤهلات أدبية وفكرية خارقة وصاحب قلم رشـيق، وخيال خصب، وعبارات مبتكـرة، وكتابات توزن بميزان الذهـب، بينما نجد على النقيض أعمال طه حسـين الضاربة في اتجاه معاداة الإسـلام واللغة العربية والدعوة إلى الفكر الغربى، ثقافة وأدبا[٦]!!

- ومـا رأيك في الحداثة بعد أن افتضـح أمرها، وثارت حولها القصص والحكايات بشأن التمويل والعلاقات المشبوهة مع المخابرات الغربية؟!.

- الحداثة ماتت في الغرب في السبعينيات، لكننا أحييناها على ترابنا، وفي جامعاتنا ومعاهدنا، وفي منتدياتنا الفكرية والثقافية والأدبية، وعادينا من أجلها تراثنا العظيم، وشعرنا العمودى، وفكرنا القويم، وخضنا بسـببها حروبا طاحنة، واشـتباكات

(٦) لقد كان لطه حسـين ـ هو الآخر ـ إياب إلى الإسلام ـ لم يتابعه الدكتور بدوي ـ انظر كتابنا [طه حسـين من الانبهار بالغرب إلى الانتصار للإسـلام] ملحق مجلة [الأزهر] عدد ذى القعدة سنة ١٤٣٥هـ وطبعة دار الفكر العربى ـ القاهرة سنة ٢٠١٥م.

فكرية لاطائل من ورائها!، ولم يفطن أدباؤنا ولا مفكرونا إلى حقيقتها وإلى أوزارها ومساوئها إلا بعد صدور هذا الكتاب [الحرب الباردة الثقافية، دور المخابرات المركزية الأمريكية في الثقافة والفن] الذي أحدث صدمة قوية بالنسبة لهؤلاء المتغربين، فاقتنعوا أخيرًا بما كنا نقوله من قبل!

- يهاجم الجميع العولمة، لما يكتنفها من هيمنة وغزو وسيطرة، ومحق لثقافات وتوجهات وهويات الآخرين الحضارية، فما رأيك في ذلك؟!

- العولمة، شبح يريد الفتك بنا جميعًا، فهي وحش كاسر يتربص بالعالم كله، لكى يستحوز عليه ثقافيًا وفكريًا وحضاريًا واقتصاديًا وعسكريًا، وهي استعمار جديد، وهيمنة غربية على مقدرات العالم، ولعقوله وأفكاره وأمواله!، ويجب أن نتصدى لها، وأن نفيق لمخططاتها الجهنمية!.

- وهل تقدرون مغبة عودتك الحميمة للإسلام، بالنسبة للحداثيين والعلمانيين الذين سيشنون حربًا شرسة ضدكم؟!

- ما دمت قد هاجمت الأصلاء وعرضت بهم وبإنتاجهم لسنين وسنين، فما المانع أن أذوق من نفس الكأس، وأن أشرب منه، بعد أن تسببت في تجرع الكبار من هذه الكأس من قبل؟!، وأنا سعيد بأن يهاجمنى الوجوديون والعلمانيون والشيوعيون، لأن معنى ذلك أنى أسير على الحق، وأننى على صواب، ولا أكترث بما يكتبون، لأن القافلة تسير، والكلاب تنبح!!

- وماذا تتمنى في هذه اللحظة؟!

- أتمنى أن يمد الله في عمرى، لأخدم الإسلام، وأرد عنه كيد الكائدين، وحقد الحاقدين»[٧].

• رحم الله الدكتور عبد الرحمن بدوي، الذي مثل - في عالم الفكر - مؤسسة فكرية كبرى، والذي مثل - في عالم الشجاعة الأدبية والإياب الفكرى - نموذجًا في الانتصار للحق جديرًا بالاحتذاء.

• والذي ترك وراءه - غير مئات المقالات وآلاف المحاضرات والعديد من التلاميذ - مؤلفات ومترجمات وتحقيقات زاد عددها على المائة والخمسين، ومنها[٨]:

قائمة بأعمال د. عبد الرحمن

---

(٧) مجلة [الحرس الوطنى] - السعودية - العدد ٢٤٤ - في ١/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

(٨) انظر في ترجمة الدكتور بدوي:

(أ) [موسوعة الفلسفة] للدكتور بدوي - جـ١، جـ٢ طبعة بيروت سنة ١٩٨٤م.

(ب) [موسوعة المستشرقين] للدكتور بدوي - طبعة بيروت سنة ١٩٨٤م.

(ج) د. سعيد اللاوندى [عبد الرحمن بدوي: فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام] - مركز الحضارة العربية - القاهرة سنة ٢٠٠١م.

- [وفي المرجع الأخير - تفاصيل حياة الدكتور بدوي إبان سنوات إقامته بباريس، وكان الدكتور اللاوندى شاهدا عليها].

أعماله الأجنبية:

	السنة	
1. Autobobiorafia De Ibn Arabi	1955	
2. Le Probleme de la dans la Philosophie Existencielle	1964	رسالة الماجستير والتي نشرت بالفرنسية أصلا، ولم يتم ترجمتها إلى العربية
3. La trausmission de la philosophie greeque au monde arabe	1968	
4. Philosophie et Theologie de l'Islam a l'epoqae classique – in Philosophie	1972	
5. Histori de la Philosophie en Islam-2 Tomes	1972	
6. Storia Deila Filosofia- La Filosofia Medievale (with Anouar Abdel Malek, Benedykt Grynas, Pairrick Hodhart, Jean Pepin)	1976	ميلانو نشر في
7. Quelques figures et thèmes de la [hilosophie islamique	1979	
8. Milenario de Avicena	1981	
9. Ghazali, La raison et Le miracle	1987	

10. Aristotle Aujourdhui	1988	
11. De`fense du Coran Contre ses critiques	1989	
12. De`fense du la via du Prophe`te Muhammad contre ses De`tracteurs	1990	
13. Averroes – Ibn Rushd	1999	
14. Muhammad	2001	

أعماله العربية (مؤلفات ومترجمات)

	السنة	
١ – ابن رشـد: تلخيص القياس لأرسطو (السلسلة التراثية ١٧)	1988	
٢ – ابـن عربى : حياتـه ومذهبه: اسين بلاتيوس	1965	
٣– أجزاء الحيوان لأرسطو	1978	
٤ – آداب الفلاسـفة: حنيـن ابن إسحق	1985	
٥ – أرسطو	1944	
٦ – أرسـطو عند العرب: دراسة ونصوص غير منشورة	1947	
٧– أرسطوطاليس: في السماء والآثار العلوية (الجزء الأول)	1961	

٨- أسفار اتشيلد هارولد: بيرن	1944	
٩- اشبلنجر	1945	
١٠- أفلاطون	1943	
١١- أفلاطون في الإسلام	1973	طائفة من نصوص أفلاطون، الصحيحة والمحولة، التي ترجمت إلى العربية في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد).
١٢- أفلوطين عند العرب	1955	
١٣- الأخلاق النظرية	1975	
١٤- الأخلاق	1977	
١٥- الأخلاق عند كنت	1979	
١٦- الأدب الألمانى في نصف قرن	1994	
١٧- الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدي	1950	
١٨- الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام	1954	
١٩- الأفلاطونية المحدثة عند العرب	1955	
٢٠- الأنساب المختارة: جيته	1945	

٢١- الإنسان الكامل في الإسلام	1950	
٢٢- الإنسانية والوجودية في الفكر العربى	1947	
٢٣- البرهان من كتاب الشفاء لابن سينا	1954	
٢٤- التراث اليونانى في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين	1940	
٢٥- التعليقات لابن سينا	1972	
٢٦- الحكمة الخالدة: مسكويه	1952	أدب الأمثال والحكم والمواعظ، فيه من النفع بقدر ما فيه من الضرر
٢٧- الحور والنور	1951	
٢٨- الخطابة: أرسطوطاليس	1959	
٢٩- الخوارج والشيعة (أحزاب المعارضة الدينية السياسية في صدر الإسلام): فلهوزن	1958	
٣٠- الديوان الشرفي للمؤلف الغربى (جيته)	1944	
٣١- الزمان الوجودى	1945	
٣٢- الطبيعة لأرسطو (جزآن)	1965	

٣٣- الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقى من الفتح العربى حتى اليوم لألفرد بل	1969	الواقـع الاجتماعـى، والدينـي والتعليمى للشمال الأفريقي، مع ذكر أهـم التيـارات والمذاهب الموجودة قبل الفتح الإسلامي.
٣٤- أوبرا القروش الثلاثة - لوكلوس - بعل	1977	
٣٥- الفلسفة القورنثائية أو مذهب اللذة	1969	
٣٦- الفلسفة والفلاسفة في الحضارة العربية	1993	
٣٧- اللصوص: فريدريش شيلر	1981	
٣٨- المؤامرة والحب	1994	
٣٩- المثاليـــة الألمانيـــة (جزء 1) شلنج	1965	
٤٠- المثل العقلية الأفلاطونية	1947	
٤١- المدرسة القورنيائية	1969	
٤٢- المنطـق الصـورى و ا لر يا ضـى	1962	
٤٣- الموت والعبقرية	1945	
٤٤- النقد التاريخى	1963	
٤٥- الوجود والعدم - سارتر	1966	

٤٦- إلى طه حسين في ميلاده السبعين دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه بإشراف عبدالرحمن بدوي	1962	
٤٧- أمانويل كنت	1976	
٤٨- اندين فوكية	1944	
٤٩- تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثانى	1975	
٥٠- تاريخ الفلسفة في ليبيا (الجزء الأول) كرنيادس القورنيائى	1971	
٥١- تاريخ الفلسفة في ليبيا (الجزء الثانى) سونسيوس القورنيائى	1971	
٥٢- تاريخ العالم (أوروسيوس): الترجمة العربية القديمة	1982	
٥٣- تراجيديات اسخولوس	1996	
٥٤- تراجيديات سوفقليس	1996	
٥٥- تلخيص الخطابة لابن رشد	1960	
٥٦- توركواتو تاسو: جيته	1980	
٥٧- جون لوك: رسالة في التسامح	1988	التسامح والتعايش بين فئات المجتمع، وفرقه الدينية، وتحديد سلطة الكنيسة والحكومة.

٥٨- جيتس فون برلشنجن : جيته	1979	
٥٩- حـــازم القرطاجنى ونظريات أرسطو في البلاغه والشعر	1961	
٦٠- حياة لثريو دى تورمس	1979	
٦١- حياة هيجل	1980	
٦٢- خريف الفكر اليونانى	1946	
٦٣- دراســات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى	1979	
٦٤- دراســات في الفلسفة الوجودية	1961	
٦٥- دراســات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب	1981	
٦٦- دور العرب في تكوين الفكر الأوروبى	1965	
٦٧- دون كيخوتة (جزآن)	1965	قصـة الوجـود نفسـه بقطبيـه المتنافريـــن المتصارعيـــن المتنازعين، ومن نزاعهما يتألف ديالكتيك الوجود
٦٨- ربيع الفكر اليونانى	1943	
٦٩- رسائل ابن سبعين	1965	

٧٠- رسائل فلسفية للكندى والفارابى وابن باجه وابن عدى	1973	رسائل فلاسفة العرب
٧١- روح الحضارة العربية	1949	
٧٢- رينيه ويج: الفن والنور واللوحات ومصر ملتقى الشرق والغرب	1965	
٧٣- سيرة حياتى	2000	مذكراته الشخصية في جزئين
٧٤- شخصيات قلقة في الإسلام	1946	
٧٥- شروح على أرسطو مفقودة في اليونانية	1972	
٧٦- شطحات الصوفية (أبو يزيد البسطامى)	1949	
٧٧- شهيدة العشق الإلهي: رابعة العدوية	1948	
٧٨- شوبنهاور	1942	
٧٩- صوان الحكمة لأبى سليمان السجستانى	1974	
٨٠- طباع الحيوان لأرسطو	1977	
٨١- طبول في الليل، حياة جاليليو : بريخت	1977	
٨٢- عيون الحكمة ابن سينا	1954	

٨٣- فاوست (٣ أجزاء)	1974	
٨٤- فضائح الباطنية لأبى حامد الغزالى	1964	
٨٥- فلسفة الحضارة: ألبرت أشفيتسر	1963	
٨٦- فلسفة الدين والتربية عند كنت	1980	
٨٧- فلسفة العصور الوسطى	1962	
٨٨- فلسفة الجمال والفن عند هيجل	1996	
٨٩- فلسفة القانون والسياسة عند هيجل	1979	
٩٠- فلهلم تل: فريدريش شيلر	1982	
٩١- أرسطوطاليس: فن الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد	1953	
٩٢- فن الشعر من الشفاء لابن سينا	1966	
٩٣- في الشعر الأوربي المعاصر	1963	
٩٤- في النفس لأرسطوطاليس	1954	
٩٥- مؤلفات ابن خلدون	1979	

٩٦- مؤلفات الغزالى	1961	
٩٧- الأم شجاعة ـ السيد بنتلا وخادمه ماتي: برتولد برشت	1978	
٩٨- مختار الحكم ومحاسن الكلم لأبى الوفا المبشر بن فاتك	1958	
٩٩- مخطوطات أرسطو في العربية	1959	
١٠٠- مدخل جديد إلى الفلسفة	1979	
١٠١- مذاهب الإسلاميين (جزآن)	1971	
١٠٢- مرآة نفسى (شعر)	1946	
١٠٣- مسرحيات أيونسكو: الدرس فتاة للزواج		
١٠٤- مسرحيات برشت (الأم شجاعة ـ الإنسان الطيب في ستسوان)	1965	
١٠٥- مسرحيات لوركا (عرس الدم ـ يرما ـ الإسكافيه العجيبة)	1964	
١٠٦- مسرحية دائرة الطباشير القوقازية (سلسلة روائع المسرح العالمى ـ ٣٠)	1961	

١٠٧- مسرحية علماء الطبيعة (فــردريــش دورنــمــات) (سلسلة روائـع المسرح العالمى ـ ٣٨)	1961	
١٠٨- مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا	1964	
١٠٩- مصطلحـات الفلسـفة باللغات الفرنسـية والإنجليزية والعربية ـ بالاشـتراك مع د. أبو العلا عفيفــي ود. زكى نجيب محمود ود. محمد ثابت الفندى	1964	
١١٠- من تاريخ الإلحاد في الإسلام	1945	
١١١- من حياة حائر بائر: أيشندروف	1944	
١١٢- مناهج البحث العلمى	1963	
١١٣- منطق أرسطو (٣ أجزاء)	1948	
١١٤- مـوسـوعـة الحضارة العربية الإسلامية (٣ أجزاء) بالاشتراك مع آخرين)	1987	
١١٥- موسوعة الفلسفة (٣ أجزاء)	1984	
١١٦- موسوعة المستشرقين	1983	
١١٧- ابن رشد شرح البرهان لأرسطو وتلخيص البرهان	1984	
١١٨- نيتشة	1939	أول كتاب كتبه بدوي

١١٩- هل يمكن قيام أخلاق وجودية	1953	
١٢٠- هموم الشباب	1946	
١٢١- فلسفة القانون والسياسة: أمانويل كنت	1979	
١٢٢- مسرحية عذراء أورليان (جان دارك) مأساة رومانتيكية : فريدرش شيللر	2004	
١٢٣- دفاع عن القرآن ضد منتقديه	1989	
١٢٤- دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره	1990	
١٢٥- ترجمة سيرة ابن هشام إلى الفرنسية		

بالإضافة إلى (أعمال لم تنشر) ، وهي:

١ـ ترجمة مسرحيات يوريفيدس (من اليونانية إلى العربية)، في ٣٤ بلوك نوت.

٢ـ لوركاة : قصيدة الغناء الغجرى في ٢ بلوك نوت

٣ـ لوركاة حكايات الغجر، في ٢ بلوك نوت

٤ـ شلرة عروس مينا ، في ٢ بلوك نوت.

٥ـ خماسيات في الشعر: أشعار الدكتور عبد الرحمن بدوي

نفسه.

٦ـ مسودة كتاب من تأليف بدوي بعنوان :

La Bibliathque d'Alexandriea

قام فيه بالرجوع إلى المؤرخين اليونان والرومان والعرب الذين كتبوا عن مكتبة الإسكندرية يقع في ٥٥ صفحة.

٧ـ مسودة كتاب من تأليف بدوي بعنوان **Le Musee d'Alexandrie**

عن متحف الإسكندرية القديم ، وتقع في ٩٣ صفحة.

٨ـ مجموعة مقالات، عناوينها كالآتي:

- «أيبونيم» وهو اسم يطلق على فرقة تجمع بين اليهودية والمسيحية.
- «الجدل بين اليهود والنصارى».
- مطاعن المسيحيين في الديانة اليهودية (مقالات غير مكتملة)
- «ابن دحية»
- الترجمات العبرية للقرآن (مقالات بالإنجليزية)
- «ابن أبى شيبة»
- «اقتراحات حول مكتبة الإسكندرية الجديدة»[٩]

---

(٩) مصدر هذه المعلومات المتعلقة بـ (الأعمال التي لم تنشر في موقع جريدة «اليوم السابع» على شبكة الإنترنت الاثنين ٤/ ٢/ ٢٠١٣م.

خبر بعنوان : «اكتشاف أعمال جديدة لم تنشر للدكتور عبد الرحمن بدوي» ناقلين فيه عن البيان الصحفي الرسمى الذي أصدره (مركز عبد الرحمن بدوي للإبداع) والذي يترأسه أ. محسن بدوي.

بين يدي هذا الكتاب

لقد كان الدكتور عبد الرحمن بدوي (١٣٣٥ - ١٤٢٣هـ ١٩١٧ ـ ٢٠٠٢م) ـ بشهادة مؤلفاته ومترجماته وتحقيقاته ـ من أكثر العلماء والمفكرين العرب المعاصرين خبرة بالفكر الغربى، ومن أكثر هؤلاء العلماء والمفكرين إحاطة بما كتبه المستشرقون عن الإسلام، ولقد توج معارفه وخبراته بالاستشراق والمستشرقين بالموسوعة التي نشرها عنهم - (موسوعة المستشرقين) ـ ، بل لقد مثلت حياته الفكرية «مؤسسة» قامت على تعريف العقل العربى والمسلم بتراث الاستشراق والفلسفة الغربية، وذلك فضلا عن علاقاته الوثيقة بكثير من رموز الاستشراق، الذين درس على أيديهم، وتتلمذ على كتاباتهم، وبادلهم الأفكار والآراء.

لذلك، كان الرجل شاهدا خبيرا على ما كتبه هؤلاء المستشرقون عن الإسلام وأصوله ومقدساته.

وفي السنوات الأخيرة من حياته ـ والتي قضاها في الغرب ـ وباريس خاصة ـ وعندما رأي تصاعد ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وتزايد حملات الكراهية للإسلام، والافتراء على رموزه ومقدساته، استدعى ـ بخبرته العلمية والفكرية والثقافية ـ

الجذور الغربية القديمة لهذه الظاهرة، ولم ير فيها ـ كغيره من أصحاب النظرة السطحية ـ ظاهرة إعلامية طارئة، وإنما رآها امتدادا متطورا وحديثا لافتراءات كثير من المستشرقين والمنصرين ـ وخاصة اليهود منهم ـ على الإسلام ومقدساته ورموزه، فكان تصديه المتميز لهذه الظاهرة بتفنيد مقولاتها التاريخية ضد القرآن الكريم، وضد رسول الإسلام ﷺ وهو الإسهام الذي ختم به حياته الفكرية ـ عندما نشر ـ بالفرنسية ـ كتبه: (دفاع عن القرآن ضد منتقديه) و (دفاع عن محمد ضد المنتقصين من قدره) وترجمته الفرنسية للسيرة النبوية ـ سيرة ابن هشام.

وفي الكتاب الأول ـ الذي نقدم بين يديه ـ يعلل أسباب أخطاء ـ بل وخطايا ـ الاستشراق إزاء القرآن الكريم، بتسليط الأضواء على جذور هذه الأخطاء والخطايا، وأسباب هذه الافتراءات، المتمثلة في أن هؤلاء المستشرقين لم يقرأوا القرآن بعيون علمية موضوعية، وإنما قرأوه بعيون يهودية أو مسيحية، توجهها تحيزات ونوايا سيئة، وفي ذلك قال:

«لقد قرأ المستشرقون اليهود ـ من أمثال «هيرشفيلد» (١٨٥٤ – ١٩٣٤م) و «جولدتسيهر» (١٨٥٠ – ١٩٢٠م) و «هورفيتز» (١٨٧٤ – ١٩٣١م) و «تورى» ـ القرآن قراءة

يهـودية ، وآخـرون ـ من أمثـال «موير» (١٨١٩ - ١٩٠٥م) و «بيل» و «آرتر» ـ قراءة مسيحية، أو يهودية مسيحية».

ولقد جاء كتاب الدكتور بدوي هذا «وثيقة ــ موثقة»، تثبت هذه الحقيقة، وتفند الزيف الذي افتراه هؤلاء المستشرقون على القرآن الكريم، ومن ثم تعري هؤلاء المستشرقين من الهالات التي أحاطتها بأسمائهم وكتاباتهم آلة «العلاقات العامة التغريبية»!.

• فهؤلاء المستشرقون ـ على سبيل المثال ــ قد ذهب بهم الكذب «فأكدوا أن محمدا ﷺ باعتباره مؤلفا للقرآن، قد اقتبس أغلب القصص وعددا كبيرا من الصور البيانية، وكذلك الحِكَم والأمثال من الكتب المقدسة، أو شبه المقدسة لدى اليهود والنصارى» ويعلق الدكتور بدوي على هذه الفرية فيقول :

«ولكي نفترض صحة هذا الزعم، فلابد أن محمدا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الأدبـاء اليونانيين وكتب مختلف الكنائس والمذاهب المسيحية.

واعتراض ساقط آخر مما قاله هؤلاء الكتاب، وهو يعتمد على الصياح بالقول إن في القرآن انتحالا، ويحدث ذلك عندما

يذكر القرآن حقيقة عامة ذكرت في الكتب المقدسة اليهودية والنصرانية قبل ذلك، وكأنه يجب على القرآن الكريم حتى يكون بريئا من أي انتحال أن يقول أشياء مخالفة للعلم العام أو الرشاد»!

• ولقد تتبع الدكتور بـدوي جـذور هذه الافتراءات الاستشراقية على القرآن الكريم، متناولا أشدها وأشهرها بالنقد والتفنيد، فقال ـ على سبيل المثال:

«إن أشد الكتب هجوما على القرآن والإسلام هو كتاب (عالم النص القرآنى» الذي كتبه «وود ڤيجو مراش» (١٦١٢ - ١٧٠٠م)، وهو عمل حافل بالأخطـاء والمجادلات الساذجة اللا معقولة، وللأسف تكررت نفس هذه الأخطاء وهذه التجاوزات في كل الدراسات المتصلة بالقرآن والتي قام بها المستشرقون الأوروبيون خلال القرنين التاليين لظهور كتاب «مراش».

حقا، فإنه بداية من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم، وفي جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جدية وموضوعية، وأكثر تدقيقا في المنهج اللغوى، لكن دون فائدة، ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحقد في قلوبهم ضد الإسلام وكتاب الإسلام

المقدس ونبي الإسلام ظلت كما هي، بل ازدادت تأججا.

وبرغم أن هؤلاء الكتاب قد توفرت لهم أدوات فهم اللغات منذ بداية القرن الأخير حتى يومنا هذا، إضافة إلى توافر نشر المخطوطات، إلا أنهم أصروا على تقديم نظرياتهم الخاطئة، من خلال تصوراتهم الزائفة للقضايا الوهمية التي طرحوها حول القرآن، وطرحوا نتائج زائفة توصلوا إليها.

• إن معرفة هؤلاء المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف، ويمكن القول إن هذه الملاحظة تخصهم جميعا تقريبا.

• وإن معلوماتهم جميعها المستقاة من مصادر عربية جزئية ناقصة وضحلة وغير كافية، وهم يرمون بأنفسهم في مغامرة طرح فرضيات خطيرة وخاطئة يعتقدون أنهم أول من توصلوا إليها، دون تكليف أنفسهم عناء التقصي لدى تلك المصادر عن نفس المعضلات التي يثيرونها، إذ تطرق الكتاب المسلمون في حقيقة الأمر لهذه الفرضيات واعترضوا عليها.

• إن ما يحرك بعض المستشرقين دافع الضغينة، والحقد على الإسلام، مما يفقدهم الموضوعية ويعمى بصيرتهم بطريقة أو بأخرى.

• لقد كان بعض من هؤلاء المستشرقين مدفوعا بالتبشير والتعصب المتحفز، مثل «وليم موير» (١٨١٩ - ١٩٠٥م)

و«زويمر» (١٨٦٧-١٩٥٢م)، كما وقع بعضهم ضحية ـ لهوس مرضيّ سببه ذلك التعصب الأعمى المختلط بالزهو والغرور، ومنهم من يختلق أكذوبة ويصبح ضحية لتلك الأكذوبة، وهو مجبر أن يوضح بكل الوسائل حقيقة أكذوبته المزعومة.

• وهدفنا هو كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع لشعب أوربا ولغيره من الشعوب الأخرى».

• ثم عرج الدكتور بدوي على مزاعم المستشرق اليهودي الأشهر «جولد تسيهر» (١٨٥٠ - ١٩٢٠م) الذي زعم أن القرآن قد نقل عن أسفار العهد القديم الكثير من عقائد الإسلام وأركان الإسلام، فلقد زعم هذا المستشرق أن إله الإسلام هو إله إسرائيل، وأن الصوم الإسلامي هو الصوم اليهودي، وأن اتخاذ الرسول ﷺ بيت المقدس قبلة أولى ما كان إلا تقربا إلى اليهود، وأن رسول الإسلام ليس إلا ناقلا عن العهد القديم، وفي ذلك قال :

١ - «إن المفهوم التوحيدي للإله الذي عارض به محمد الوثنية العربية يتفق في مادته مع مفهوم التوحيد في العهد القديم».

ويفند الدكتور بدوي هذا الزعم فيقول:

(أ) هذا الزعم خاطئ، لأن إله العهد القديم هو فقط إله إسرائيل، وإسرائيل اختارها الرب، بينما إله الإسلام على عكس ذلك هو ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ـ (الفاتحة :٢) دون تفرقة شعب عن شعب، ولم يصطف شعبا بوجه خاص.

(ب) وإله إسرائيل هو الأب، بينما إله الإسلام ﴿ لَمْ يَـلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ ﴾ - (الإخلاص : ٣).

فالتوحيد اليهودي هو توحيد قومي، أما التوحيد الإسلامي فعالمي.

٢ - الصوم اليهودي والصوم الإسلامي:

ويزعم جولد تسيهر، ومن بعده فنسنك (١٨٨١-١٩٣٩م) أن محمدا قد أخذ الصوم عن اليهودية، وهذا قول خاطئ لما يلي:

(أ) الصوم الإسلامي يستغرق شهرا كاملا هو شهر رمضان، وليس يوما واحدا، أو يوما وليلة، كما هو الحال عند اليهود.

(ب) الصوم الإسلامي ليس مرتبطا بأية أحداث في التاريخ الإسلامي ولا أية نكبات قد حلت بالمسلمين، ولكنه ركن أساسي من أركان الإسلام الخمسة، وشعيرة أصلية، وعلى

عكس ذلك فإن الصوم اليهودي صوم اتفاقى وليس مفروضا إلا حين تتعرض الأمة اليهودية للاضطهاد، وليس عندما تعيش في سلام، ثم إن الصوم كشعيرة دينية كان موجودا في كثير من الأديان التي سبقت اليهودية، وما دام الصوم كان يمارس قبل ظهور اليهودية بآلاف السنين، فبأى حق يدعي جولد تسيهر أن محمدا أخذه عن اليهودية كما لو كانت اليهودية هي أول من اخترع الصوم، ولكنه دوما نفس الابتسار ونفس الفكرة المتسلطة هي التي جعلته يرى ذلك هو ومن على شاكلته من اليهود.

٣ – القبلة :

ويزعم جولد تسيهر أن محمدا جعل بيت المقدس قبلة في الصلاة أولا ليكسب مودة اليهود، ولما لم يحصل على تأييد اليهود غَيَّرَ القبلة متجها إلى البيت الحرام في مكة.

وهذا الرأي شائع عند كثير من المستشرقين، أمثال «فييل» و «موبير» (١٨١٩-١٩٠٥م) و «جريم» (١٨٦٤-١٩٤٢م) و «ليون كيتانى» (١٨٦٩-١٩٢٦م) و «فربوهي»، وهو رأي يفتقر إلى الأسس السليمة، فالسبب الذي من أجله توجه محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى خلال العهد المكي، هو أن الكعبة لم تكن قد طهرت من الأصنام، أو كادت، ولذلك كان المسجد الأقصى هو أنسب قبلة».

• وبعد كشف هذا الزيف، وتجريد «جولد تسيهر» من الهالة العلمية التي أحاطوه بها، عرج الدكتور بدوي على زعم آخر شارك فيه عدد كبير من المستشرقين، وهو الادعاء بأن القرآن قد خلط بين مريم ــ أم عيسى ــ عليهما السلام ــ وبين مريم أخرى ــ هي أخت موسى وهارون ــ عليهما السلام ــ جاهلا ومتجاهلا ما بينهما من قرون!.

«فلقد زعم «جريم» (١٨٦٤-١٩٤٢م) و «هورفيتز» (١٨٧٤-١٩٣١م) و «فنسنك» (١٨٨١-١٩٣٩م) و«بلاشير» (١٩٠٠-١٩٧٣م) و «جود فروا ديمومبين» (١٨٦٢-١٩٥٦م) و «باريت» أن القرآن قد خلط بين مريم ــ أم عيسى ــ وبين أخت هارون وموسى ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ ــ (مريم:٢٨).

بينما هذه العبارة القرآنية ــ لا تعني سوى «يا سليلة هارون» فالاتهام بالزنا، الذي رمى به اليهود مريم أم المسيح أصبح أكثر شناعة قياسا إلى أنها من عائلة مقدسة، ويؤكد «لوقا» هذا النسب، لأن مريم قريبة الياصابات أم يوحنا المعمدان كما يؤكد «هيوليت» أن الياصابات بنت خالة مريم، كما تؤكد المصادر المسيحية هذه القرابة.

وبهذه الطريقة فهمه يهود ونصارى المدينة في الجزيرة العربية.

ومن وجهة النظر اللغوية، فإن استعمال أخ أو أخت أو يا أخا

أو يا أخت وبعدها اسم عشيرة أو قبيلة أو بلد يكون بمعنى يا سليل هذه العشيرة أو هذه القبيلة ــ أو البلد، وهو استعمال كان وما يزال شائعا في تاريخ اللغة العربية، وقد أشار إليه الطبرى (٢٢٤-٣١٠هــ ٨٣٩-٩٢٣م)، وتبعه كثير من المفسرين المسلمين، وقد ذكر لذلك أمثلة عديدة.

وهذه الحجة القاطعة تبعها «جورج سال» (١٦٩٧-١٧٣٦م) في الترجمة الإنجليزية للقرآن ١٧٣٤م فأكد أن من المستحيل أن يقع القرآن في هذا الخلط بين مريم أم عيسى ومريم أخت موسى وهارون، لأن هذه الفارقة تكون، حسب هذه الألفاظ، متعارضة مع كثير من المواضع القرآنية، ويبدو فيها محمد على دراية تامة بأن موسى يسبق عيسى بعصور عديدة.

لذلك كان من الغريب أن نجد أصحاب هذا الزعم يكررون نفس الاتهام دون أي دليل ودون أن يتحملوا عناء مناقشة الحلول التي اقترحها المفسرون المسلمون وأيدها بعض الكتاب الأوربيين، أمثال «رولاند»، و «جورج سال»، وعندهم أن هذا الاتهام حكم مسبق لا دليل عليه.

ويمكن أن نفهم مثل هذا الموقف من قساوسة ورجال دين ومبشرين، مثل يوحنا الدمشقي، ونيكولاى كوزى، وجود نيولو وغيرهم، لكننا لا نفهمه عندما يتعلق الأمر بعلماء يفترض فيهم الموضوعية وعدم الانحياز..».

• وذهب الدكتور بدوي فضرب الأمثلة على بلوغ مزاعم

بعض المستشرقين درجة «العبث».. فقال:

«لقد بلغت بعض مزاعم المستشرقين حد العبث، ومن ذلك دعوى «ريتشارد بيل»:

(أ) أن كلمة نبي كلمة مدنية.

(ب) وأن إبراهيم أصبح نبيا في المدينة فقط.

(جـ) وأن كلمات: إسلام، مسلم، والاستعمال الديني لكلمة ــ أسلم تنتمي إلى العهد المدني.

ولكن هذه القضايا كاذبة؛ لأن كلمة نبي موجودة في السور المكية: الأنعام، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، مريم، الأنبياء، الشعراء، العنكبوت، ص، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الأعلى.

وكلمات إسلام، مسلم، ــ والجمع «مسلمون» ــ موجودة في ٢١ سورة مكية، ولو طبقت هذه القاعدة ــ هذا الزعم ــ لكان معناها إضافة ٤٤ سورة من العهد المكي إلى العهد المدني، وهذا هو العبث بعينه عند كل الباحثين!

• وأمام محاولات بعض المستشرقين إعادة ترتيب سور القرآن وآياته، قطع الدكتور بدوي بأن الترتيب القرآنى ــ صاحب السياق المعجز ــ إنما هو صنع إلهي، فقال:

«لقد رتب القرآن في كتاب واحد في حياة النبي، والجمع

الذي تم في عهد أبى بكر يشبه جمع الوثائق الخاصة بنص معين حتى لا تندثر، وهذا مشابه لما نفعله اليوم بعمل طبعة محققة على مخطوطات كاملة، فنجمعها مع الاستشهادات والأوراق المبعثرة».

• وضـرب الدكتور بـدوي الأمثال على بلوغ بعض المستشرقين حد التعصب الأعمى إزاء القرآن الكريم، وذلك من مثل ما كتبه المستشرق «مارتينيو ألفونسو فيفالد»، الذي قال: «إن كتاب محمد لا ينبغي أن يُقرأ، بل على العكس ينبغي أن يُهان ويُسخر منه ويُلقى في النيران حتى لا نجده في أي مكان»!!

***

وبعد أن فند الدكتور بدوي ــ عبر فصول كتابه وصفحاته ــ الزيف الذي ادعاه المستشرقون اليهود والمسيحيون على القرآن الكريم، مبرزا أخطاءهم وخطاياهم، عندما قرأوا القرآن بعيون يهودية ونصرانية، وبسوء نية مسبقة، لم ينس ــ وهو العالم الذي تخلق بأخلاق الإسلام، وفقه منهاج القرآن ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ ــ (آل عمران: ١١٣) أن يشير إلى جهود فريق آخر من المستشرقين، لم يحرمهم رفضهم للقرآن والإسلام من الموضوعية التي جعلتهم ــ وهم على دياناتهم ــ يشهدون للقرآن والإسلام.

وفي هذا المقام ضرب الدكتور بدوي بعض الأمثلة:

• فالمستشرق «رولاند ــ أدريان» (ت ١٧١٨م) قد تعجب من الافتراءات الاستشراقية الكثيرة على القرآن، فكتب يقول:

«إنه لو كان الإسلام كما وصفه هؤلاء المهاجمون المسيحيون الأوربيون، فليس من المعقول أن كثيرا من الناس يمكن أن يعتنقوا دينا عبثيا، ولا يمكن أن يفهم أن أتباع محمد كلهم أغبياء وحمقى، كما أنه ليس مسموحا لنا أن نشك ونحن نرجع إلى آثار وكتابات هذه الملة، والتي أخرجت عبقريات وعظماء لم ير العالم مثيلا لها في أي شعب آخر، إن لم نقل إن العرب والذين ولدوا بفضل هذا الدين امتلكوا ناصية العلم والفنون الجميلة لقرون عديدة، لا سيما القرن العاشر؛ بينما ترك المسيحيون كل شيء يذبل ويموت ويتبلد في غربنا.

يجب أن أعترف بكامل اليقين، بعد دراسة عقلانية للديانة المحمدية، أنني وجدت لمحمد وجها مختلفا تماما عن الذي قالوه عنه، مما ولّد عندي الرغبة في تعريف العالم به وبالألوان التي تناسبه.

لنتكلم بصراحة، فإننا ليس لدينا عن الدين المحمدي إلا أكاذيب، وهذا ما دفعني لاتخاذ قرار، ليس فقط لقول الحقيقة باختصار فيما يخص (العقيدة)، ولكن أيضا لتصحيح بعض ما قيل من خطأ في هذا الصدد..».

• والمستشرق «مراكشي» (١٦١٢-١٧٠٠م) ـ الذي قام بترجمة القرآن الكريم ـ قد كتب في مقدمته لترجمته هذه مقارنا بين القرآن والإنجيل، ومفضلا ـ رغم أنه لاهوتى مسيحى ـ القرآن على الإنجيل، والإسلام على المسيحية، فقال:

«إن الإسلام قد احتفظ بكل ما هو أكثر عقلانية ـ واحتمالا في المسيحية، وبكل ما يبدو في نظرنا موافقا لقانون وسنة الطبيعة، وقد استبعد من عقيدته جميع ألوان الغموض الموجودة في الإنجيل، والتي تبدو لنا غير معقولة وغير مفهومة، كما أنه استبعد من الأخلاق كل المبادئ المتزمتة والتي يصعب على الناس تطبيقها، مما يجعل الوثنيين اليوم يشعرون أنهم أكثر ميلا إلى التنكر لوثنيتهم واعتناق الإسلام بصدر رحب، واعتناق الشريعة المحمدية أكثر من الشريعة الإنجيلية.

لقد اعتقدت دائما أن القرآن والإنجيل حين يعرضان على غير المؤمنين فإنهم يفضلون القرآن على الإنجيل، ويجب أن لا نشك في أن كتاب محمد لا يقدم للعقل أفكارا يصعب على العقل فهمها، فمثلا لا يوجد إلا إله واحد حكيم قدير، خالق الأشياء كلها ومدبرها، ومخالف للحوادث، ويجب أن يُصلَّى له بخشوع، وأن يكون الإنسان متسامحا مع الفقراء، ويؤدي مناسك الحج، ويطهر بدنه بالصيام، ويحافظ على العدل والوسطية وطيبة القلب والشفقة، وكذلك كل الفضائل السهلة

الأخرى، فلا يجوز أن يُؤذَى إنسان، بل يجب أن يُحمى من السرقة والقتل والزنا وأى جريمة أخرى أيا كانت، ويجب أن يحتقر كل ما في الدنيا باعتباره عابرا وغير ثابت، ويستمسك فقط بالأعمال الصالحة التي لا يضيع أجرها، وسيكون لنا في النهاية يوم نعود فيه إلى الله لنجزى على ما فعلنا، فالطيبون سيجدون في السماء نعيما مقيما وما يشتهون، وسيذوق الأشرار في جهنم عذابا لا نهاية له.

كل هذه المبادئ، وكثير غيرها، تنتشر في القرآن بطريقة مفهومة وواضحة أكثر من المبادئ الإنجيلية.

ومن ناحية أخـرى، إذا سمع أحد الوثنيين كلام أحد المبشرين أن الإله الحق الواحد الذي يتكلم عنه هو واحد وثلاثة، وأن الإله حل في رجل، وأنه فقير، وأنه عانى وصلب ومات ودفن، وكان هو نفسه معجزة، وفي سر القربان المقدس أن سر التوبة ضرورى مطلقا، وأن الزواج الآحادى لابد منه، وأن الرباط المقدس لا ينفصم، وأن الحياة يجب أن تكون صليبا متصلا، وأنه يجب أن يحسن الإنسان حتى إلى أعدائه، وأن السعادة الحقة تكمن في أشياء لا تراها العين، ولم تسمعها الأذن، ولم تخطر على قلب الإنسان، وحِكَم أخرى مشابهة لا تكون في متناول السمع الإنسانى أو تكون صعبة جدا، إن لم

تكن مستحيلة بالنسبة لحياتنا وحماقتنا الطبيعية، فأى وثني سيسمع هذه الأشياء ويقارنها بمذهب القرآن، انظر إلى أي جهة سيتجه؟.. إنه سيتوجه حتما ناحية الإسلام.. إن غير المؤمنين يفضلون محمدا، ويعتنقون دينه من كل قلوبهم».

تلك إشارات ـ مجرد إشارات ـ لبعض ما حواه هذا الكتاب الفذ (دفاع عن القرآن ضد منتقديه) الذي كتبه الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ بالفرنسية ـ عام ١٩٨٩م، والذي ترجم إلى العربية عام ١٩٩٩م، والذي تتزايد أهميته مع تصاعد ظاهرة «الإسلاموفوبيا» في الغرب، تلك التي تتسرب دعاواها ومزاعمها إلى دوائر الغلو العلمانى في عالم الإسلام!.

رحم الله الدكتور عبد الرحمن بدوي، وجعل هذا العلم النافع في ميزان حسناته إن شاء الله.

دكتور/محمد عمارة

١٦ ربيع ثانٍ ١٤٣٦هـ

٥ فبراير ٢٠١٥م

مقدمة

لقد تعرض القرآن الكريم باعتباره الركيزة الأساسية للإسلام لهجمات كثيرة من الذين كتبوا ضد الإسلام، سواء في الشرق أو في الغرب وكان ذلك بدءًا من النصف الثانى للقرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى، حتى الآن.

ولقد بدأ يوحنا الدمشقي حوالي (٦٥٠م - ٧٥٠م تقريبًا) هذا الهجوم بتوجيه عدة انتقادات على النسق العام للقرآن ثم تبعه في ذلك «أثيميوس زيجابينوس» في كتابه «العقيدة الشاملة».

لكن أول هجوم مفصل على القرآن كان في أعمال نيكيتاس البيزنطي في مقدمة كتاب «نقد الأكاذيب الموجودة في كتاب العرب المحمديين» ولا نعرف شيئًا عن حياته سوى أنه ذاعت شهرته في النصف الثانى من القرن التاسع عشر حيث كان مجادلاً لاذعًا ضد الإسلام وكذلك ضد الكنيسة الأرثوذكسية الأرمينية التي انتقدها في كتاب «دحض الكنيسة الأرمينية» وكذلك ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما «علم القياس الأساسي».

ولكن أكبر هجوم جدلى على القرآن والإسلام هو ما قام به إمبراطور بيزنطة چان كنتاكوزين في كتابيه «ضد تمجيد الملة المحمدية»، «ضد الصلوات والتراتيل المحمدية» كان هذا الهجوم في الشرق وباللغة اليونانية، وهناك هجوم على القرآن باللغة السريانية والأرمينية والعربية.

وبسقوط القسطنطينية في يد المسلمين (١٤٥٣م)، توقف الهجوم البيزنطي على القرآن والإسلام، وتولت أوربا المسيحية الأمر من بعد، فبدأ الكاردينال نيقولا دي كوزا (١٤٠١م-١٤٦٤م) مسيرة الهجوم الجديدة، وكان بتوجيه من البابا بيوس الثاني كتب نيقولا كتاب «نقد وتفنيد الإسلام» وكذلك رسالة هجاء في القرآن تحت عنوان «غربلة القرآن» وقسم هذه الرسالة إلى ثلاثة كتب.

في الكتاب الأول زعم إثبات حقيقة الإنجيل استنادًا إلى القرآن، وفي الكتاب الثاني عرض وتوضيح للمذهب الكاثوليكي وفي الكتاب الثالث زعم بعض التناقضات في القرآن وقد نشرت هذه الكتب مطبعة بلياندر في بال بسويسرا سنة (١٥٤٣).

وقام عدد من الآباء الدومينيكانيين والجزويت بنشر كتب هاجموا فيها القرآن والإسلام ومنهم:

- دينيس في كتابه «حول الخداع المحمدي» كولون (١٥٣٣م).

- ألفونس سينا في كتابه «التحصين الإيماني» (ت ١٤٩١م).

- چان دي تيريكريماتا في كتابه «بحث للرد على الأخطاء الرئيسية الخادعة لمحمد» روما (١٦٠٦م).

- لويس فييف في كتابه «الإيمان المسيحي الحقيقي ضد المحمديين» بال (١٥٤٣م).

- ميشيل نان في كتابه «الكنيسة الرومانية اليونانية في الشكل والمضمون للدين المسيحي ضد القرآن والقرآنيين دفاعًا وبرهانًا» باريس (١٦٨٠م).

ولكن أشد الكتب هجومًا على القرآن والإسلام ما كتبه «لوودڤيجومراش» (١٦١٢م - ١٧٠٠م) في كتاب «عالم النص القرآنى» نشر في بادوا سنة (١٦٩٨م)، وهو كتاب في مجلدين من الحجم الكبير عنوان المجلد الأول «مقدمة في دحض القرآن»، وقد نشر هذا الكتاب متفرقًا في أربعة أجزاء سنة (١٩٦١م)، وفيه تناول مراش حياة محمد حسب المصادر العربية، وتناول المجلد الثانى النص العربى للقرآن مع ترجمة لاتينية وشرح النواحي الغامضة في النص ثم نقده وتفنيده، وكان مراش يعرف السريانية والعربية والعبرية.

ولقد كتب نللينو دراسة حول مصادر المخطوطات العربية التي قام عليها عمل لودوڤيجو مراش حول القرآن، ويمكننا القول إن عمل مراش هذا كان الأساس ونقطة الانطلاق للدراسات الجادة في أوروبا عن القرآن وهو عمل حافل بالأخطاء والمجادلات الساذجة اللامعقولة، وللأسف تكررت نفس هذه الأخطاء وهذه التجاوزات في كل الدراسات المتصلة بالقرآن والتي قام بها المستشرقون الأوروبيون خلال القرنين التاليين لظهور كتاب مراش.

حقًا، فإنه بداية من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون كل ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم وفي جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جدية وموضوعية، وأكثر تدقيقًا في المنهج اللغوى، لكن دون فائدة، ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحقد في قلوبهم ضد الإسلام وكتاب الإسلام المقدس ونبي الإسلام ظلت كما هي بل ازدادت تأججًا.

وبرغم أن هؤلاء الكتاب قد توفرت لهم أدوات فهم اللغات منذ بداية القرن الأخير حتى يومنا هذا، إضافة إلى توافر نشر المخطوطات، إلا أنهم أصروا على تقديم نظرياتهم الخاطئة، من خلال تصوراتهم الزائفة للقضايا الوهمية التي طرحوها حول القرآن وطرحوا نتائج زائفة توصلوا إليها.

ومن أجل ذلك تصدينا في كتابنا هذا لفضح هذه الجرأة الجهولة الحمقاء عند هؤلاء المستشرقين حول القرآن، ونبدأ بتسجيل بعض الملاحظات العامة:

١ - إن معرفة هؤلاء المستشرقين للغة العربية من الناحية الأدبية أو الفنية يشوبها الضعف، ويمكن القول إن هذه الملاحظة تخصهم جميعًا تقريبًا.

٢ - إن معلوماتهم جميعًا المستقاة من مصادر عربية جزئية ناقصة وضحلة وغير كافية، وهم يرمون بأنفسهم في مغامرة طرح فرضيات خطيرة وخاطئة يعتقدون أنهم أول من توصل

إليها، دون تكليف أنفسهم عناء التقصي لدى تلك المصادر عن نفس المعضلات التي يثيرونها، إذ تطرق الكُتاب المسلمون في حقيقة الأمر لهذه الفرضيات واعترضوا عليها.

٣ - إن ما يحرك بعض المستشرقين دافع الضغينة والحقد على الإسلام، مما يفقدهم الموضوعية ويعمى بصيرتهم بطريقة أو بأخرى، وهذا ينطبق خاصة على هيرشفيلد (**Hirschfeld**) هوروفيتز، سبير.

٤ - لقد ذهب بعض من السطحيين إلى الإعلان بأعلى صوته أن في القـرآن انتحـالاً وتقـليداً وسـرقة، معتمـدين على تشـابه لا أساس له، وهذا ما قام به مستشرقون مثل: جولدتسيهر ــ شفالى ــ مرجوليوث، ونتحفظ نوعًا ما فيما يتعلق بنولدكه الذي يتبرأ نوعًا ما من مؤلفه «تاريخ القرآن» عندما رفض إعادة طبعه تاركًا المستشرق شفالى يقوم بهذه المهمة، فطبع الكتاب ثانية وأصبح يعرف بكتاب نولدكة ــ شفالى.

٥ - لقد كان بعضٌ من هؤلاء المستشرقين مدفوعًا بالتبشير والتعصب المتحفز، مثلما هو الأمر بالنسبة للمستشرق وليم موير (**William Muir**) وزويمر (**Zwemer**).

ولن نعالج بطبيعة الحال في هذا الكتاب كل القضايا التي أثارها المستشرقون بصدد القرآن، فلم نتطرق إلا لتلك القضايا

التي بدت لنا أكثر أهمية، كما حصرنا بحثنا في الفترة ما بين منتصف القرن التاسع إلى منتصف القرن العشرين.

ومنهجنا في بحثنا هذا هو المنهج الوثائقي والموضوعي الواضح، وهدفنا كشف القناع عن العلماء المزعومين الذين قدموا الضلال والخداع لشعب أوروبا ولغيره من الشعوب الأخرى.

لكننا في نفس الوقت نؤكد أن القرآن يخرج دائمًا منتصرًا على منتقديه.

د. عبد الرحمن بدوي

الفصل الأول
ماذا يعني الوصف « أمي »
الذي يطلق على النبي محمد ﷺ

أحد الكلمات المثيرة للجدل في ترجمة المصطلحات القرآنية كلمة «أمي» خاصة حين يوصف بها النبي ﷺ .

وفي الواقع أن هذه الكلمة في القرآن تنطبق على النبي، في الآيات الآتية:

١ - قال الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)

٢ - قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

وتطلق كلمة «أمي» على الأميين في الآيات القرآنية:

١ - قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ **(الجمعة: ٢)**

٢ - قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾

(آل عمران: ٢٠)

٣ - قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ **(آل عمران: ٧٥)**

٤ - قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ **(البقرة: ٧٨)**

ننظر أولاً إلى الحالة الأولى وهي كلمة «أمي» التي تصف النبي محمدًا ﷺ ونجد أن التفسير الأكثر اعتمادًا لدى مفسري القرآن الكريم واللغويين هو ما جاء في لسان العرب محمد ﷺ نبي الله وصف بأنه أمي، لأن الأمة العربية لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة فأرسل الله لهم رسولاً من أنفسهم لا يقرأ ولا يكتب، وكانت هذه إحدى معجزاته، حيث كان يتلو عليهم كتاب الله

مباشرة من الوحي الذي يبلغه عن الله -عز وجل- دون تغيير أو تبديل كلماته، بينما كان الخطيب من العرب يعتمد على الإضافة أو الحذف في أي خطاب يعيده مرة أخرى ولقد اقتضت حكمة الله أن يظل كتابه محفوظًا لا دخل لنبيه فيما نزل منه وأخبره عن الذين أرسلهم قبله ، وهو ما يتميز به عنهم، وأنزل عليه بمناسبة ذلك قول الله -عز وجل-: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٨)

نستنتج من هذا الاستشهاد ما يلي:

١ - أن النعت (أميّ) تعني من لا يقرأ ولا يكتب.

٢ - أنها من كلمة «أمة» وتعني أمة العرب حيث كانت هذه الأمة في مجملها أمية، ولسان العرب يؤكد هذه الفكرة أكثر بقوله: «كان العرب يسمون بالأميين لأن الكتابة كانت لديهم نادرة أو غير موجودة» واستشهد بالحديث النبوى الشريف قال رسول الله ﷺ : «بعثت إلى أمة أمية».

٣ - معنى آخر يورده لسان العرب للفظ (أميّ) و (أميون) وهو معنى ينطبق أكثر على الأمم، أي الحالة الثانية التي ذكرناها قبل ذلك ويستشهد هنا برأي العالم اللغوى الكبير أبى إسحاق الزجاج المتوفي في (٣ جمادى الثانى سنة ٣١١هـ/ ٢٥ - ٩ - ٩٢٣م) ، الخامس والعشرين من سبتمبر سنة (٩٢٣م)، حيث

يقول الزجاج: «الأمي هو الذي يظل كما ولدته أمه»، أى: لم يتعلم الكتابة فهو أمي لأن الكتابة صنعة مكتسبة وهو في هذه الحالة ظل كما ولدته أمه وتبعًا للمعنى فإن كلمة «أمي» جاءت من كلمة «أم» ونحن هنا أمام أصلين لهذه الصفة «أمي».

الأصل الأول : أمي مصدرها أُمَّة.

الأصل الثانى: أمي مصدرها من الأم.

وكلا الأصلين للكلمة يمكن أن يقبل من الناحية النحوية وليس هناك مشكلة في هذا الصدد، ولكن من ناحية المعنى هناك اختلاف كبير ينشأ عن استخدامنا للأصل الأول أو الأصل الثانى لأن الأصل الثانى للكلمة «أمي مشتقة من الأم» يسمح لنا أن نقصد بكلمة أمي من لا يقرأ ولا يكتب، أما الأصل الأول للكلمة «أمي مشتقة من أمة» فلا يسمح لنا أن نقصد بهذه الكلمة من لا يقرأ ولا يكتب.

ولذلك فإن الذين يظنون أن معنى كلمة أمي التي يوصف بها النبي ﷺ أنه ينتمى إلى الأمة العربية يخدعون أنفسهم لأنه من الزيف أن نقول: إن الكتابة كانت نادرة أو غير موجودة عند العرب ومن ناحية أخرى فإن كثيرًا من الأمم كانت على نفس شاكلة الأمة العربية في هذه الحالة؛ لماذا إذن حصر هذا النعت على الأمة العربية لتختص به وحدها دون سواها، خاصة أنه يمكن الاعتراض على هذا استنادًا إلى الآيات التي استدللنا

بها في الحالة التي ورد فيها لفظ (أميّ) و (أميون) للدلالة على الأمم، حيث إن الأمر يتعلق بأمم كثيرة متعارضة أو موازية مع أمتى التوراة (اليهود) والإنجيل و(المسيحيين)، أي أهل الكتاب بصفة عامة.

* أولاً: آراء المستشرقين:

نعرض الآن لآراء المستشرقين الأوروبيين حول معنى كلمة أمي وأميون:

ـ من أوائل الذين تناولوا هذه القضية سبرنجر في كتابه «حياة وعقيدة محمد» برلين سنة (١٨٦١م) وذلك من ثلاث زوايا.

١ ـ في الجزء الأول (ص٣٠١) «لقد كان أهل الجزيرة العربية قبل محمد منقسمين إلى أهل الكتاب والوثنيين، وكان أهل الكتاب يتشكلون من اليهود والنصارى والصابئين وهم القبائل التي لها وحى منزل فيما لم يكن للوثنيين أي شيء من ذلك».

٢ ـ الجزء الثانى (ص٢٢٤) أمي تساوى وثني.

٣ ـ الجزء الثالث (٤٠١ ـ ٤٠٢) «يزعمون أن أمي تعني الإنسان الذي يتسطيع القراءة لكنه لا يستطيع الكتابة وهذا الرأي يعتمد على آية فهمت خطأ في القرآن الكريم في سورة البقرة وهي: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ

أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ (البقرة: ٧٨،٧٩)، وعلى أي حال فإن هذه الآية حرفت عن معناها حيث يقول ابن إسحاق: إن كلمة أميين والتي ترجمتها بمعنى قراء وهي توجد في آيات أخرى من القرآن بهذا المعنى وتعني أيضًا قراءة... ويعتبر معنى الآية التي استشهد بها سبرنجر ومنهم أميون لا يستطيعون الكتابة وإنما القراءة أي أن (الأمانى) تعني القراءة... ونجد البغوى يفسر معنى أمانى بمرادفها فيقول، «أمانى تعني الأحاديث المفتعلة» ويذهب أبو عبيدة في تفسيره بعيدًا حيث يقول: «الأمانىَّ» أشياء محفوظة عن ظهر قلب تتلى بغير كتاب... ولقد فسر الفراء الأمي بقوله: «الأميون هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب».

البراهين التي ساقها «سبرنجر» تستدعى الملاحظات التالية:

١ ـ البرهان الأول باطل لأن سبرنجر لم يعتمد على وثيقة... فلو وجدنا نصًا جاهليًا من عصر ما قبل الإسلام يؤيد تلك التفرقة بين أهل الكتاب والأميين (الوثنيين) لما كان هناك مشكلة، ولكن سبرنجر أوقع نفسه في حلقة مفرغة.

٢ ـ القول الثانى كون كلمة أمي تعني وثني، فهذا فرض سار عليه كل من ڤنسنك هورفيتز وبلاشير ورودى باريت وآخرون وغيرهم.

٣ ـ القول الثالث ويتعلق بالرأي القائل: إن (الأميّ) هو الذي يقرأ ولا يكتب، وهو رأي ينسب إلى الإمام الشيعى جعفر

الصادق (انظر المرجع في المقال «أميّ» في كتاب إدوارد وليم ــ القاموس العربى الإنجليزى ــ لندن أدنبرة (١٨٦٣ ــ ١٨٩٣م).

لننتقل بعد هذا للمستشرق فنسنك وهورفيتز:

١ ـ أما عن ڤنسنك فإنه يؤكد في مقال نشره في مجلة «الشئون الشرقية» من الصفحة (٢) إلى (١٩) أن كلمة «أمي» تقال لوصف غير أهل الكتاب وهو نفس المعنى الذي حدده سبرنجر قبله بأكثر من خمسين عامًا... ولكنه أضاف أن كلمة «أميّ» مشتقة من أمة بمعنى شعب وثني «ع رقي» ويتوافق مع الكلمة العبرية «جويم» وردد فنسنك نفس الرأي في كتابه «العقيدة الإسلامية» كمبردج (١٩٣٢) صفحة (٦٠)، والجديد عنده هو المقارنة بين الكلمة العربية «أمة» والكلمة اليهودية «جويم».

كلمة «جويم» موجودة في التوراة «سفر التكوين» (١٤:١) في عبارة «تدعال ملك جويم وتدعال كان أحد أربع ملوك شنوا الحرب ضد الملك برشاع في وادى الأردن ومن الممكن أن يكون (تدعال) هو نفس الملك المشهور هتييتى تودها، أما معنى كلمة «جويم» تطلق على شعوب الإمبراطورية الحيثية وكذلك تطلق «جويم» على منطقة أعلى الزاب ففي كتاب يشوع كان أحد الملوك الكنعانيين الذين غلبهم يشوع اسمه ملك جويم الجلجال كما جاء في الترجمة الإخائية باسم «ملك

جلجال الغريب» القاموس الموسوعى للتوراة جويم تورنهدت ـ بريولس (١٨٩٦م)، وعلى العموم فكلمة جويم في العبرية تعني الأمم، ويمكن أن تكون ترجمة للكلمة الأكادية «عومان» انظر الموسوعة اليهودية ـ جويم (٦٨٣).

وهكذا نرى أن كلمة جويم لم تكن واضحة لدى اليهود ولا معروفة عند العرب قبل الإسلام إذن افتراض ڤنسنك مزيف بصورة كاملة.

٢ ـ كذلك بحث هورفيتز عن مقابل عبرى آخر تناول القضية في اثنين من كتبه.

* «الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن» ـ حولية كلية الاتحاد العبرى ـ المجلد الثانى ـ أوهايو (١٩٥٢م) ـ طباعة أوفست ـ هيلدشيم.

* «مباحث قرآنية» ـ برلين وليبزج (١٩٢٦م).

ويدعي هورفيتز وهو عالم متحيز ويحمل نوايا سيئة تجاه الإسلام يدعي أن (أميّ) تعني وثني، ولذلك فهو يترجم التعبير العبرى «أمة هاعولام» بمعنى «شعوب العالم في مقابل شعب إسرائيل».

ولكن من السهل علينا تفنيد هذا الرأي الفاسد (فأميّ) لا تعني وثني والنبي ﷺ وصف نفسه بأنه نبي أمي وهو يجادل اليهود، ومن المستحيل والمخالف للواقع أن يصف النبي (ﷺ) نفسه بأنه (أميّ) وهو يقصد كافرا أو وثنيا لأن بهذا المعنى تكون

صفة أمي فيها نوع من الإهانة.

* أيضًا هل كان فرانتس بول (Frants Buhl) محقًا في قوله: «إنه لمن المثير للدهشة أن يقتبس محمد من اليهود كلمة في لغتهم تعني الاحتقار» (حياة محمد ـ ترجمة ألمانية هيلدبرج سنة ١٩٥٥م)، وحسب قول بول فإن تعبير أمي مشتق من أمة والتي تقابل اللفظ اليونانى لايكوس (علمانى) Likos ويرى «بول» أن محمدًا كان يعرف فن القراءة والكتابة لكن الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى لم تكن مفهومة بالنسبة له، وهذا القول يطابق الواقع، فلقد أوضحه القرآن غير مرة... إن نقل محمد لعبارات أو قصص توراتية تكشف عن إهانات كان من المستحيل أن تورد لو كان محمد يستطيع قراءة الكتابة التوراتية.

إذًا «فبول» يرى أن محمدًا كان يعرف القراءة والكتابة ولكنه فقط لم يقرأ التوراة مباشرة وإلا لما كان من الممكن أن يهان لمرات عديدة في نقله أو تسجيله لعبارات أو قصص توراتية وحسب قول بول فإن محمدًا لم يكن يعرف التوراة والأناجيل إلا من خلال الذين علموها له.

ولكى نوضح ذلك فكيف نفسر كلمة «أمي» حسب رأي «بول» بأنها مشتقة من أمة بمعنى شعب، أى: أنها تعني غير دينى

أى: أن محمدا رجل غير عالم بالأمور الدينية أى: جاهل دينيًا وفيما يتعلق بنبي مؤسس دين فإن هذا الوصف مثير للسخرية إذ كيف يمكن أن يصف النبي محمد (ﷺ) نفسه أمام اليهود والنصارى بأنه رجل جاهل بالمسائل الدينية؛ ولذلك نرى «بول» أكثير عبثية من فنسنك وهورفيتز.

* كتب نللينو (Nallino) حول الموضوع مقالاً صغيرًا نشر بعد موته ضمن (أعماله الكاملة والمخطوطات المنشورة وغير المنشورة) المجلد الثانى في روما (١٩٤٠م) صفحة (٦٠-٦٥) تحت عنوان «معانى المفردات القرآنية».

«أمي» ذلك اللفظ المنطبق على محمد وكذلك الأميين حيث يؤيد الرأي القائل بأن أمي مشتقة من الأمة العربية، وهذا هو الرأي الذي وجدناه في لسان العرب لابن منظور ولكنه أورده مبتسرًا دون أن يوضح أن العرب لم يكونوا في مجملهم يعرفون الكتابة أو القراءة ويرى ڤللينو أن «أمي» تأخذ بعدًا عرقيًا أو متعصبًا للقومية.

ورأي «نللينو» لا يمكن أن يقبل على أي حال لأنه قائم على فرضية خاطئة تمامًا وهي أن محمدًا مرسلٌ فقط إلى الأمة العربية كما كان موسى مرسلاً إلى شعب إسرائيل وعيسى مرسلاً إلى أمة فلسطينية (ماهي لا أحد يعرف) إن خطأ تلك الفرضية المتعصبة يبدو واضحاً للعيان وذلك لأن:

(أ) النبي محمدًا ﷺ أرسل في سنة (٦٢٨م) خطابات

إلى ملوك العالم الأربعة في عهده وهم: هرقل الثاني إمبراطور بيزنطة، وكسرى أنوشروان ملك الفرس، والمقوقس حاكم مصر، وملك الحبشة وهذا يوضح بجلاء أن محمدًا (ﷺ) كانت رسالته عالمية لكل أمم العالم ولو كان نبيًا مرسلاً فقط إلى الأمة العربية لما فكر في إرسال هذه الرسائل الأربع إلى حكام العالم المعروفين في ذلك الوقت يدعوهم إلى اعتناق الإسلام هم وشعوبهم.

(ب) يؤكد القرآن بوضوح أن النبي محمدًا (ﷺ) مرسل إلى الجنس البشري كله:

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **(سبأ: ٢٨).**

قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ **(النساء: ٧٩).**

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾

(الأعراف:١٥٨)

إذًا ليس ثمة ريب في أن النبي محمدًا (ﷺ) رسول من الله -عز وجل- إلى كل البشر دون تفرقة بسب الجنس أو القومية أو الحدود أو اللغة واللون إن عالمية الرسالة المحمدية حقيقة ثابتة لا مراء فيها.

* ثانيًا ـ تفسيرنا:

في ضوء تلك الحقيقة الثابتة نطرح تفسيرنا لكلمة «الأميّ» التي تنطبق على النبي محمد (ﷺ).

إن كلمة «أميّ» صفة نسب من كلمة «أمم» جمع «أمة» وكما يوضح علم الصرف فإنه لكى ننسب إلى اسم جمع لابد أن «نرده» إلى المفرد «أمة».

إذًا في رأينا أن كلمة «أمي» المشتقة من «أمم» في الجمع المردودة إلى أمة في المفرد تعني عالمى وصالح وموجه لكل «الأمم».

إذًا النبي الأمي هو النبي المرسل والموجه إلى كل «الأمم» أو بمعنى أصح النبي العالمى.

أما عن الأميين «بالجمع» التي وردت أربع مرات في القرآن الكريم[1] تعني البشر من مختلف الأمم أو كل الأمم.

وفي ضوء هذا التفسير يمكن أن نفهم المواضع الأربعة التي أوضحناها كالتالى:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة: ٧٨)

وتفسير هذه الآية أن من بين الأمم من لا يفهمون الكتاب إلا بطريقة جزئية ومزيفة.

وأن الله -عز وجل- أرسل إلى الأمم رسولاً من بينهم أي إنسانًا من البشر ليس مجسدًا كما يقول النصارى وليس شخصًا فوق البشر كما يقول اليهود، وتفسيرنا ينطبق بشكل «تام» على المواضع الأربعة التي يوجد بها لفظة أميين في القرآن الكريم.

وتبدو للعين مباشرة عبثية التفسير الذي يجعل من (الأميين) مرادفًا للوثنيين (سبرنجر ـ فنسنك ـ بلاشير ... إلخ) خاصة عندما نقرأ الآية الكريمة (٧٨) من سورة البقرة ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ لأن هذه الآية ستكون حشوًا لا فائدة منه.

فالأميون لا يعرفون الكتب المقدسة، ومن هنا لا يعقل لومهم على فعل كهذا وإلا لكان من الممكن أن نلوم المسيحي لأنه لا يعرف الكتابات البوذية ... وهكذا ختامًا نرى أن كلمة «أمي» المنطبقة على النبي محمد ﷺ تعني «عالمى» مرسل إلى جميع الأمم، وكلمة «أميين» تعني الأمم كل الأمم.

وربما كان من المفيد أن نتتبع تاريخ هذه الكلمة «أميّ» واستعمالها لدى الشعراء والناثرين على الأقل خلال القرون الخمسة الهجرية الأولى، وسوف نرى إلى أي مدى كان لها معنى «الذي لا يجيد القراءة والكتابة».

الفصل الثانى
«الموازاة الخاطئة بين القرآن والعهد القديم»

منذ قرون عديدة والبحث مستمر عن مصادر توراتية أو شبه توراتية في القرآن (وهي التلمود فيما يتعلق باليهودية والأناجيل فيما يتعلق بالمسيحية)، ولكن بداية من القرن التاسع عشر أصبح لهذا البحث سمات تبدو علمية وخصصت منشورات وكتب لهذا الموضوع منها ما هو محدود الانتشار، ومنها ما هو واسع الانتشار، وتنقسم هذه الدراسات إلى قسمين:

أولاً : كتب أو دراسات ذات اتجاه يهودى أو متعلقة باليهودية.

ثانيًا : كتب أو دراسات ذات اتجاه مسيحى أو متعلقة بالمسيحية.

* كتب ذات نزعة يهودية ونذكر منها :

١ - إبراهام جيجر : «ماذا أخذ محمد من النصوص اليهودية؟» بون سنة (١٨٣٣م) - ط ٢ - ليبزج سنة (١٩٠٢م) إعادة طبع (١٩٦٩م).

٢ - هيرشفيلد : ١ - العناصر اليهودية في القرآن - برلين (١٨٧٨م)

- مقالة في شرح القرآن - ليبزج سنة (١٨٨٦م).

- أبحاث جديدة في فهم وتفسير القرآن - لندن سنة (١٩٠٢م)

٣ - سيدرسكى : أصل الأساطير الإسلامية في القرآن - باريس سنة (١٩٣٣م).

- هاينريش سبرنجر (قصص الإنجيل في القرآن) - باريس، ط ٥ ، برلين وليبزج (١٩٢٩م).

- هورفيتز : (بحوث قرآنية) - برلين وليبزج سنة (١٩٢٦م).

- الأسماء اليهودية ومشتقاتها في القرآن - حوليات الكلية العبرية، المجلد الحادى عشر سنة (١٩٢٥م) ، صفحة (١٤٥ - ٢٢٧)

٦ - إسرائيل شابيرو : الحكايات التوراتية في أجزاء القرآن - برلين (١٩٠٧م).

* الكتب ذات التوجه المسيحي التي يمكن أن نذكر منها :

١ - ريتشارد بيل : - أصل الإسلام في بيئته المسيحية - لندن سنة (١٩٢٦م)، وأعيد طبعه سنة (١٩٦٨م).

- مقدمة في القرآن أندنبرج سنة (١٩٥٣م).

٢ - تور أندريا : أصل الإسلام والمسيحية - أوبسلو سنة (١٩٢٦م).

وسنقوم الآن بتحليل منهج هذه الكتب.

يؤكد كل هؤلا الكتاب أن محمدًا ﷺ باعتباره مؤلفاً للقرآن اقتبس أغلب القصص وعددًا كبيرًا من الصور البيانية وكذلك الحكم والأمثال من الكتب المقدسة أو شبه المقدسة لدى اليهود والنصارى.

ولكي نفترض صحة هذا الزعم ، فلابد أن محمدًا كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولابد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود والأناجيل المسيحية ومختلف كتب الصلوات وقرارات المجامع الكنسية وكذلك بعض أعمال الأدباء اليونانيين وكتب مختلف الكنائس – والمذاهب المسيحية.

هل يمكن أن يعقل هذا الكلام الشاذ لهؤلا الكتاب وهو كلام لا برهان عليه؟

... إن حياة النبي محمد ﷺ قبل ظهور رسالته وبعدها معروفة للجميع على الأقل في مظاهرها الخارجية ولا أحد قديمًا أو حديثًا يمكن أن يؤكد أن النبي محمدا ﷺ كان يعرف غير العربية إذًا كيف يمكن أن يستفيد من هذه المصادر كما يدعون!

اعتراض ساقط آخر مما قاله هؤلاء الكتاب وهو يعتمد على الصياح بالقول إن في القرآن انتحالاً ويحدث ذلك عندما يذكر القرآن حقيقة عامة ذكرت في الكتب المقدسة اليهودية والنصرانية وقبل ذلك... وكأنه يجب على القرآن الكريم حتى يكون بريئًا من

أي انتحال أن يقول أشياء مخالفة للعلم العام أو الرشاد.

في كل مرة يجد هؤلاء الكتاب كلمة أو كلمتين متشابهتين بين القرآن وأى جزء من التوراة، فإنهم ينتهون إلى المطابقة بين القطعتين ويمكن أن يذهب بهم السخف إلى أبعد من ذلك... ويعتبر هيرشفيلد أستاذ هذا الاتجاه العقيم العبثى.

(مزاعم هيرشفليد ١٨٥٤م - ١٩٣٤م).

يرى هيرشفيلد أن هناك بعض المتشابهات بين القرآن والتوراة

(١)

سورة الرحمن	سفر المزمور (١٣٦) (العهد القديم)
الآية (٥) : ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾	الآية (٨) : «الشمس لحكم النهار»
الآية (٦) : ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾	الآية (٩) : «والكواكب لحكم الليل»
الآية (٧) : ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾	الآية (٥) : «الصانع السموات بفهم»
الآية (٩) : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾	الآية (٦) : «الباسط الأرض على المياه»

إنني أدعو من القارئ أن يتمعن في النصين ويوضح لي وجه الشبه بينهما ... في الواقع لا يوجد أي شبه بينهما، فالقرآن يتحدث هنا عن السمة الدائرية لحركة الشمس والقمر، بينما لا يذكر المزمور عن ذلك أي كلمة، كذلك فالقرآن يؤكد أن الأعشاب والأشجار تسجد لله -عز وجل-، وهذه فكرة غائبة بالكلية في المزمور، أيضًا فإن المزمور يتحدث عن الحكمة التي بها خلق الله السموات، ولكن القرآن لا يتحدث إلا عن فعل الله في رفع السماء من خلال الآية رقم (٩) أكد القرآن أن الله وضع الأرض لصالح الإنسانية جمعاء، بينما تتحدث الآية (٦) في المزمور فقط عن ظاهرة جغرافية بسيطة وهي أن الأرض تتمدد فوق المياه.

إذن أين وجه الشبه بين القرآن والمزامير في هذا النص، أي تهيؤات جعلت هيرشفيلد يؤمن بوجود وجه شبه أو ربما اقتباس هنا!

نفس التهيؤات المرضية هي التي جعلت هيرشفيلد يعتقد بوجود تشابه، سورة النحل والمزمور(١٠٤).

(أ)

المزمور(١٠٤)	سورة النحل
الآية (٤) : «الصانع ملائكته رياحًا وخدامه نارًا ملتهبة»	الآية (٢) : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾

تحدث القرآن الكريم في سورة النحل ، الآية (٢) عن إرادة الله –عز وجل– المطلقة في أن يختار من بين الناس من عباده شخصًا يؤدي المهمة النبوية الشريفة، وأن الله ينزل عليه ملكا مثل جبريل –عليه السلام– لينقل له أمر الله في هذا الموضوع على العكس فإن الآية (٤) في المزمور (١٠٤) لا تتحدث إلا عن ظواهر جوية وطبيعية!!

ونواصل رحلتنا مع هيرشفيلد ومع التشابه المزعوم بين سورة النحل والمزمور ١٠٤ .

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٣) : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾	الآيـة (٢) : «اللابس النور كثوب الباسط السموات كشقة» الآية (٥) : المؤسس الأرض على قواعدها»

أسأل نفسى مرة أخرى بكثير من الدهشة، كيف استخلص هيرشفيلد وجود علاقة بين النصين اللذين قارن بينهما؟

إن الآية القرآنية تتحدث عن حكمة الله وقدرته في خلق السموات والأرض في انسجام تام دون أن تقع الأولى على الثانية مما يثبت أنه لا إله إلا الله واحد أحد لا شريك له.

وفي المقابل لا يتحدث المزمور إلا عن سذاجة نادرة فالسموات مثل البساط والأرض قائمة على قواعد ثابتة.

المزمور(١٠٤)	سورة النحل
الآية (٣) : «المسقف علاليه بالمياه الجاعل السحاب مركبة الماشي على أجنحة الريح»	الآيــة (١٠) : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾

إنه لمن الواضح أن النصين يتحدثان عن شيئين مختلفين، فالقرآن يتحدث عن النعمة العظيمة المسداة إلى الناس حتى يستطيعوا أن يعيشوا هم وأنعامهم وتلك النعمة هي المطر الذي ينزله الله -عز وجل- من السماء، بينما يتحدث المزمور عن المنازل والوسائل التي يستخدمها الله.

إذن ليس ثمة علاقة بين الموضوعين المتناولين، ومن ناحية أخرى فإن آية المزمور مجسمة ومادية ومن المستحيل أن يكون لها صدى في القرآن، لأنها صورة شنيعة مخالفة لما عليه المفهوم الإسلامي والقرآن لله -عز وجل-.

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآيـة (١١) : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الآية (١٤) : «المنبت عشبًا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان لإخراج خير من الأرض» الآية (١٥) : «وخمر تفرح قلب الإنسان لإلماع وجهه أكثر من الزيت وخبز يسند قلب الإنسان».

يتحدث القرآن الكريم عن المطر الذي ينبت الحبوب والزيتون والنخيل بينما يتحدث المزمور عن الله مباشرة ويؤخر نعمة الخمر، بينما لم يتحدث القرآن مطلقًا عن الخمر تلك التي تحيي قلوب البشر وتلمع وجوههم وهو كلام يخالف مخالفة صريح ما قاله الله -عز وجل- في قرآنه الكريم في سورة البقرة الآية (٢١٩) : ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وكذلك في سورة المائدة، الآية (٩١) : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾.

إذن فالنصان بمعنى أصح ليس بينهما علاقة .. بل إنهما مختلفان تمام الاختلاف وعلاوة على ذلك فإن المزمور يتحدث فقط عن النباتات بوجه عام بينما القرآن الكريم يتحدث عن نباتات محددة وهي الزيتون والنخيل والأعناب.

(هـ)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (١٤) : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	الآية (٢٥) : «هذا البحر الكبير الواسع الأطراف هناك دبابات بلا عدد صغار حيوان مع كبار» الآية (٢٦) : «هناك تجرى السفن لوياثان هذا خلقته ليلعب فيه».

إن النصين يتحدثان عن البحر ولكن بطريقة مختلفة تمامًا، فالقرآن الكريم يتحدث عن النعم المتعلقة بالبحر كالأسماك ويعدها كنعم منحها الله -عز وجل- للبشر، بينما يكتفي المزمور بوصف البحر بالفكاهة في قوله إن الله خلق التمساح ليلعب في البحر.

(و)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٣٨) : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الآية (٢٩) : «تحجب وجهكَ فترتاح تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود»
الآيـــة (٦٥) : ﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾	
الآية (٧٠) : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	

أى تهيؤات دعت هيرشفيلد ليعتقد بأن هذه الآيات الأربعة الغنية بالأفكار إنما هي صدى لهذه الكلمات القليلة من المزمور (١٠٤)، الآية (٢٩).

إن القرآن الكريم هنا يتناول قضية بعث الموتى ويعلن أن ذلك ممكن ما دامت الأرض تعود حية بعد موتها بفعل نزول المطر بمشيئته سبحانه وتعالى أما المزمور فلا يتحدث إلا عن أن الله يرسل العاصفة على البشر ويموتون ... إن القرآن الكريم يتحدث عن بعث الموتى، بينما يتحدث المزمور عن الموت مطلقًا فالقرآن والمزمور هنا مختلفان كلية أو على الأقل يتحدثان عن أشياء مختلفة كلية.

(ز)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٤٢) : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	الآية (٢٧) : «كلها إياك تترجى لترزقها قوتها في حينه»

إن النصين لا يتحدثان عن نفس الشيء... القرآن الكريم يتحدث عن الصبر والإيمان والتوكل على الله سبحانه وتعالى، بينما يتحدث المزمور عن الأمل الذي عند الناس في أن يمنحهم الله غذاءهم في الوقت الذي يريده ويتحدث القرآن عن المثل العليا والفضائل التي يجب أن يتحلى بها المؤمنون، بينما لا يفكر المزمور إلا في حاجات البطون.

(ح)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٤٩) : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	الآية (٣٣) : «أغنى للرب في حياتى أرنم لإلهي ما دمت موجودًا»

ليس هناك علاقة بين النصين، لأن القرآن الكريم هنا يتحدث عن كل المخلوقات في السموات وفي الأرض وكذلك عن الملائكة ويؤكد أنهم كلهم يسجدون لله -عز وجل-، وفي المزمور فرد واحد فقط هو الذي يمدح الله... بينما في القرآن كل الخلق يمدحونه سبحانه... يا لها من فردية في المزمور ويالها من عالمية في القرآن.

(ط)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٥٠) : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	الآية (٣٤) : «فيلذ له نشيدى وأنا أفرح بالرب»

نفس الأنانية (في المزمور) والخشوع والطاعة والتواضع في القرآن الكريم.

(ى)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٦١) : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾	الآية (٣٥) : «لتبد الخطاة من الأرض والأشـرار لا يكونوا بعد باركى يا نفس الرب».

هنا يوضح القرآن الكريم لماذا لا يعاقب الأشرار في الدنيا، بينما يطلب المزمور على العكس من ذلك أن يختفي المذنبون من على الأرض وأن يفنى الكافرون حالاً، إن سياق القرآن مختلف تماماً عن سياق المزمور.

(ك)

سورة النحل	المزمور(١٠٤)
الآية (٧٩) : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	الآيـة (١٢) : «فوقها الماء طيور السماء تسكن». الآية (١٧) : «حيث تعيش هناك العصافير أما اللقلق فالسرو بيته».

إن القرآن الكريم هنا يتحدث عن آية من آيات الله وهي أن الطير يسبح في جو السماء بقدرته المطلقة سبحانه وتعالى عكس قانون الجاذبية الأرضية، بينما يوضح المزمور أن الطيور تتهادى قريبًا من مصادر المياه وتعيش بين أوراق الشجر دون أية إشارة إلى تلك القدرة الإلهية التي توجه الطيور في السماء.

هذه الأمثلة تكفي لتوضيح الطريقة التي تصرف بها وفهمها هيرشفيلد في كتابه «بحوث جديدة في فهم وتفسير القرآن» لندن سنة (١٩٠٢م)... لقد زعم وجود أوجه شبه وتماثل، بينما في الحقيقة لا يوجد شيء من ذلك.

وهذا يثبت أنه كان ضحية لهوس مرضيّ سببه ذلك التعصب الأعمى المختلط بالزهو والغرور .. إنه يصل بهذا السخف إلى نهايته حين يقرر أن القرآن وهو نص الإسلام المكتوب ليس إلا تحريفًا للتوراة، «المرجع السابق» - المقدمة صفحة (١١)

إننا نجد أيضًا ذلك العمى المرضيّ في مقاله «العناصر اليهودية في القرآن» برلين - (١٨٧٨م)، وكذلك في كتابه «مساهمات حول تفسير القرآن» ليبزج (١٨٨٦م)، ولذلك فهذه الكتب لا تستحق أن ندرسها.

ونستعرض الآن رأي بعض العلماء في أعمال هيرشفيلد.

(أ) قال «سيدرسكى» بعد أن عرض عناوين كتب هيرشفيلد: «للأسف، فإن هذا العالم لم يضف أي شيء يذكر فيما يتعلق

بأصل الأساطير القرآنية» «أصول الأساطير الإسلامية» باريس (١٩٣٣م) صفحة (٢) رقم (١).

(ب) في الجزء الثانى من كتابه «القرآن تعليق وتحليل» «شتوتجارت» (١٩٧١م) صفحة (١٢) يحدد «رودى باريت» كتاب هيرشفيلد «بحوث حديثة» صفحة (١٠١، ١٠٣) حول الحروف الموجودة في أوائل بعض السور، لكن مرجعه ليس دقيقًا ، لأنه في صفحة (١٤١ - ١٤٢)، وليس في صفحة (١٠١،١٠٣) حيث تناول هيرشفيلد قضايا الجذور، ويذكر رأيًا آخر لهيرشفيلد فيما يتعلق بكلمة حطة في سورة البقرة، الآية (٥٨) ، ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة، ٥٨)

يقول هيرشفيلد : ربما تكون كلمة حطة مأخوذة من صيغة الاعتراف بالذنب التي تعود إلى المشناه «يومًا» ، ولكن باريت لا يعلق على رأي هيرشفيلد ذلك الرأي الخاطئ، لأن المشناه في الموضوع الذي استشهد به لا توجد بها كلمة حطة أو كلمة لها نفس المعنى أو النطق أو قريبًا منه مما يؤكد مرة أخرى أن هيرشفيلد يقول أي شيء دون أدلة أو وثائق يستند إليها، ويدلي «باريت» في صفحة (١٩ - ٢٠) من كتابه «القرآن تعليق وتحليل» بآراء أخرى «لسبير» وهي متعلقة بتفسير كلمة «حطة» والتي ما يزالون يتشبثون بأنها كلمة عبرية أو محرفة عن كلمة عبرية.

وفي التفاسير الإسلامية كلمة «حطة» معناه باعتبارها عربية: اغفر لنا ذنوبنا أو «حط عنا أوزارنا» كما أن «بلاشير» يترجمها صراحة بكلمة «العفو».

إن سبيير يزعم أن كلمة «حطة» هي تحريف للكلمة العبرية «حطنو» الآية (٤٠) من الكتاب الرابع لموسى «سفر العدد» حيث يقول .. غدًا في الصباح الباكر ينطلقون نحو قمة الجبل قائلين إننا مستعدون أن ننطلق نحو المكان الذي حدده الله لأننا أذنبنا» ومع أن هذه الآية تطابق المعنى المقصود، فإن سبيير يقول «إن محمدًا ظن أن اليهود الذين رفضوا أن يدخلوا الأرض المقدسة قد قصدوا» بهذه الكلمة معنى ثانويًا بمقتضاه عضدوا رأيهم السابق «أرسى حطة» : «الأرض الحنطة» إذا كان يمكن أن يقول الإسرائيليون حطانوا **Hadanu** ولكن دون أن يقصدوا المعنى الحقيقي ولكن يقصدون فاكهة تلك الأرض المقدسة وليس أمر الله، (سبيير) «الخطابات التوراتية في القرآن» صفحة (٧٣٣).

ولكن تفسير «سبيير» هذا متعنت ومعقد ومن الصعب أن يكون حقيقيًا إنه يعتمد على القول بأن الإسرائيليين عندما كانوا في مواجهة الأرض المقدسة... كان موسى قد أرسل أناسًا يستطلعون تلك البلاد وعند رجوعهم من مهمتهم وصفوا تلك البلاد وأحسوا بالذنب لكذبهم.

«وفي الغد منذ الصباح الباكر سينطلقون نحو قمة الجبل قائلين إننا مستعدون للمسير نحو المكان الذي أراده الرب، لأننا أخطأنا «حطانو» ولكن بدلاً من أن يقصدوا بتلك الكلمة معناها الحقيقي فإنهم قرنوها بمعنى آخر حسب لوم محمد كما يقول سبيير وفكروا في كلمة «حطة» بمعنى قمح.. ياله من تفسير رائع ذلك الذي يفترض أن محمدًا كان عالمًا ممتازًا بالعبرية وإلا من أين له بلوم الإسرائيليين؟

وإذا كان قد أخذه من يهود المدينة، إذًا فماذا يوضح لنا هذا اللوم في الأدب اليهودي!! وكل هذه البراعة الكاذبة من أجل توضيح افتراض خاطئ وهو أن كلمة «حطة» ذات أصل عبرى.

إنه يختلق أكذوبة ويصبح ضحية لتلك الأكذوبة وهو مجبر أن يوضح بكل الوسائل حقيقة أكذوبته المزعومة.

هذا هو سلوك العلماء المزعومين ولكنها النتيجة المنطقية لتلك الأراء المبتسرة التي يدلي بها الباحثون اليهود في محاولة للبحث عن آثار عبرية يهودية في القرآن الكريم.

وحتى هورفيتز في كتابه «الأسماء اليهودية الحقيقية» صفحة (٥٤)، يعترف أن التفسير الذي يعرضه هيرشفيلد وسيدرسكى لا يعد كافيًا.

وفي النهاية نؤكد هذه الدراسات الثلاث «لهيرشفيلد» والتي خصصها للعلاقة بين القرآن الكريم والكتاب اليهودي المقدس

ليس لها قيمة لأنها قائمة على أوجه شبه فرضية وآراء مبتسرة ومقدمات لا أساس لها وتفتقر كلية إلى الفهم، وتعويضًا ومكافأة له عن تلك الصفات أصبح هيرشفيلد أستاذاً بجامعة لندن سنة (١٩٢٤م).

ثانياً : كلير مون جانو

(تشبيه النور – سورة النور الآية ٣٥)

نتعرض الآن لأوجه شبه أخرى ساقها مجموعة من علماء المستشرقين :

– د. ب – ماكدونلد : مادة – الله (موسوعة الإسلام) الطبعة الأولى.

– ر – بيل : جذور الإسلام صفحة (١٥١)

– كلير مون جانو «المصباح وشجرة الزيتون في القرآن» مجلة تاريخ الأديان العدد (٨١) سنة (١٩٢٠)، صفحة (٢١٣– ٢٥٩).

– سبيير : «القصص الإنجيلية في القرآن» صفحة (٢٦ – ٦٦ – ٤٣٠).

– فر – بهل سبيير : حول المقارنات والتشبيهات في القرآن «المجلة الشرقية» العدد (٢) سنة (١٩٢٤م)، صفحة (١–١١).

وهذه الآيات تتحدث عن مثل النور الإلهي الموصوف في سورة النور، الآية (٣٥)، قال الله تعالى :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٥)

إن هذه الآية هي مرجع معظم الصوفية المسلمين وهي أساس كل مذاهب الإشراق في الإسلام.

نستعرض كيف شرح العلماء المذكورون آنفًا هذه الآية حسب زعمهم.

(أ) ماكدونلد: يقول إنه حسب السياق يبدو أن في الآية اقتباساً من التقاليد المسيحية في الكنائس والأديرة وفي هذه الحالة فإن الصورة مأخوذة من الهيكل المغشى بالنور، وبهذا تكون التعبيرات القرآنية مرتبطة بـ «نور العالم» في الإنجيل ونور النور في شهادة الإيمان واليقين بالناسوت وما يدل عليه، وهذا التفسير يستدعى بعض التحفظات.

١ - أن الأنوار التي على الهيكل في الكنيسة كثيرة أما الآية القرآنية فلا تتكلم إلا عن نور واحد عظيم يملأ السموات والأرض.

٢- في إعلان العقيدة الذي ذكره ماكدونالد كتب : «أن الله نور من نور» أما القرآن الكريم فالآية تقول : ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ أي نور خالص وهكذا فالمعنى مختلف بين النصين.

٣ – لقد درج شعراء الجاهليــة مثل (امرئ القيس) على وصف مصابيح الرهبان التي يهرب منها النور وكأنه يتسلل من وحدة الاعتكاف والعزلة، ولم يكن النبي محمد ليستعير هذا التشبيه السائد آنذاك ويصف النور الإلهي؛ لأن ذلك يكون بمثابة الكفر.

– نؤكد لهذه الأسباب الثلاثة أن طرح ماكدونالد خاطئ.

ويزعم «كليرمون جانو» وجود مشابهة بين هذه الآية ومقطوعة من كتاب زكريا «العهد القديم» (٤/ ١–٣) حيث يقول : «ملك لم يتكلم عاد إلى ليوقطنى كما لو كان شخص ينبه شخصًا من نومه (٢)» وسألنى ماذا ترى؟ فأجبته «عندي رؤية .. رأيت مشكاة من الذهب بخزانة في الجزء العلوى وفي أعلاه سبع مصابيع وسبع أسنة لهذه المصابيح (٣) ومن جانبها زيتونتان الأولى عن يمين الخزان والأخرى عن يساره (٤) وواصلت كلامى سائلاً الملك الذي كان يكلمنى ماذا يعني ذلك؟ ثم قلت : لا يا إلهي، فقال لي : «هذه المصابيح السبعة تعني عيون الرب التي تكلأ الأرض» ثم سألته ماذا تعني الزيتونتان على يمين وشمال المشكاة؟ (٤)، فقال : هؤلاء الرجلان الموكلان بالزيت».

ولكننا لا نجد بصراحة علاقة أو تشابهاً بين مقطوعة كتاب زكريا والآية القرآنية.

ففي كتاب زكريا تتحدث المقطوعة عن مشكاة من الذهب مرفوعة على حامل من سبعة مصابيح ولها زيتونتان إحداهما على اليمين والأخرى على اليسار، بينما لا يوجد كلمة من هذا الكلام في الآية القرآنية.

إن مجرد الكلام عن سبعة مصابيح يتعارض كلية مع معنى الآية القرآنية التي تتحدث عن مصباح واحد فقط، لأن الله واحد وليس سبعة وتتحدث عن زيتونة واحدة وليس عن اثنتين وهذه الزيتونة ليست شرقية ولا غربية، لأنها روحانية، والروحانى لا يحده مكان ولا اتجاه.

لقد شعر «كلير مون جانو» بعد ذلك بالفرق الشاسع بين مقطوعة زكريا والآية القرآنية، فحاول التخفيف من التقارب المتعسف الذي زعمه بين النصين وذلك بقوله: «إذا كان محمد قد استعار النمط اليهودي المسيحي في تمثيله، فإنه يبدو أنه كان بعيدًا عن السياق الذي تناول ذلك النمط فيما يتعلق بشكل مصدر الضوء والذي حظي عنده بمكانة مهمة في التحليل، فالمشكاة ذات السبعة مصابيع في رؤية زكريا قد اختفت «المرجع السابق صفحة (٢٣٦)، ولكن ماذا يبقى إذًا من السبعة مصابيح في رؤية زكريا؟ لا شيء فيما عدا ذكر المصباح ومجرد ذكر المصباح لا يكفي مطلقًا لافتراض علاقة الاستعارة بين مقطوعة زكريا والآية القرآنية.

ثم هذا الاستطراد العقيم الذي يسوقه كليرمون جانو في موضوع مصادر النور التي توجد في الكاتدرائيات القبطية وكنائس بيت المقدس، صفحة (٢٣٨) لا دليل عليه لأنه يعترف بنفسه أن محمدًا ما وطئت قدمه بيت المقدس كزائر أو حاج صفحة (٢٤٣)، ولأنه مجرد من الحجة فإنه يعتمد على القول بأن تميمًا الدارى قد أعلم محمدًا بموضوع التقاليد والكنائس المسيحية، وليؤكد هذا الأمر فإنه زعم أن تميمًا الدارى كان له أثر على نفسية محمد وأفعاله صفحة (٢٤٧)، وأن تميمًا الدارى كان بالتأكيد أحد المعلمين الذين استعان بهم محمد ليشرحوا له ليس فقط العقائد ولكن أيضًا العادات والتقاليد وخدمة الكنيسة والطقوس المتعلقة بالمسيحية الشرقية صفحة (٢٤٨).

على أي شيء يعتمد كلير مون جانو ليزعم تلك المزاعم الخيالية؟

على لا شيء لأنه لا يعطينا أي مصدر ولا يبين لنا أي حجة منطقية أن ما قاله جانو مجرد توهمات صنعها خيال تائه.

ثالثًا : (هورفيتز ١٨٧٤ - ١٩٣١م)

١ - «أيّام الله»

- **قال الله تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾. **(إبراهيم: ٥)**

- **قال الله تعالى :** ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾. **(الجاثية: ١٤)**

*** تطابق آخر يزعمه هورفيتز في كتابه «دراسات قرآنية» صفحة (٢٢) بين أيام الله عبارة ميلهامت ياحوا «سفر العدد ٢١ الآية ١٤»، وفي ذلك يقول كما تذكر السورة رقم (١١٠)، والآية (١٩) بالتعاليم التي أخذها شعيب عن أسلافه، فإن سورة إبراهيم الآية (٥) تأمر موسى بأن يذكر قومه بأيام الله وهي تعبير معناه حسب السياق آلاء وعقوبات الله وهذا التعبير يمثل تقريبًا لملحمة ياحوا في «سفر العدد» (١٤٢)، وهو تعبير جاء في صيغة «أيام العرب».**

كيف توصل هورفيتز إلى هذا التطابق؟ لا أحد يدري ولا هو نفسه شرح ذلك.

وهذه هي مقطوعة سفر العدد «لهذا ذكرنا في تاريخ حروب الرب ملحمة ياهواه» VAHEB EN FA SOET LES AFFLUENATS DE ARRON المقطوعة الباقية من مجملها وهي النصوص الملحمية اليهودية.

وهذه المقطوعة تساعد في توضيح ما نذكره، الآية (٥) وللعلم فإن أرون يمثل حدود مملكة مؤاب من الشمال، ولا تحكي أي معركة للرب.

إذًا فهي لا تتكلم عن أي يوم مفرد من أيام الله.

إذًا فكيف يمكن لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يقتبس هذه المقطوعة حسب ما يفترض هورفيتز في مصطلح وفكرة «أيام الله».

هل كان محمد على علم بمحتوى تاريخ حروب الرب والتي لا يعلم أي عالم يهودى عنها شيئًا، والتي لم يبق منها سوى هذه المقطوعة البسيطة من الآية (١٤)، الجزء الحادى والعشرون من سفر العدد؟ ياله من زيغ وضلال ولكن هورفيتز ظل دائمًا أستاذ هذا الضلال.

في التفاسير والقواميس العربية «أيام العرب» تعني الحروب والصراعات والمعارك.

وفي هذا المعنى يقال : عالم متبحر في أيام العرب تعني أنه يعرف حروب العرب.

أما أيام الله في الآية (٥) سورة إبراهيم ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾معناها ذكرهم بنعم الله التي منحها لهم في بعض الأيام، وبالنقم التي أنزلها لمعاقبتهم كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود.

ويقول الفراء : «هذا يعني خوِّفهم وذكِّرهم بما حدث لقوم عاد وثمود وأقوام أخرى فليحذر العذاب الذي حل بغيرهم وليطلبوا المغفرة».

بينما يشرح مجاهد الآية هكذا «لم يكونوا يأملون في نعم الله «أيام الله».

إذًا أيام الله هنا بمعنى نعم الله، وعن أبى بن كعب عن النبي ﷺ «وذكرهم بأيام الله هذه الأيام هي نعم الله، وابن منظور ... «لسان العرب».... مادة (يوم)، إذًا فتعبير أيام الله لدى علماء المعاجم العرب ليست لها علاقة بأيام العرب ... فأيام الله عندهم هي نعمه ونقمه، والتي يقلبها مثل الأيام.

إذًا فليست هناك مشابهة لعدم وجود التعاقب في الحالتين للأيام الكونية من ناحية ونعم ونقم الله -عز وجل- من ناحية أخرى.

وهذا تفسير واضح وبسيط[1] إذًا لماذا نبحث عن أصل في كتاب مفقود ومذكور ضمنًا في سفر العدد؟

٢ - الكلمات المشتقة:

في نشرته الصغيرة التي تقع في (٨٣) صفحة تحت عنوان «أسماء الأعلام اليهودية والاشتقاقات في القرآن»

Jewish Propers Names and Dexivtivesin the koran "Ohio1925 Nachdruck olms, "Hildeshein 1964

يحاول هورفيتز أن يثبت أن الكلمات القرآنية (المؤتفكات - أمر - أمانة - بارك - تبارك - بهيمة - مثاني - خَلاَق - درس - رب العالمين - سكينة - صدقة - آزر - قيوم - كفارة - ماعون - منهاج - جبار - أحبار - ربانيين - سفك الدماء - قدوس - سورة - نبوة - بعير - عبادة - بور - صديق - جنات عدن - عليون - تزكى) كلمات مشتقة من العبرية، وأن محمدًا تعلمها من اليهود في مكة وخاصة يهود المدينة.

لكننا نلاحظ عكس هذا الاستنباط العشوائى أن :

(أ) كل من العربية والعبرية لغتان ساميتان ونتيجة لذلك فبينهما كثير من الظواهر العامة والمتشابهة.

إذًا فوجود ألفاظ في القرآن الكريم مشتركة بين العربية والعبرية لا يستلزم بالضرورة أن يكون محمد ﷺ قد اقتبسها من يهود عصره، بل يمكن أن تكون هذه الألفاظ قد وجدت في اللغة العربية قبل عهد سيدنا محمد ﷺ بوقت طويل، وأصبحت جزءًا أساسيًا من ثروة اللغة العربية.

(ب) وإذا قلنا : إن تاريخ اللغة العربية قبل الإسلام كان مجهولا تقريبًا بسبب عدم وجود نصوص أدبية متطورة، فإنه من المستحيل أن نحدد من اقتبس هذه الألفاظ المشتركة من الآخر

العربية أم العبرية؟

ولأننا ليس لدينا من عصور ما قبل الإسلام إلا بعض القصائد التي يثار جدل حول صحتها إن لم يكن مشكوكًا فيها، وبعض الكتابات القصيرة جدًا والتي تتناول موضوعات لا يعتمد عليها، إذًا فليس من الممكن أن نقول : إن محمدا ﷺ اقتبس هذه الألفاظ المشتركة مباشرة من يهود عصره.

تكفي هاتان الحجتان فيما نعتقد لإثبات فشل محاولة هورفيتز.

نتناول الآن بعضًا من هذه الكلمات لنوضح إلى أي مدى كان القول بأنها مشتقات عبرية تفسيرًا متعسفًا.

أولاً - «خلاق = نصيب» :

ـ قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾.. (البقرة: ٢٠٠)

ـ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(آل عمران: ٧٧)

يزعم هيرشفيلد أن هذا النموذج موجود في المشنا (EN LAHEM HELEQ LAOLAM أبحاث جديدة صفحة

(١١٤).

ويضيف هيرشفيلد «مع أن شكل الكلمة العربية لافت للنظر، فالألف الطويلة تجعل احتمال أن تكون هذه الكلمة مشتقة من الآرامية أكثر من احتمال كونها مشتقة من العبرية، وفي الواقع أن الآرامية عرفت الكلمة في شكل **HULAQ** يفترض أن يكون محمد قد عرف هذه الكلمة أولاً في أشكالها المركبة مثل **HULaq alma dete** تارجوم إيستر ٢٥ - ٣٤.

HULAKA BEA LMAHADEN- V- BE - ALMADEA TA

نتيجة لذلك ومن خلال وسيط يهودى تم النقل - ففي الواقع كان المسيحي الفلسطيني يعرف كلمة **HALAQ** بمعنى نصيب، ولكن الكلمة لم تكن ساعتها مستخدمة لتدل على أي علاقة بالحياة الآخرة «هورفيتز - (أسماء الأعلام اليهودية) - صفحة (١٩٨ - ١٩٩) = صفحة (٥٤-٥٥) (ناخدروك)

حسب قول هيرشفيلد فإن محمدًا كان يعرف المشنا وبالتالى العبرية، وحسب قول هورفيتز لا بد أن محمدًا كان يعرف الترجوم وبالتالى الآرامية !! هل هذا معقول؟

يكفي أن نلقى نظرة على لسان العرب، مادة «خلق» لنعرف أن الكلمة بمعنى حظ أو نصيب .. وعند حسان بن ثابت الذي نظم قصائد قبل أن يعرف النبي محمدًا ﷺ كلمة خلاق كلمة عربية

شائعة قبل الإسلام.

لماذا إذًا نذهب بعيدًا لنبحث عن الكلمة في اللغة العبرية في «المشنا» أو في الآرامية في «الترجوم» إن القضية تتلخص في الآتى:

الكلمة العبرية HELEQ والكلمة العربية خلاق لهما أصل مشترك ومعناها نصيب هذا كل ما في الأمر.

ثانيًا : «بعير» :

ـ قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِىۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَاۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾.. (يوسف: ٦٥)

ـ قال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾.. (يوسف: ٧٢)

وهذا نفس الحال بالنسبة لكلمة «بعير» سورة يوسف ، آيات (٦٥، ٧٢)، يزعم المستشرق دفوراك Dvorak في كتابه «تقارير الاجتماعات الأكاديمية في فيينا – قسم الفلسفة والتاريخ المجلد ١٠٩ صفحة (٥٢٢)» أن كلمة بعير مشتقة من الكلمة العبرية بعير الموجودة في سفر التكوين (٤٥ : ١٧)، وزايد هورفيتز قائلاً : «بناء على هذا الرأي فإن الكلمة الموجودة في النص العبرى أو الترجوم أو المشنا طرقت أذن محمد ثم ظلت

محفورة في ذاكرته، ولكنه خلال هذه العملية أعطاها المعنى العربى بعير بمعنى جمل بدلاً من أن يستخدم الكلمة جمل أو ناقة في القرآن .. إن استخدام بعير بدلاً من جمل على عكس حمار مثلاً، لأنه سهل التفسير حسب الاعتبار التالى : وهو أن الحمار في نظر العرب لم يكن يحظى بمكانة المطايا مثل تلك الجمال أو الإبل صفحة (١٩٢ - ١٩٣) = (٨٤ - ٤٩) ناخدروك.

في سفر التكوين (١٧-٤٥) قال فرعون ليوسف : «قل لإخوتك أن يضعوا الأحمال على دوابهم ويذهبوا بها إلى أرض كنعان» وبالنسبة لكلمة دوابهم فالأصل العبرى بعيرهم.

بينما في لسان العرب تحت كلمة بعير نجد أن الكلمة تعني :

أ - الجمل القوى.

ب - تعني معنى الحمار.

ويسوق في هذا الموضوع مجادلة بين الفيلسوف الكبير ابن خالويه ومنافسه الشاعر الكبير المتنبي في حضور الأمير سيف الدولة.

فقد سأل ابن خالويه المتنبي ما هو معنى كلمة بعير في القرآن الكريم؟

تحير المتنبي .. وهنا شرح له ابن خالويه كلمة بعير فقال : «إن كلمة بعير تعني الحمار لأن يعقوب وابنه يوسف كانوا يعيشون

في أرض كنعان ولم تكن في أرض كنعان إبل وكانوا يحملون أثقالهم على حمير، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴾.. (يوسف: ٧٢)

والمعنى حمل حمار، ولذلك قال مقاتل بن سليمان في تفسيره: قد جاء في مزامير داود البعير بمعنى كل الدواب جملة وجاء في حديث جابر استغفر لي النبي ﷺ بالليل خمسًا وعشرين مرة ليلة البعير، كان الوقت ليلاً حينما اشترى رسول الله ﷺ من جابر جملاً حينما كانا في رحلة.

مقاتل بن سليمان توفي سنة (١١٥هـ - ٧٦٧م)، كتب تفسيرًا للقرآن في النصف الأول من القرن الثانى الهجرى يبدو أن له مخطوطة في المتحف البريطانى برقم (٦٣٣٣)، فسر كلمة بعير بمعنى حمار.

ومن ناحية أخرى يذكر لسان العرب بيتًا من الشعر لأحد لصوص البادية زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان- رضى الله عنه- (٢٣ - ٣٥ هجريًا) واسمه يزيد بن الصقيل العقيلي وذكرت في بيت شعر كلمة بعير بصيغة الجمع.

ومن ناحية ثالثة فإن حديث جابر يشتمل على كلمة بعير «ليلة البعير».

هذه الحجج الأدبية الثلاثة تؤكد أن كلمة بعير عربية وجدت

قبل الإسلام وكانت مشهورة وتعني : إما الجمل أو الحمار.

إذًا ما جدوى أن ندعي أن محمدًا ﷺ اقتبسها من سفر التكوين (١٧ - ٤٥).

إن محمدًا ﷺ لم يكن أول من استعمل هذه الكلمة في العرب.

ثالثًا - «بهيمة» :

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.. (المائدة: ١)

قال الله تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨)

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ (الحج: ٣٤)

يزعم هورفيتز في كتابه «الأسماء اليهودية» صفحة (١٩٣، ١٩٤) «ناخدروك» أنه ربما كانت كلمة بهيمة مشتقة من الكلمة العبرية «بهيمة» ويقول على ما يبدو فإن كلمة بهيمة لم تكن موجودة في الشعر الجاهلي.

ونلاحظ على العكس من هذه الافتراضات ما يلي :

(أ) أن كلمة «بهيمة» تأتي في القرآن الكريم دائمًا مصاحبة

لكلمة «الأنعام» فلو كانت كلمة بهيمة مشتقة من العبرية بمعنى الأنعام، لكان ذلك تكرارًا لا فائدة منه ولا جدوى... ولكن في الحقيقة كلمة بهيمة في اللغة العربية تعني ذات لون واحد وليس مختلطًا به أي لون آخر، ويمكن أن يكون هذا اللون أسود أو أبيض ولكن الكلمة عامة تطلق على الأنعام ذات اللون الأسود «انظر لسان العرب».

كما تستخدم الكلمة استعارة بمعنى «خالص - نقى» كما في أحاديث كثيرة ساقها لسان العرب.

(ب) حتى لو لم تكن هذه الكلمة موجودة في الشعر الجاهلى، وهو ما لم نتحقق منه بعد، وللأسف فإن قاموس فيشر لم يطبع بعد بسبب خطأ الجهلاء والحمقى الذين كانوا وما يزالون أعضاء في مجمع اللغة العربية بالقاهرة... لم يعد ذلك مفيدًا على أي حال، فإن الكلمة استعملت مرات كثيرة في أحاديث النبي محمد ﷺ بمعنى «خالصًا» أو ذو لون واحد أي إنها صفة وليست أبدًا موصوفًا.

رابعًا - «سورة»:

قال الله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ﴾

(التوبة: ٦٤)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ

ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (التوبة: ٨٦)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

(التوبة: ١٢٤)

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢٧)

قال الله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور: ١)

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾

(محمد: ٢٠)

نولدكه «تاريخ القرآن» صفحة (٢٤)، «مساهمة جديدة» صفحة (٢٦).

كان المستشرق نولدكه أول من ادعى أن كلمة «سورة» مشتقة من الكلمة العبرية «شورة» (Shura) ، ولكن هذه الكلمة تعني: خط ، نسق، سطر صف ولا تعني جزءًا من كتاب.

إذن فافتراض نولدكه مزيف وخيالى بالكلية.

وهناك افتراض آخر وهو افترض هيرشفيلد «أبحاث جديدة»

صفحة (٢) ملحوظة (٦)، صفحة (١١٣)، ملحوظة (٨)، الذي يدعي أن كلمة سورة هي قراءة «محرفة» للكلمة الآرامية سيدرا Sidra وهو افتراض رفضه هورفيتز نفسه بقوله: «لايمكن أن يعتبر ذلك صحيحًا» .. هناك اختلاف بين علماء اللغة العربية حول أصل كلمة «سورة»

- فمنهم من قال إن سورة بمعنى فاصل.

- ومنهم من قال إن سورة بمعنى منزلة عالية، ولكن كل هذه التفسيرات ليست كافية، وهكذا تظل المشكلة، بلا حل من جانب العلماء الأوروبيين ومن جانب العلماء العرب القدامى

خامسًا - «مثاني» :

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣)

كذلك كلمة «مثاني» تبقى مشكلتها بلا حل ... يزعم المستشرق د.هـ مولر في كتابه «الأنبياء وأوجه مصداقيتهم» صفحة (٤٢،٤٦) ، ملحوظة (٢) أن المثاني هي الأساطير والسبع مثاني هي السبع أساطير : لموسى ، إبراهيم، نوح ، صالح، لوط،

وشعيب.

ولكن من الملاحظ عكس هذا الافتراض وهو أن القرآن الكريم يحتوي على قص كثير عن الأنبياء السابقين، فلماذا تقيد مولر بهؤلاء؟

وحتى نولدكه نفسه رفض هذا التفسير وطابق رأيه التفسير الشائع عند المفسرين المسلمين وهو أن السبع المثاني هي السبع آيات لسورة الفاتحة «إضافات وتنقيحات»، صفحة (٢٦١) (**Newe Beitrage**).

وقد بحث جيجر (**Geiger**) عن أصل كلمة مثاني في الكلمة اليهودية «مثنيا» بمعنى «سنُه» في الجمع حسب اللغة العربية، ولكن هذا لا يفسر السبع المثاني حتى يمكن أن يتفق مـــع رأي د.هـ مولر الذي بينا خطأه قبل ذلك.

وليس هناك اتفاق بين المفسرين المسلمين حول معنى أو اشتقاق كلمة مثاني، ويلخص لسان العرب هذه الآراء كما يلي:

«المثاني في القرآن هي التي تتكرر مرة بعد أخرى. ويقال أيضًا : إنها فاتحة الكتاب التي تشتمل على سبع آيات، وقد سميت مثاني لأنها تتكرر في كل ركعة. ويقال أيضًا : إن المثاني هي سبع سور أولاها البقرة، وآخرها براءة (التوبة). وقيل أيضًا: هي السور التي تشتمل على أقل من مائتى آية، ويقال المثاني هي القرآن كله ويثبت ذلك بيت من الشعر لحسان بن ثابت.

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

ويقول أبو عبيد : إن المثاني في كتاب الله -عز وجل- ثلاثة أشياء:

١ - الله سبحانه وتعالى سمى القرآن كله مثاني في الآية : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ (الزمر: ٢٣)

٢ - وسمى فاتحة الكتاب مثاني في الآية :﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)

٣ - يسمى القرآن مثاني لأن القصص والأخبار تتكرر فيه مرتين والقرآن يسمى أيضًا مثاني لأن كل آية من آيات الرحمة مصحوبة بآية من آيات العذاب «لسان العرب مادة ثنى».

وهكذا نرى كم هي متباينة تلك التفسيرات التي قالها مفسرو القرآن وعلماء اللغة المسلمون.

وفي هذا الصدد أشير إلى أن التصويب المقترح من نولدكه لشطر بيت أبى الأسود الدؤلى في قصيدته التي يرثى فيها الإمام عليا «نولدكه zdng مجلد (١٨) صفحة (٢٣٦)» هو تصويب خاطئ.

وشطر البيت : ومن قرأ المثاني والمئينا، ويقترح نولدكه تصحيح الكلمة الأخيرة إلى «مبينًا» بطريقة يقترحها في كل آيات القرآن المشتملة على لفظ المثاني. ولكن كما رأينا في الاستشهاد

الذي سقناه من «لسان العرب» فإن الكلام عن «مئين» وليس «مبين» وكل التفسيرات المتعلقة بكلمة «مئين» تعني «مائين».

رابعًا: «هاينريش سبيير»

كان هاينريش سبيير تلميذًا لجوزيف هورفيتز وأراد أن يواصل بحوث أستاذه القرآنية لأنه أدرك أن القرآن يحتوي على أكثر مما كان يجب اعتقاده وذلك في مجلد بعنوان «المقدمة».

ولذلك قام بدراسة واسعة تقع في (٥٠٩) صفحة عنوانها «القصص الإنجيلية في القرآن»، الطبعة الأولى سنة (١٩٣١م)، والطبعة الثانية سنة (١٩٦١م) حيث زعم أننا لا يهمنا إلا ذلك الموضوع الأخير فقط.

وسوف نسوق بعضا من فرضيات سبيير في هذا الصدد حتى نبين إلى أي مدى كان بعيدًا عن الحقيقة ويعتمد على المبالغة ويفتقر إلى الدقة تمامًا مثل هارفيج هيرشفيلد.

(أ) مثل الجنتين:

قال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (الكهف: ٣٢ – ٤٣)

يؤكد سبيير أنه عثر على أصل هذا المثل في جزء من كتاب التلمود المتعلق بسفر اللاويين السفر الثالث من العهد القديم، ولنثبت أنه ليس هناك علاقة بين هذا النص القرآنى والميدراش المذكور، نقدم لكم النص الكامل لهذا الأخير كما جاء في الترجمة الإنجليزية

Midrash Rebbah Leviticus, trper judah. J Slatki, London - Soncino press, 1951, PP293-294

«الربى عزريا باسم ر . جودا بن سيمسون قال : يمكن مقارنة هذا بذلك الملك الذي امتلك بستانًا يتخلله صف من شجر التين وصف من العنب وصف من الرومان وصف من التفاح، فأجره لشخص ورحل، بعد زمن عاد الملك ليزور بستانه ويفرح بما

طرحه من ثمار فوجده مكسوًا بالأشواك ... أحضر مقصلة ليزيل كل هذا ، وإذ هو كذلك وجد وردة وردية اللون شم رائحتها فهدأ مزاجه، وقال الملك : «سينجو البستان بفضل هذه الوردة» مثلما ينجو العالم كله بفضل التوراة.

بعد ستة وعشرين جيلاً نظر القديس إلى عالمه ليرى ما طرحه من ثمار، فلم يجد إلا ماءً في ماء جبل إينوش **Enosh** كان في ماء، وجبل الطوفان كان ماءً في ماء، وجبل الشتات كان ماءً في ماء فأحضر مقصلة لقطعها كما قيل «الرب بالطوفان جلس ويجلس الرب ملكًا إلى الأبد» فرأي وردة وردية واحدة ... إسرائيل أخذها وشم رائحتها فأعطى الوصايا العشر وهدأ مزاجه لما قالوا «كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له» الخروج ٢٤:٧، فرد الرب قائلاً: إن البستان سينجو ومن أجل التوراة وإسرائيل سينجو العالم».

كما نرى فليست هناك علاقة مطلقًا بين التشبيه القرآنى وهذه الميدراش لا في التعبير ولا في المحتوى ولا في الفائدة التي نخرج بها منهما.

إن العنصر الوحيد المشترك بين الاثنين هو كلمة «جنة – بستان» وبقية النصين مختلف تماماً.

إنه لمن العبث أن نفترض أن النبي محمدا ﷺ اقتبس من نص يؤكد أن العالم محمي بفضل التوراة وإسرائيل.

إن النص القرآنى يؤكد فكرة الثقة المطلقة، فالمؤمن الحقيقي

يجب أن يؤمن بقضاء الله والخضوع بينما يزعم شعب إسرائيل أن إسرائيل ستحمى بقية شعوب العالم.

أى تذبذب في دفع هاينريش سببير إلى إيجاد تشابه أو بمعنى أصح اقتباسًا بين النصين؟

إن حالته مثل حالة هيرشفيلد تحتاج إلى علاج نفسى.

وعلى نفس المنوال يسير في الجزء المخصص للمثل في القرآن صفحة (٤٢٦ - ٤٣٨)... فرانس بول الذي لم يكن أسعد حظًا في تصفحه لإنجيل لوقا الإصحاح الثانى عشر، (١٦) ليوضح مصدر التمثيل القرآنى.

ولكن ماذا يوجد في إنجيل لوقا؟ يوجد المثل الآتى :

«كان هناك رجل غنى أنبت أرضه بوفرة (١٧) وتساءل في نفسه ماذا سوف أفعل؟ هذا ما سأفعله : سوف أهدم هذه الصوامع وأبني بدلاً منها صوامع أكبر وسوف أجمع كل غلالى وثروتى (١٩) وسأقول لنفسى : يا نفسى إنك تمتلكين ثروة تكفيك لسنوات عديدة. اهدئى يا نفسى وكلى واشربى واحتفلى (٢٠) فقال له الرب : أيها الأحمق في هذه الليلة سوف تعيد التساؤل مع نفسك وتقول عن كل ما جمعته أين سيذهب (٢١)، وهكذا كان يكنز المال لنفسه بدلاً من أن يغتنى من أجل الرب».

في هذا المثل من الإنجيل ليست هناك جنة وليس هناك إشارة

إليها حتى في الآية الأخيرة أنها تدين البخل واكتناز المال وتحض على الصدقة والبر، وهذا ليس موجودًا في معنى المثل القرآني.

ولهذا يجب أن نتساءل لماذا يفترض أشخاص مثل هيرشفيلد أو سبيير أو بول هذا التقارب الذي يبدو زيفه واضحًا لمن يتصفحه عن قرب؟

ونعطى كذلك بعض الأمثلة الأخرى على هذه الخزعبلات، هاينريش سبيير.

(ب) سورة فاطر:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾

(فاطر: ١٩-٢٢)

وحتى يجد مصدرًا مزعومًا لهذه الآيات القرآنية الكريمة ساق

سبيير تسع آيات من العهد القديم وخمس آيات من العهد الجديد ملتقطًا كلمة «من» كل هذه الآيات الأربع عشرة مختلفة تمامًا في مصادرها وبعيدة جدًا عن بعضها البعض وجمعها كلها ليشكل ما يزعم أنها أصل! لا يمكن أن يكون هناك أكثر سخفًا وشططًا منه.

فماذا تقول الآيات الإنجيلية التي أشار إليها؟

- سفر التكوين، الإصحاح ٨، الآية ٢٢: «مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء، ونهار وليل لا تزال»

- سفر الخروج، الإصحاح ٤ ، الآية : «فقال له الرب من صنع الإنسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرًا أو أعمى أما هو أنا الرب».

- سفر المزامير، الإصحاح ١٢ ، الآية ٤ : «نور أشرف في الظلمة للمستقيمين هو حنان ورحيم وصديق».

- سفر المزامير، الإصحاح ١٥، الآية ١٧-١٨ : «ليس الأموات يسبّحون الربّ ولا من ينحدر إلى الأرض السكوت (١٨)، أما نحن فنبارك من الأرض إلى الدهر».

- سفر يوئيل ، الإصحاح الثاني، الآية ٣١ : «تتحول الشمس إلى الظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف».

- سفر إشعياء، الإصحاح ٥ ، الآية ٢٠ : « ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا».

جمع سبيير كلمات متناثرة من هذه المقاطع التسعة وهي الظلمات، النور، الأموات، الأحياء وأعتقد أنه توصل إلى أصل الآية ١٩ من سورة فاطر، يا له من غباء، ويا لها من إهانة موجعة للعلم.

قال الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٢٩)

يرجع سبيير إلى المشنا آبوت (الآبـاء) (١١،١٣،١٤) : «كلمهم قائلاً : ارحلوا وانظروا أي طريق مستقيم يجب أن يسلكه الإنسان ... فقال وسنا رفيق صالح وقال يوشع : جار صالح. فقال

لهم : ارحلوا أو انظروا أي طريق ضال يجب أن يتجنبه الإنسان فأجابه يوسنا : قرين السوء، وأجابه يوشع : جار السوء.

ولكن ليس هناك علاقة بين النصين! فالمثل القرآنى يعني «الرجل الذي يعبد آلهة عديدة تتنازع فيه هل يمكن أن نقارنه بالمؤمن الذي يعبد الله وحده كما أوضح بلاشير (ترجمة القرآن - باريس ١٩٥٧م ص ٤٩٢) إذا فالمثل القرآنى يتناول الفرق الجوهرى بين المؤمن الموحد وبين من يؤمن بتعدد الآلهة.. بينما تتناول المقطوعة المأخوذة من (الآباء) (١١-١٣، ١٤) الأخلاق وليست لها علاقة بأصول الدين. إذا ليس هناك أي علاقة بين المثل القرآنى والنص المشنانى ويبدو أن سبيير لم يفهم المعنى القرآنى على الإطلاق.

(د) نشير أخيرًا إلى الجدل المثار حول عبارة «محمد هو خاتم النبيين»:

قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠)

وحتى يشرح هذا التعبير «خاتم» يعود هيرشفيلد إلى الإصحاح سفر حجى الإصحاح (٢)، آية (٢٣)، ويقول في تفسيره في المرتبة الثانية والعشرين (٢٤٢) (أبحاث جديدة ص ٢٣).

ماذا يقول السفر (٢)، الآية (٢٣)؟.

«في ذلك اليوم يقول رب الجنود أخذك يا زر بابل عبدى

ابن سألتيئيل يقول الرب وأجعلك كخاتم، لأنى قد اخترتك يقول رب الجنود».

ويضيف هيرشفيلد أن كلمة خاتم وردت كذلك في سفر الملوك الأول في الإصحاح ٢١ الآية ٨ «ثم كتبت رسائل باسم آخاب وختمتها بخاتمة» أي بمعنى الختم، أما في سفر التكوين الإصحاح ٣٨ الآية ٨، فجاءت بمعنى الختم المعلق بعناية في الصدر، وذكرت كذلك في سفر إرميا الإصحاح ٢٢ الآية ٢٤ بمعنى الختم الذي يحمل في اليد من شدة الحرص عليه.

«حتى أنا، يقول الرب: ولو كان كنياهو بن يهوياقيم ملك يهوذا خاتمًا على يدى اليمنى فإنى من هناك أنزعك» وهو نفس المدلول الذي ورد في سفر حجى، فالمقصود بكلمة خاتم هو أن الله قال لحجى إنه اختار زر بابل كخادم قيم».

ويشرح هورفيتز في كتابه «دراسات قرآنية» صفحة (٥٣)، أن تعبير خاتم النبيين معناه «المصدق للنبيين» مثل الخاتم الذي يشهد بصحة مكتوب أو وثيقة.

وعلى هذا التفسير تكون مهمة محمد هو التصديق مثل الموثق... فيصدق فقط ويشهد بصحة الرسالات المنزلة على الرسل الذين سبقوه.

وفي هذه الحالة كيف يستطيع محمد أن يشهد ويصدق لرسل مختلفين وكتب مقدسة متباينة وأحيانًا محرفة؟

ومع ذلك فاسبيير يوافق الرأي السابق لهورفيتز (سبيير:

الخطابات التوراتية» صفحة (٤٢٢، ٤٢٣).

ولكن كلا التفسيرين «أثيرًا»، «شاهدًا» غير مقبولين.

والتفسير الوحيد المقبول أو المتفق مع استعمال اللغة العربية وهو أن «خاتم» معناها «الأخير» نقول: خاتم القوم أو ختيم ومعناها آخرهم، والخاتم من كل شيء آخر أجزائه «لسان العرب، مادة ختم».

وأحد أسماء النبي محمد ﷺ الخاتم أي إنه خاتم النبيين الذين أرسلوا ويجب أيضًا أن ننظر إلى النبي محمد ﷺ الذي يؤكد بكل ثقة:

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران: ١٩)

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: ٨٥)

فمن المنطق إذا أن يعتبر محمد ﷺ خاتم النبيين لأن الإسلام عند الله هو الدين الحق.

ذلك المفهوم الذي يقرر أن النبي محمدًا (ﷺ) نبي الإسلام ورسالته خاتمة الرسالات تقرره أحاديث مختلفة يؤكد فيها أنه آخر الأنبياء حيث يقول عليه أفضل الصلاة والسلام «أنا خاتم النبيين».

- البخارى - كتاب المناقب - الحديث ١٨.
- مسلم - كتاب الفضائل - الحديث ٢٢.
- أبو داود - كتاب الفتن.
- الترمذى - كتاب الفتن - الحديث ٤٣.
- الدارمى - كتاب المقدمة - الحديث ٨.
- ابن حنبل - الباب الثانى (٣٩٨-٤١٢)، والباب

الثانى (٧٩-٢٤٨)، والباب الرابع (٨١-٨٤، ١٢٧، ١٢٨)، والخامس (٢٧٨).

إن أكثر حديث مشترك في الصيغة بين هذه الأحاديث هي «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وجَمَّلَه إلا موضع لبنة فجعل الناس يزورونه ويعجبون به ويقولون لو وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين». إذا فبالنسبة لمحمد (ﷺ) نفسه ما من شك في أنه يعتبر خاتم وأنه لن يأتي نبي بعده لأن صرح النبوة قد اكتمل به.

***

الفصل الثالث
معنى كلمة «فرقان»

كلمة أخرى من كلمات القرآن الكريم حاول كثير من المستعربين المتحيزين ضد الإسلام إثبات أصل يهودى ومسيحى لكلمة «فرقان» التي ذكرت في القرآن الكريم ست مرات في الست آيات التالية.

١- قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٥٣)

٢- قال الله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾

(البقرة: ١٨٥)

٣- قال الله تعالى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾

(آل عمران: ٣، ٤)

٤- قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ

يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأنفال: ٤١)

٥- قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٨)

٦- قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (الفرقان: ١)

وقد ترجم بلاشير كلمة فرقان في الآيات الستة بمعنى «إنقاذ»، وهناك ثلاثة من المستشرقين اليهود وهم: جيجر في كتابه «ماذا اقتبس محمد من اليهودية» صفحة (٩٩) سنة (١٩٠٢م)، وهيرشفيلد في كتابه «بحوث جديدة في القرآن» صفحة (٧٦، ٧٧) سنة (١٩٢٦م)، وقد تخيل هؤلاء الثلاثة أن كلمة «فرقان» هي الكلمة العبرية المعربة وأصلها بيركى "Prike" ويؤكد مرجليوث "MARGOLIOTN" في كتابه «موسوعة الدين والأخلاق» حين يقول: إن «بيركى» - أبوت مقتبسة من كتاب الآباء، وهو كتاب من المشنا يحتوي على الأمثال والحكم الدينية والأخلاقية للحكماء والعلماء اليهود والآباء من عهد سمعون العادل "Siméanle Just" نحو (٣٣٠) قبل الميلاد وحتى كتابه المشنا (٢٢٠م) «إبراهام المالح - القاموس الجديد الكامل عبرى - فرنسي» ويقع في خمسة فصول يختلف الفصل الأخير عن الأربعة السابقين شكلاً ومضمونًا.

فالحِكَم التي فيه مجهولة المؤلف فيما عدا المقطوعات الأخيرة بينما في الفصول الأربعة نجد الحِكَم مزيلة بأسماء قائليها، وإن أعظم شيء في هذه المقالة أنها تتحدث عن اليهودية بشكل واضح انطلاقًا من حقيقة أنها متضمنة في كتاب الصلوات القديم كجزء من شعائر خدمة الرب بعد ظهيرة يوم السبت خلال شهور الصيف «الموسوعة اليهودية» المجلد الأول صفحة (٨١، ٨٢) نيويورك ولندن سنة (١٩٠١م).

ومن خلال هذه المعلومات نجد أنه من المستحيل كما هو واضح أن تكون كلمة فرقان تعني الحِكَم المسماة «بيركه» وذلك للأسباب الآتية:

(أ) مؤلفو الحِكَم معروفون بالاسم وليس من بينهم موسى ولا هارون فكيف إذن استطاع محمد ﷺ أن ينتحل هذه (البيركى) من موسى أو من هارون عليهما السلام.

(ب) محتوى (البيركى) لا يمكن أبدًا أن يعتبر كتابًا مقدسًا مثل التوراة أو الإنجيل أو بالأحرى القرآن.

(جـ) اعتراف هورفيتز نفسه أنه لو كانت كلمة (بيركى) "Pirké" تنطبق على الآيات (١،٤) فإنها لا تنطبق على الآيات الأربع الأخرى ولذلك فإن كل من اعتقد أن كلمة (فرقان) تعني

(بيركى) عندهم حماقة نادرة وهوس مرضيّ جعلهم يتخيلون أنها جاءت من العبرية أو اليهودية.

ونستعرض الآن بعض المستشرقين المسيحيين الذين تناولوا هذه القضية ومن بينهم:

• نولدكه في كتابه «إسهامات جديدة في العلوم اللغوية السامية» صفحة (١٠) سنة (١٩١٠م).

• ليدسبارسكى في "z.s" صفحة (٩٢،٩٠) سنة (١٩٢٢م).

• شفالى في "z.d.m.c" صفحة (١٣٤) سنة (١٨٩٨م).

وكذلك كتاب «تاريخ القرآن» صفحة (٣٤) ملحوظة (١).

• أ. ى فنسنك في «دائرة المعارف الإسلامية» الطبعة الأولى.

• ر. بيل «أصول الإسلام في بيئته المسيحية» صفحة (١١٨) سنة (١٩٢٦م)، «مدخل إلى القرآن» صفحات (٢٢٥، ٢٢٩) سنة (١٩٣٨م).

• آرثر جيفرى «الألفاظ الأجنبية في القرآن» باردوا صفحة (٢٢٥، ٢٢٩) سنة (١٩٥٣م)، والقاسم المشترك في ترجمتهم هو أن كلمة «فرقان» هي: الشكل العربى للكلمة السريانية «فرقانا» "Furqana"، والكلمة اليهودية الآرامية «فرقان» "Furqana" التي تعني إنقاذ بالمعنى المسيحي، ولقد ترجم بلاشير "Blachére" نفسه أن كلمة فرقان بمعنى

«إنقاذ»، وكذلك رودى باريت في ترجمته للقرآن «القرآن – شتوتجارت» سنة (١٩٦٢م) حيث ترجمها بمعنى «إنقاذ» "reidong" ومن المفيد أن نلاحظ أن ر. بيل في ملاحظته عن كلمة «فرقان» في كتابه الذي نشره بعنوان «مدخل إلى القرآن» صفحة (١٣٦، ١٣٨) أدنبرج سنة (١٩٥٣م) يخلط بين التفسير الذي ساقه المفسرون المسلمون وهو فرقان بمعنى: تفرقة، وتفسير الكتاب المسيحي الذي يدعي أن كلمة فرقان جاءت من الكلمة السريانية فرقانا بمعنى «إنقاذ»، وهذا الخلط غير اللائق يصيب بحثه بالغموض حيث يقول: «ربما يكون مصدر الكلمة قد اشتق من المصادر المسيحية ولكن محمدا كان يجب أن يوافق بينها وبين الجذر العربى (فَرَق) ومعناه ببساطة التفرقة بين جماعة المتدينين وبين الكافرين وكذلك الأمر أيضًا في حالات الوحي إذ لليهود التوراة وللمسيحيين الإنجيل، وكذلك للمسلمين كتابهم وهو القرآن» ولذلك فقد فسر الآية (٤١) سورة الفرقان هكذا: أن نصر «بدر» لم يكن فقط خلاصًا لفئة قليلة من المسلمين الذين خرجوا مع محمد لاعتراض القافلة ووجدوا أنفسهم وجهًا لوجه مع الجيش ولكنه كان تفرقة نهائية بين أتباع محمد وكفار مكة، ولقد صار الفريقان بعد سفك الدماء أعداء.

ومن العبث في هذا التفسير أنه يدعي أن النبي محمدًا (ﷺ) استعار الكلمة السريانية (بوركانا) "Purkana" ولكنه

غير معناها إلى الكلمة العربية (فرق)، لماذا لا يأخذ مباشرة المصدر العربى إذا كان يقصده؟ ثم هل هناك أية وثيقة توضح أن الكلمة السريانية (بوركانا) كانت مشهورة أو حتى معروفة فقط في الوسط الذي عاش فيه النبي محمد (ﷺ)، وخالطه حتى يستعيرها ويغير معناها حسب اللفظ العربى المشابه لها في النطق؟

إن هذه الأسباب كافية لدحض أطروحة المستشرق ريتشارد بيل وخطأ الذين ساروا على نهجه م. وات «محمد في المدينة» صفحة (١٦٠)، رودى باريت «موسوعة الإسلام» الطبعة الثانية.

تفسيرنا

أولاً: إنه من الغباء نسبة كلمة «فرقان» إلى الكلمة العبرية "Pirké" التي تعني فصول.

ثانيًا: أن الآراء التي ترد كلمة «فرقان» إلى الكلمة السريانية بوركانا "Purkana": الإنقاذ تعد هي الأخرى ضربًا من الغباء.

يبقى أن نتبنى المعنى والاشتقاق الذي اتفق عليه مفسرو القرآن وعلماء فقه اللغة العرب والمسلمون، وقد لخص كازيميرسكى بعد اطلاعه على المعاجم العربية آراءهم كالآتى:

• (فرقان):

١ – مصدر الفعل: فرق.

٢ – كل ما يدل على التفريق، الفرق بين الخير والشر، بين المشروع واللامشروع، ويوم (الفرقان) هو يوم التمييز، إنه يوم معركة بدر، أول انتصار لمحمد على الكفار.

٣- أي كتاب مقدس (لأهل الكتاب) مثل الإنجيل وخاصة القرآن، واستنادًا على هذا نقترح التفسير الآتى:

أن «فرقان» مصدر الفعل فرق معناه: «التمييز بين الخير والشر، بين المشروع واللامشروع، وبالقياس نجد أن كلمة «فرقان» تدل على معيار التمييز بين الخير والشر، وأخيرًا الكتاب المقدس هذا المعيار ويعبر عنه.

لنطبق إذن هذا التفسير على الآيات القرآنية الست سنجد الآتى:

أولاً: في الآيات ٥٣ من سورة البقرة، ٤٨ من سورة الأنبياء، تدل كلمة «فرقان» على التمييز بين الخير والشر والحلال والحرام.

ثانياً: أن المراد من كلمة «فرقان» في الآيتين ٤ من سورة آل عمران، والآية ١ من سورة الفرقان هو القرآن.

ثالثًا: والمقصود من الآيتين ١٨٥ من سورة البقرة، ٤١

من سورة الأنفال التمييز بين الخير والشر وبين الحق والباطل في الدين.

وبالتالى نرفض أن يعطى لهذه الكلمة تفسيرًا من نوع الإنقاذ "Salvation" أو ما يعادلها باللغات الأخرى مثل "Rettung" بالألمانية.

***

الفصل الرابع
«الافتراضات الخيالية لمرجليوث»

دافيد صموئيل مارجليوث (١٨٥٨م - ١٩٤٠م) من الواضح أن الأسماء الثلاثة أسماء يهودية، وهو ينحدر من عائلة يهودية، وكلمة مرجليوث تعني بالعبرية: يتكلم، ومن بين أقدم الأعضاء المعروفين في هذه العائلة: يعقوب فون رينسبورج المتوفي ما بين (١٤٩٩م ، ١٥٢٢م) الذي كان حاخام رينسبوج، حاليًا رانيسبون "Ratisbone" في ألمانيا وعين ابنه صموئيل زعيمًا للمجتمع اليهودي في بولونيا ومن قبل سيجسمنود الأول.

ولد دافيد صموئيل مرجليوث في سنة (١٨٥٨م) وكان الطفل الأول لحزقيال مرجليوث الذي اعتنق المسيحية وأصبح راهبًا مسيحيًا، وقد اعتنق دافيد المسيحية مثل والده وأصبح قسيسًا في سنة (١٨٩٩م)، ولكنه ظل يهوديًا بالقلب والروح واهتم كذلك بالدراسات اليهودية التي نذكر من بينها الكتب التالية:

١- شرح كتاب (دانيال) لمؤلفه يافث بن على نشر وترجمة دافيد صموئيل مرجليوث سنة (١٨٩٩م).

٢- «مكانة الإكليرلية في الأدب السامى» سنة (١٨٩٠م).

٣- «أصل العبرية في الإكليروس» سنة (١٨٩٩م).

٤- «العلاقات بين العرب وبنى إسرائيل قبل ظهور الإسلام» سنة (١٩٢١م)، وطبع في سنة (١٩٢٤م).

لقد جند صموئيل مرجليوث نفسه طول حياته عدوًا عنيدًا ضد الإسلام، ودفعه تعصبه العنيف إلى عرض مزاعم شديدة الغرابة لم يكن القصد منها سوى الهجوم على الرسول محمد ﷺ والحط من رسالته.

وسوف نكشف هنا بعض هذه المزاعم التي رفض قبولها مستشرقون آخرون.

أولاً- «أصل كلمة مسلم»:

أول هذه الادعاءات الغريبة هي الادعاء بأن كلمة (مسلم) تعني في الأساس واحد من أتباع مسيلمة مدعى النبوة، والمعروف في السنة النبوية الشريفة باسم الكذاب، وقد أدلى مرجوليوث بهذا الرأي المتعصب في مقال نشر في جريدة المجتمع الملكى الآسيوى - لندن صفحة (٤٧٦)، وقد رد عليه تشارلزج. ليل وهو مستعرب إنجليزى كبير في نفس المجلة صفحة (٧٧١) سنة (١٩٠٣م).

وقد فند رأيه ورد عليه ردًا لاذعًا فلم يكرر مرجوليوث هذا الهذيان مرة أخرى في كتبه التالية، إنني لأتساءل كيف يمكن أن يرتكب مرجليوث وهو في الخامسة والأربعين من عمره هذا الخطأ، ألم يقرأ القرآن أبدًا؟ ألم يقرأ السيرة النبوية؟

ألم يقرأ أي كتاب عن تاريخ الإسلام؟، كيف يمكن أن تشتق الصفة «اسم الفاعل» مسلم من اسم مسيلمة؟، لو كان يعرف حدًا أدنى من اللغة العربية لعلم أن النسبة إلى مسيلمة هي مسيلمى وليس مسلم، ولكن تعصبه أعماه.

ثانيًا - «فرقان» و«بيركى أبوت Pirké Abbot»:

لقد رأينا في الباب السابق عبث المطابقة بين فرقان وبيركه، وقد كان مرجوليوث ضحية موافقته لسابقه هيرشفيلد الذي تخيل في كتابه «بحوث جديدة في فهم وتفسير القرآن» لندن (١٩٠٢م) أن كلمة فرقان هي المقابلة لكلمة بيركى، وهي عنوان مجموعة من الحِكَم التي ألفها حاخامات اليهود.

ثالثًا - «حول إبراهيم»:

وذلك في مقال تحت عنوان «محمد - موسوعة الأديان والأخلاق» المجلد (٨) صفحة (٨٧١ ، ٨٨٠) أيدنبرج سنة (١٩١٥م) وقد ساق مرجوليوث عددًا من الأحكام الواهية التي لا تستند على أية وثائق تاريخية، ونستعرض أولاً ما يتعلق بإبراهيم.

(أ) يزعم أنه من غير المحتمل أن يكون اسم إبراهيم معروفا في مكة قبل أن يقوله محمد ﷺ.

أما وقد فعل ذلك فقد اصطدم بأرض صلبة، لأن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى كانوا متفقين على وجود علاقة

بين إبراهيم وقبائل شمال شبه الجزيرة العربية، ولكن بما أنه كان هناك يهود ونصارى في مكة قبل الإسلام كما يعترف بذلك مرجليوث نفسه، فكيف إذا لن يدخل اليهود والنصارى اسم إبراهيم إلى مكة قبل الإسلام، ولماذا انتظروا مجيء محمد ﷺ حتى يكون اسم إبراهيم معروفًا في مكة؟ إن عبثية افتراض مرجليوث تبدو واضحة للعيان.

(ب) زعم أيضًا أن ملة إبراهيم كانت معروفة لدى الصابئة في حران (Harran)، ثم أضاف قائلاً: (يبدو أن الحرانيين كانوا يسمون "Hanpe" بمعنى وثنيين، وكان يعرفهم بذلك جيرانهم النصارى، وربما يفسر هذا غموض كلمة حنيف التي أطلقها القرآن على دين إبراهيم، واعتبرها مرادفًا لكلمة مسلم).

هذان الافتراضان لا أساس لهما من الصحة وهما:

١ – إن عبادة إبراهيم وجدت في حران.

٢– إن النصارى كانوا يطلقون على الحرانيين اسم الحنفاء، لقد أطلق مرجليوث هذه الدعاوى دون أن يستتند إلى أية مصادر، ومن ناحية أخرى فلا يثبت أي مصدر أيًا من هذين الافتراضين اللذين اختلقهما مرجليوث من خياله السقيم.

رابعاً – «صلاة المسلمين أثناء الحروب» و«تاريخ الفاتحة».

(أ) لقد وقع مرجوليوث فيما يثير الضحك حينما ادعى أن شعائر صلاة الإسلام مرتبطة بالتدريبات العسكرية التي لم تكن معروفة قبل ظهور الجيش.

(ب) ويتوصل مرجوليوث من ذلك إلى أن (الفاتحة) التي لابد من قراءتها في كل صلاة نزلت بعد الهجرة بينما لم يؤسس محمد جيشًا قبل الهجرة.

ولكن هذا ادعاء طفولى وعبثى.. طفولى لأنه من السخف أن نعتبر شعائر الصلاة مثل التدريبات العسكرية، وعبثى لأن القول بأن الفاتحة سورة مدنية يعني بالضرورة أن سيدنا محمدًا (ﷺ) وأصحابه لم يكونوا يؤدون الصلاة قبل الهجرة بينما الثابت في كتب الحديث أن النبي محمدًا (ﷺ) أكد أنه لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب «انظر البخارى باب الأذان - الحديث (٩٣)، والترمذى باب الصلاة - الحديث (٦٣)، النسائى افتتاح حديث (٢٤)، ابن ماجه كتاب الصلاة باب افتتاح القراءة حديث (٢)».

ولهذا فمن المؤكد في المصادر الإسلامية أن الفاتحة من أقدم السور القرآنية إن لم تكن أقدمها على الإطلاق «الديار بكرى، (الخامس) - السيوطى، (الإتقان) صفحة (٥٤)».

لكن مرجليوث توصل إلى تاريخ متأخر لسورة الفاتحة معتمدًا على تفسير خاطئ للآية الأخيرة من هذه السورة، وهو أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى.

«وبما أن معارك محمد واليهود لم تبدأ إلا بعد الهجرة، وكذلك عداؤه مع النصارى لم يبدأ إلا بعد السنوات التالية للهجرة، ولذلك يقول مرجليوث في المرجع السابق صفحة (٨٧٥) إن الفاتحة نزلت في زمن متأخر من زمن النبوة كما أوضح بلاشير في ترجمته للقرآن صفحة (٢٩).

«وهذا التفسير لا يُعتمد لوجود النفي في التعبير الثانى «ولا الضالين»، وفي الحقيقة أن الموضوع متعلق بغير المؤمنين بصفة عامة».

حتى رودى باريت (Rudi Paret) في كتابه «القرآن تعليق وشرح» صفحة (١٢) يؤكد أن هذه الترجمة وهي: أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى تحديد يصعب تبريره.

وكذلك س. د. جواتين (S.D. Goitein) في دراسته «الصلاة في الإسلام – دراسات في التاريخ والتعاليم الإسلامية» صفحة (٨٢، ٨٤) ليدن (١٩٦٦م).

وهو يؤكد أن الفاتحة كانت تستعمل بنصها في كل صلاة قبل الهجرة بزمن طويل، ونلاحظ أيضًا في هذا الصدد أن ما ذكره جولد تسيهر من أن الفاتحة هي القداس الأبوى "noster naster" عند المسلمين هو زعم كاذب بالكلية فليس هناك علاقة بين الصيغتين إن لم تكن كل منهما معارضة للأخرى.

(أ) فالفاتحة تؤكد هيمنة الله على العالم، وعلى اليوم الآخر بينما القداس الأبوى يكتفي بتمجيد اسم الله.

(ب) الفاتحة تؤكد وحدانية الله بينما يؤكد القداس الأبوى أبوة الله (أبانا).

(جـ) الفاتحة تؤكد خضوع الإنسان وخشوعه لأنه محتاج إلى عون الله، بينما يأمر القداس الله فيقول: «امنحنا اليوم الخبز الذي نحتاجه واغفر خطايانا في حقك كما غفرنا نحن خطايا الذين أخطأوا في حقنا»، يا له من غرور وصلف في حق الله، إنهم يكلمونه وكأنهم مساوون له فمثلاً يقولون: «لا تعرضنا للغواية! هل هنا صلاة أم أمر أم إنذار؟».

من الواضح مخالفة روح الفاتحة لروح القداس الأبوى المسيحي، إذا من أين لجولدتسيهر ومن ساروا على خطاه دون تفكير مثل بلاشير أن يؤكد أن الفاتحة هي القداس الأبوى في الإسلام، إن مرجليوث يخالف الحقيقة ويخادع حين يقول: إن الدعاء الذي يتفق مع القداس الأبوى هو الفاتحة.

خامسًا - «الصوم وتحريم الخمور».

نتيجة لتأثره بفكرة النظام العسكرى، فإن مرجوليوث أراد أن يشرح التعاليم والمحرمات في الإسلام بهذه الفكرة.

ففي رأيه أن الصوم في رمضان هو نظام عسكرى، فمن ناحية يعوِّد المحاربين على تحمل الحرمان، ومن ناحية أخرى يدرب على التحول من الليل إلى النهار «المرجع السابق».

ولكن لو كان هذا هو السبب الذي شرع محمد الصوم لأجله فلماذا فرض الصوم على غير المحاربين مثل النساء والصغار؟.

وكذلك يدعي مرجوليوث أن تحريم الخمر في القرآن
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾

(البقرة: ٢١٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **(المائدة: ٩٠)**

يبدو أنه يعود إلى نظام عسكرى وهذا ما يؤكد صدق فكرة و. ج بلجريف في كتاب «شرق ووسط الجزيرة العربية» صفحة (٤٢٨) لندن سنة (١٨٦٥م)، وهذا السلوك المحرم هو بالتأكيد ضد مقصد المسيحية (المرجع السابق).

ولكن كلا الرأيين؛ رأي مرجليوث ورأي بالجراف، لا يقيمان اعتبارًا لتدرج تحريم الخمر والظروف التي شرحتها باستفاضة تفاسير المسلمين للقرآن وبعض كتب الفقه التي تكلمت عن هذا التحريم وظروفه والتي لم تدخل في حسابها لا النظام العسكرى ولا مخالفة المسيحية، ويكفي الرجوع إلى هذه التفاسير وإلى كتب الفقه.

سادسًا : «التحريم الخاص بالأكل»

فيما يتعلق بتحريم بعض الأطعمة يؤكد مرجليوث أن محمدا اعتمد تحريم الخنزير واللحم البشرى عوضًا عن النظام المفصل للأطعمة المحرمة، والذي يحظى بمنزلة بارزة في شريعة موسى والمعتمد من مجلس أورشليم القدس، واقتبس محمد أصل هذه المحرمات مما كان موجوداً في تلك التعاليم (المرجع السابق) صفحة (٦-٨٧٥).

ولكن هذا القول غير دقيق فإذا نظرنا إلى ما يقوله كتاب «وقائع الحواريين» (٢١٥، ٢٢٠) ونظرنا إلى قرار مجلس أورشليم حيث كان يحضر بولس وبرنابا من جهة، والحواريون الموجودون في أورشليم من جهة أخرى، لوجدنا نص القرار كالآتى: «أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم» وحتى حين نتصفح نص هذا الخطاب فإن أحدًا لم يترجم كلمة الدم بما تعنيه وهو قاتل الإنسان، «العهد الجديد ٥-٢» ترجمة مسكونيه صفحة (٤٠٣) سنة (١٩٧٩م)، يقول: إن المحرم في هذا النص هو فقط المنخنقة ودم الحيوانات، هل يشتمل النص الأصلى على لحم الخنزير؟، لقد اخترع مرجوليوث هذا الزعم ليخدم قضيته وقضية اليهود بصفة عامة، وحتى مع هذا الاختلاف، فإن هذا لا يخدم ما أكده دون دليل

لأن القرآن قد حدد المحرمات بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ (المائدة: ٣)

نرى إذن أن قائمة اللحوم المحرمة في القرآن أكثر تفصيلاً من الحالتين اللتين حرمهما مجلس أورشليم «وقائع الحواريين الجزء (١٥) صفحة (٢٠)».

من الواضح أيضًا أن قائمة اللحوم التي حرمها القرآن تختلف عن تلك المحرمة عند النصارى أو بالأحرى التي حرمها موسى وهي الجمل والأرنب وكل ذى ظفر والسمك بدون قشر بينما يعتبرها الإسلام حلالاً.

ونغض الطرف عن تلك الأحكام الذاتية غير الموضوعية التي أطلقها مرجوليوث في نفس مقالة «في موسوعة الدين والأخلاق» المجلد (٨) صفحة (٨٧١-٨٨٠) سنة (١٩١٥م) أدنبرج، حيث إنها تخرج عن نطاق ما نحن بصدده هنا، ناهيك عن أنها تكشف عن تعصب أعمى.

***

الفصل الخامس
«إجناس جولدتسيهر والقياس الخاطئ بين الإسلام واليهودية»

كتب إجناس جولدتسيهر (Ignaz Goldziher) (١٨٥٠م - ١٩٢٠م) مقالاً عن الإسلام في «الموسوعة اليهودية» الجزء السادس ص (٦٥١، ٦٥٩) نيويورك ولندن (١٩٠٤م) حيث بحث بالأخص عن الأصل اليهودي للمفاهيم والتعاليم الإسلامية المختلفة، فلنرى بالتفصيل مزاعمه في هذا الموضوع:

١ - إله إسرائيل وإله الإسلام:

لقد أكد بداية أن المفهوم التوحيدي للإله والذي عارض به محمد الوثنية العربية يتفق في مادته مع مفهوم التوحيد في العهد القديم (المرجع السابق ص ٦٢٥).

(أ) هذا الزعم خاطئ، لأن إله العهد القديم هو فقط إله إسرائيل، وإسرائيل اختارها الرب «سفر الخروج (١٩-٦٤) والتثنية (٤، ٢٠، ٣٢، ٩، ٧٠، ٤١، ٨، ٩، ٤٣، ٢١) وإله الإسلام على عكس ذلك هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٣)، دون تفرقة شعب عن شعب، ولم يصطف شعباً بوجه خاص.

(ب) إله إسرائيل هو الأب «أشعيا، إصحاح (٦٣-١٦)، وإجماع (٦٤، ٧) بينما الله في الإسلام ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: ٣)

ولذلك فقد كان «باينتش» على حق حين قال في كتابه «التوحيد عند إسرائيل والشرق القديم»: إن التوحيد اليهودي هو توحيد قومي، أما التوحيد الإسلامي فعالمى.

٢- الصوم اليهودي والصوم الإسلامي:

يزعم جولدتسيهر ومن بعده فنسنك «دائرة المعارف الإسلامية» أن محمدًا قد أخذ الصوم عن اليهودية. وهذا قول خاطئ لما يلي:

(أ) لأن الصوم اليهودي مرتبط بأحداث معينة في التاريخ اليهودي، وهو مقتصر على يوم واحد هو الذي أمرتهم شريعة موسى بصومه، وهو يوم الغفران «سفر اللاويين الإجماع السادس عشر آية (٢٩)» ويأتي بعد ذلك صوم بعض أيام أخرى متفرقة هي أيام الأسر، وهي مخصصة للصوم إحياءً لذكرى النكبات التي حلت باليهود «سفر زكريا إجماع (٨) آية (٩)» وهذه الأيام هي: صوم الشهر الرابع «ترموز» والشهر الخامس «آب» والشهر السابع «تشرين» والشهر العاشر «شباط»، ويبدأ الصوم من طلوع الشمس وينتهي بظهور أول نجوم الليل في المساء فيما عدا صوم يوم الغفران والتاسع من «آب» والذي يستمر من المساء حتى المساء التالى، وخلال الصوم يمتنعون فقط عن الأكل والشرب، وهكذا نرى أن الصوم اليهودي لا يتشابه إطلاقاً مع الصوم الإسلامي لما يأتي:

(أ) الصوم الإسلامي يستغرق شهرًا كاملاً هو شهر رمضان، وليس يوماً واحدًا، أو يومًا وليلة كما هو الحال عند اليهود.

(ب) الصوم الإسلامي ليس مرتبطًا بأية أحداث في التاريخ الإسلامي ولا أية نكبات قد حلت بالمسلمين، ولكنه ركن أساسي من أركان الإسلام الخمسة، وشعيرة أصلية، وعلى عكس ذلك فإن الصوم اليهودي صوم اتفاقى وليس مفروضاً إلا حين تتعرض الأمة اليهودية للاضطهاد، وليس عندما تعيش في سلام «س. هـ» (١٨) «الموسوعة اليهودية الجزء (٥) ص (٣٤٧»، إن الصوم كشعيرة دينية كان موجودًا في كثير من الأديان التي سبقت اليهودية، وكان يتخذ أشكالاً كثيرة وأهدافاً كثيرة، فقد كان فعلاً من أفعال التوبة، أو الكفارة، كما كان عملاً من أعمال التطهير ووسيلة لتقوية الشعائر السحرية، كما كان أخيرًا تعبيرًا عن الحداد وبعيدًا عن الحديث عن البدائيين، كان الصوم في مصر وسيلة غفران الذنوب، وكان الصوم في بابل شعيرة منظمة بهدف التوبة كما توضح ذلك مزامير التوبة عند البابليين، ويصف التائب الصوم بأنه لا يأكل في خلاله ولا يشرب الماء، وهو في أيام محدودة لاسيما في فترات الأحزان والنوائب، حيث يجب القيام بصيام خاص «انظر: بوسلمان البابلى – ليبزج – (١٨٨٥م) ص(٣٤) ما سبرا «فجر البابلية – بوسطن – (١٨٩٨م) ص(٣٢٠ – ٦٨٨)».

ومادام الصوم كان يمارس قبل ظهور اليهودية بآلاف السنين، فبأى حق يدعي جولدتسيهر أن محمدًا أخذه عن اليهودية كما لو كانت اليهودية أول من اخترع الصوم، ولكنه دومًا نفس الابتسار ونفس الفكرة المتسلطة هي التي جعلته يرى ذلك هو ومن على شاكلته من اليهود، كما أن سوء النية يظهر عنده حين وضع الكلمة العبرية «صوم» بين قوسين بعد اللفظ العربى «صيام» ولو كان أكثر ذكاء لقال: «صوم» بدلاً من صيام حيث إنها تقترب من الكملة العبرية ليوضح أن اللفظ العربى هو تماماً منقول عن الكلمة العبرية.

٣- القبلة:

يزعم جولدتسيهر أن محمدًا جعل بيت المقدس قبلة في الصلاة أولاً ليكسب مودة اليهود، لأنه في المدينة كان يعتمد على مساندة اليهود ذوى المكانة العالية، لأنه لديهم يعتبر النبي المنتظر، وآخر رسل الله الموجود في كتبهم «المرجع السابق» ص (٦٥)، ولما لم يحصل على تأييد اليهود غيّر القبلة متجهًا إلى البيت الحرام في مكة، هذا الرأي الشائع عند كثير من المستشرقين أمثال: «فييل ص (٩٠)، موير الجزء (٣) ص (٤٥)، هـ.جريم: محمد (١) ص (٧١) ليون كيتانى ص (٤٦٦)، فربوهي ص (٢١٢)» يفتقر إلى أسس سليمة حيث يمكن أن نأخذ عليه الملاحظات الآتية:

(أ) لا نعرف على وجه الدقة ماذا كانت القبلة في مكة قبل الهجرة، وهناك ثلاثة أراء في هذا الموضوع:

١- القبلة كانت الكعبة «الطبرى: تفسير الطبرى الجزء الثانى، (٤) البيضاوى، تفسير سورة البقرة (١٩٣).

٢- كانت القبلة دائمًا بيت المقدس «تفسير الطبرى الجزء الثانى (٣، ٨) تاريخ الطبرى الجزء الأول ص (١٢٣٠) - البلاذرى: الفتوح (٢) طبعة جويج».

٣- كان محمد قبل الهجرة يقف في صلاته بحيث يرى أمامه على اليمين الكعبة وبيت المقدس «ابن هشام - السيرة ص (١٩٠، ٢٢٨).

ويؤيد كل من سبرنجر في كتابه «حياة محمد وعلمه، الجزء (٣) ص (٤٦) ملحوظة» (٢) وفنسنك في كتابه «محمد واليهود في المدينة - ليدن - (١٩٠٣م) ص (١٠٨) الاحتمال الثانى، وهو أن القبلة كانت في مكة قبل الهجرة هي بيت المقدس، وإذا كان الأمر كذلك فمن الخطأ أن نفترض أن محمدًا اتخذ بيت المقدس قبلة ليتقرب إلى اليهود لأنه في مكة قبل الهجرة لم يكن في حاجة لذلك، ولم يدخل في علاقة مع اليهود إلا في المدينة.

وفي رأينا أن ما يفسد هذا الرأي هو الآتى:

(أ) القول بأن محمدا غيّر القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة في رجب من السنة الثانية للهجرة، كما جاء في ابن

هشام طبعة فستنفيلد (Wistentfeld) ص (٣٨١) وابن سعد «الطبقات الكبرى» م (١٠) ص (٢٦١)، الطبرى «تفسير الطبرى» جـ(٢) ص(٣)، أو في شعبان من نفس العام كما جاء في «تفسير الطبرى الجزء الثانى ص (٣٠) وابن الأثير الجزء الثانى ص (٩٨)» غير سليم لأن الآيات القرآنية التي تحدثت عن هذا الموضوع لم تتحدث عن الرجوع إلى قبلة قديمة ولكنها تقول فقط: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢)، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾ (البقرة: ١٤٣)

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٤٤)

(ب) ومن ناحية أخرى فإن الكعبة في مكة قبل الهجرة كانت أيضًا معبد الوثنية العربية وهي تتأهب لتكون قبلة الإسلام الوليد الذي جاء ليقضى على الوثنية ولا تلائم في النهاية أن تكون قبلة للصلاة لهذا التجمع الجديد، وكان الأمر يستلزم هذا البعد الكبير عن مكان الكعبة حتى يقضى على هذا الانطباع ولا نرى الكعبة كمكان رفيع للوثنية، ولكن كأكبر قلاع الإسلام المقدسة.

(جـ) ونضيف أيضًا هنا أن الإسلام وهو دين إبراهيم وإبراهيم مؤسس الكعبة، ولذلك كان من الطبيعى جدًا أن يتحول المسلمون في صلاتهم إلى الكعبة.

نعتقد أن هذه البراهين تكفي لدحض قضية من أقاموا علاقة أيًا كانت بين اختيار بيت المقدس قبلة في البداية، ورأي محمد في اليهود، أو التجمعات النصرانية في الجزيرة العربية كما زعم أيضًا فريدريش شفالى في «تاريخ القرآن» ص (١٧٥ - ١٧٦) ناخدرك.

ولذلك فالقول بأن القبلة قبل الهجرة كانت بيت المقدس شيء، ولكن القول بأن محمدا أخذ هذه الشعيرة من اليهود شيء آخر تمامًا، صحيح أن اليهود يتجهون في صلاتهم شطر بيت المقدس «أرو (٨، ٤٤، ٤٨) سفر دانيال (٦، ٢)» وأن كل إسرائيلي في صلاته يتوجه نفس الوجهة «يس - بار (١٧، ٥)» ولكن السبب الذي من أجله توجه النبي محمد ﷺ إلى المسجد الأقصى خلال العهد المكي، هو أن الكعبة لم تكن قد طهرت من الأصنام، أو كادت، ولذلك كان المسجد الأقصى هو أنسب قبلة، وقد تحدثت أول آية في سورة الإسراء عن المسجد الأقصى، صحيح أنه ليس هناك اتفاق على تحديد المسجد الأقصى، ولكن التفسير الإسلامي في عمومه يحدده بيت المقدس.

وقد انعقد الإجماع على أن هذه الآية مكية، وأن رحلة الإسراء كانت من مكة إلى بيت المقدس.

وهنا يثور سؤال: أي قدس يقصد، القدس السماوية، أو القدس الأرضية الموجودة في فلسطين؟ وهذا سؤال عبثى «طرحه بلاشير في ترجمة القرآن ص (٣٠٦)، وذلك لأن القدس السماوية وهمٌ اخترعته كتابات يهودية متأخرة متعلقة برؤيا القديس يوحنا «ايتى هن (٩٠-٢٩) ليبين أن هناك قدسًا أبديًا شيده الله في السماء وسوف يكون الملاذ الأخير للمؤمنين، وهو نوع من الفردوس «سبير. رؤيا القديس يوحنا. بار (٢٠٤)، (٤) اسردا (٨، ٥٢)، حيث توجد شجرة الحياة وهي في العهد الجديد تتشبث بأمل السلام، وهي كذلك مذكورة في «رؤيا القديس يوحنا (٢١، ١٠)» هكذا: «لقد نقلنى بالروح على قمة جبل عال كبير، وأشار إلى المدينة المقدسة، القدس التي تنزل من السماء من عند الله ويؤكد بلاشير «المرجع السابق» هذا الافتراض الخيالى وهو أن «المسجد الأقصى» يعني «القدس السماوية» ولكنه يزعم «أن بعد فترة طويلة عندما كان خلفاء بنى أمية بدمشق أرادوا أن يحرروا مكة من امتيازها كعاصمة دينية ووحيدة للإسلام فلم يعد تعبير «المسجد الأقصى» يعني «القدس السماوية» ولكن مدينة يهودا نفسها».

أخيرًا، يسوق جولدتسيهر في نفس مقاله في «الموسوعة اليهودية» - الجزء الرابع ص (٦٦٥)» ادعاء وهو «تأثير الشريعة اليهودية على الشريعة الإسلامية» ولكن لم يحدد من هذا التأثير إلا طريقة ذبح حيوانات الأكل وغُسل الميت قبل وضعه في اللحد.

ولكن تغسيل الميت شعيرة قائمة منذ الأزمنة القديمة وحتى عند البدائيين «انظر موسوعة الدين والأخلاق جـ(٤) ص(٤١٧) أدنبرج (١٩١١م) «غسل الأبدان»، إذا ليست هذه شريعة اخترعها اليهود.

أما عن ذبح الأنعام بغرض أكلها فتلك عملية معقدة جدًا عند اليهود وبسيطة جدًا عند المسلمين، فعند اليهود يجب أن يقوم «دشاهوت» أيّ رجل مكلف بممارسة عملية الذبح حسب الطقوس، ولا يسمح للنساء حسب مقتضيات التلمود بممارسة هذه المهنة «انظر يوره دياه (١، ١) (Yoreh Déah) (١،١) وشاهوت متقيد بالمحاذير الآتية: ألّا يكون مدمنًا للمشروبات الروحية «شولهان أروك، يوره دياه (١، ٨)»، أن لا يكون متهمًا باللامبالاة في واجباته «المرجع السابق» (١٤)، أن لا يكون فاجرًا، ومذنبًا حسب القانون، وألا ينتهك حرمة السبت «السابق (٥١)» «الموسوعة اليهودية، جـ(١١) ص

(١١٣) نيويورك ولندن (١٩٠٥م).

وفي الإسلام على عكس ذلك لا يوجد شيء من كل هذا، لا رجل بعينه مختصًا بعملية ذبح الأنعام، ولا أية مؤهلات معينة فيمن يَذبح، والشيء الوحيد الذي يجب مراعاته أثناء الذبح هو ذكر اسم الله تعالى في بدايته حتى تتحاشى أن تكون الأضحية قد ذبحت من أجل صنم أو إله غير الله -عز وجل-، وأن يقطع الحلقوم والمريء، وهذه ليست عادة خاصة باليهودية.

نرى إذا أن الحالتين المذكورتين كحالات تأثير من الشريعة اليهودية على الشريعة الإسلامية لا يحال فيها لإثبات تأثير أي من الشريعتين على الأخرى، ولن يفيد جولدتسيهر في شيء أن يضع ألفاظ الذبح في العربية بجانب مثيلاتها في العبرية، أو العكس فلن ينطلي هذا الأمر على أحد، لأن مفهوم اللفظ العربى يختلف كلية عن مفهوم اللفظ العبرى، وهكذا يرجع إليه جولدتسيهر في أحيان كثيرة.

وهو يستعمل أيضًا نفس الوسيلة في سوق أشياء كثيرة دون ذكر مصدرها، فهو يقول في «المرجع السابق ص (٦٥٦أ): «يحكى أن عائشة زوجة الرسول قد تلقت فكرة عذاب القبر "hidabul kabr" من امرأة يهودية ثم ضمها محمد إلى تعاليمه» من أين أتى بهذه القصة؟ هو نفسه لم يقل، ونحن بدورنا لا نعلم عنها شيئاً، ولذلك فهي لا تستحق أن يقام لها

وزن، «انظر فنسنك المنظومة الإسلامية ص (١١٧، ١١٩)».

على أية حال يجب أن نعترف له أنه كان أكثر وسطية من مستشرقين آخرين أمثال الفريد فون كريمر في كتابه «تاريخ حضارة المشرق تحت حكم الخلفاء» الجزء الأول صفحات (٢٢٥-٢٥٥) وقد ذهب بعيدًا فزعم أن صياغة القانون المدني الإسلامي تأثرت بالشريعة التلمودية الحاخامية، وقد لاحظ «جولدتسيهر» في هذا الموضوع أن هناك شكًا تشريعيًا في حالات كثيرة من هذه المقارنات، ويمكن أن نتساءل عما إذا كان القانون الرومانى هو الذي أثر على تطور الشريعة الإسلامية، وهل يشك في ذلك أم لا؟ على اعتبار أنه المصدر المباشر الذي اقتبس منه الفقهاء المسلمون «المرجع السابق ص (٦٥٧)»، ولكن هذا يعود بنا إلى معركة أخرى أشد خطورة ساهم فيها قبل ذلك بدراسة سطحية، كما اعترف هو نفسه وعنوانها «دراسة محمدية» الجزء الثانى ص (٧٥) ملحوظة (٢) وعنوانها باللغة المجرية «حول بدايات علم الفقه الإسلامي» بودابست (١٨٨٤م)، المعهد المجرى أكاديمية العلوم، وقد وعد باستئذانها من جديد، وهو وعد لم ينجزه على ما يبدو وقد أعطى أمثلة على هذا التشابه بين القواعد الفقهية الإسلامية واليهودية حيث جعل المصدر الأصلى هو القانون اليهودي وهي:

(أ) الاستصلاح في الفقه الإسلامي = تيفون هاعلام في

القانون اليهودي.

(ب) الاستصحاب في الفقه الإسلامي = praesumptio في القانون الرومانى.

(جـ) القاعدة الفقهية التي تقول: القاضى لا يحكم بعلمه في الفقه الإسلامي، تقابلها القاعدة التلمودية enladdayanellamasheenawrooth.

وهذا درس في الحذر يلقيه جولدتسيهر والذي كان من الجدير به أن يكمله ولكن للأسف كما أوضحنا طوال هذا الفصل فإنه لم يكمل منه إلا النزر اليسير.

***

الفصل السادس
«الصابئون في القرآن»

أحد أصعب مشاكل ترجمة القرآن هو مفهوم كلمة «الصابئون»، ذلك الاسم الذي ذكر ثلاث مرات في الآيات الآتية:

١ – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (المائدة: ٦٩)

٢ – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٦٢)

٣– ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (الحج: ١٧)

ونستعرض الآن آراء مختلف المستشرقين الذين حاولوا شرح معنى الصابئين:

أولاً: سبرنجر وهو يعتقد أن معنى الصابئين مقابل كلمة الحنيفيين، وهو نفس رأي ج. بدرسون (J-Pedeerson) «دراسات شرقية، برون، كمبردج (١٩٢٣م) ص(٣٦٦)».

وفي رأينا فإن هذا الرأي فاسد لما يلي:

(أ) كما يؤكد الشهرستاني في الملل والنحل ص (١١٦) بترز - يونيسكو (١٩٨٦م) أن الحنفاء عكس الصابئين، وكل من الديانتين مختلفة عن الأخرى ومعارضة لها، والحنيفيون هم أتباع إبراهيم بينما الصابئون هم عبدة الكواكب، وهي عبادة حاربها إبراهيم -عليه السلام-، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾

(الأنعام: ٧٦)

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾

(الأنعام: ٧٨)

(ب) لا يوجد أي شيء في القرآن يقول: إن للصابئين كتابا مقدسا بينما كان لإبراهيم -عليه السلام- صحف قال الله تعالى:

﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٩)

قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ (النجم: ٣٦، ٣٧)

ثانيًا - يؤكد هورفيتز «دراسات قرآنية» ص (١٢١)» أن

الصابئين هم أو مجمل طوائف المعمدين، ويطور هانزهنرش شيدر هذا الرأي في مجلد «عالم الشرق» العدد الرابع ص (٢٩٠)، شتوتجارت (١٩٤٩م)، ويقول:" «لقد سمع محمد وهو في مكة عن المعمدين البابليين وهم الصابئون المذكورون في القرآن ثلاث مرات، وهي كلمة ترجع إلى الشكل البابلى الآرمى للكلمة التي تعني «غطس في الماء، عَمَدَ «صبا = الكلمة السريانية صبا».

ونفس الرأي نجده عند ر. بيل «أصل الإسلام ص (٦٠)».

ثالثًا - يقول كارادى فو (Carrade Vaux) في مقال بعنوان «القرآن ومكانته في قاموس أصول اللاهوت الكاثوليكى» مجـ(٣) جـ(٢)، (١٧٧٨م) باريس، (١٩٢٣م).

«إن بقية الشريعة المحمدية مقتبسة من مصادر يهودية مسيحية، أو من مجموعة، مقتبسة من المذهب التأليهي وكثير من هذه التعاليم يحمل اسم الصابئين، وقد عرف الأدبُ العربى نوعين من الصابئين: أولئك الذين ذكرهم القرآن وأولئك الذين كانوا يسكنون «حران» وقد كانت هذه التعاليم تستخدم في عبادة الكواكب والوضوء، وقد عد محمد الصابئين ضمن أهل الكتاب أي ضمن الأمم التي لها كتب مقدسة، وعلى ما يبدو فقد تلقى عنهم تطور مذهب النبوة وأساطير الأنبياء، وعادات الوضوء، وقد هب ضد عبادة الكواكب، وأما عن وصف الفردوس والأهمية التي أولاها للملائكة والجن فيتضح فيه

تأثير التعاليم الفارسية».

يجدر بنا أن نوضح هنا أن نص (كاردى فو) مليء بالخلط كالتالى:

(أ) الخلط بين الطوائف المعمدنية وبين من يعبدون الكواكب.

(ب) الخلط بين التعميد والتعاليم المعمادية والوضوء المطلوب لكل صلاة في الإسلام.

(جـ) الخلط بين قصص الأنبياء في القرآن، وقصص الأنبياء المحكى في كتب المعماديين المقدسة وخاصة كتابهم الكبير «الجنزا» (Ginza).

لندع إذا جانبًا افتراضات كاردى فو ونلتفت فقط إلى الآراء الموجودة في الباب بعاليه.

كون النبي محمد ﷺ قد سمع عن المندائية فهذا أمر محتمل، ويمكن أن يكون قد عرفها من سلمان الفارسى الذي كان على دراية بالتعاليم الدينية المنتشرة في بلده الأصلية «فارس» «انظر - ماسنيون - سلمان - باك - باريس (١٩٣٠م) ترجمتنا لها إلى العربية، القاهرة (١٩٣٧م) تحت عنوان «شخصيات قلقة في الإسلام» إذا اسم الصابئين أتى من كلمة «ماس بوتا» بمعنى تخمر في الماء، وهو شعيرة أساسية عند المندائيين.

ولكن من الصعب أن ينتشر هذا المصطلح بالعربية، لأن في العربية كلمة «صبا» تعني أساسًا «تخلص من»، ثم تعني استعارة «تخلص من دين ليعتنق دينًا آخر، واسم الفاعل منها «صابئ» وجمع المذكر السالم «صابئون»، وكذلك يشرح أبو إسحاق معنى كلمة «صابئين» في القرآن بمعنى: الذين تركوا دينهم واعتنقوا دينًا آخر «انظر الزبيدى - تاج العروس، مادة صبأ جـ (١) ص (٣٠٧) مطبعة الكويت» ولكن من أية منطقة جاءت؟ من اليهود أم من النصارى، وكما قال: ك - كولب في مقال نشر في الموسوعة تحت عنوان «الدين منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر جزء (٤) مادة «معمد» ص (٧١١) يقول: «أصل المندائيين يستلزم البحث بين التعاليم المعمدانية الموروثة من اليهود والنصاروى وهم طوائف موجودون في المناطق الحدودية بين سوريا وفلسطين، وهذا ينطبق على اللفظ النعتى «صب» بدلاً من «مد» ليشير إلى «الغمر في الماء» وذلك بواسطة مراجع خاصة بتاريخ المنشقين اليهود الذين انفصلوا عن اليهودية.

ولو عولنا على الأصل العربى، فإن كلمة الصابئين يكون معناها المنشقين الذين خرجوا من الدين اليهودي أو المسيحي ليكونوا دينًا آخر، ويجب الآن أن نعلم أي دين انشق عن اليهودية أو المسيحية؟.

من ناحية أخرى، هل هم الصيباويون الذين أشار إليهم

القديس «إبيفان» على أنهم طائفة سامرية أسبق من المسيحية، وأنهم يتفقون بلا شك مع «المعمدين اليومين» لأن هناك كتابا آخرين كثيرين، وخاصة من اللغة اليونانية كانوا قد ظهروا قبل المسيح في المناطق القريبة من الأردن، مثل الهلينيين هـ.ا.

رابعًا - (٢٢، ٥) كوتست - أبوست - جيروم - هيريس، إبيفان، (٨، ١٩، ٥) محادثة بوستين (٥٠)، كما أن التقاليد التلمودية تصفهم بأنهم «المعمودون الصباحيون» «بيراكلوث tosephataladaism» (٢)!، أتا باردى في قاموس أصول الدين الكاثوليكى، مجلد (٩) الجزء الثانى (١٨١٤م) وعلى ذلك فهم منفصلون عن اليهودية.

وقد جعلهم الشهرستانى ضمن القدماء أيضًا حيث أكد أن الصابئين كانوا موجودين في زمن إبراهيم ص (٦٣١).

ويمكننا هنا أن نذكر مختلف تفسيرات مفسري القرآن المسلمين وعلماء اللغة لهذه الكلمة كالتالى:

(أ) في «مختار الصحاح للجوهرى» الصابئون هم طائفة من أهل الكتاب.

(ب) في «التهذيب للأزهرى الصابئون هم قوم يشبه دينهم دين النصارى ويزعمون أنهم على دين نوح.

(جـ) في تفسير البيضاوى يقول: «الصابئون هم عباد الملائكة وقيل عبدة الكواكب، وقد خصص الشهرستانى في

كتابه «الملل والنحل قسما كبيرًا جدًا للصابئين من ص (٢٠٣) إلى (٢٥١) طبعة، وكاتون - لندن (١٨٤٦م) ويحتوي الكتاب كله على (٤٥٨) صفحة».

وقد عرض في هذا الفصل مذهبهم في شكل مجادلة بين الصابئين والحنيفيين وهم أتباع إبراهيم -عليه السلام- وقد خرج من هذه المناقشة بأن الصابئين يقيمون دينهم على أساس من الروحانيات، والتي هي الوسائط بين الله الخالق العاقل والخالى من كل صفة من صفات الخلق وبين البشر، وهذه الروحانيات خالصة من كل الاعتبارات، في المادة والفعل والحالة في المادة لأنها خالصة من أي شيء مادى أو أي حركة ذاتية، أو أي تغير مزاجى، وحسب تعاليم أساتذتهم الأوائل أجدامون، وهرمس، وسطائهم عند الله الذي هو رب الأرباب وإله الآلهة، وحتى يتعلقوا بهذه الروحانيات فإنهم يأخذون على عاتقهم تطهير أنفسهم من الرغبات الطبيعية وتطهر أخلاقهم من الرجس، وإذا تطهروا على هذا النحو استطاعوا أن ينصرفوا إلى شئونهم ليلتمسوا بعد ذلك عفو الله «الشهرستانى ص (٢٠٣، ٢٠٤) ونرى من خلال عرض الشهرستانى أن ديانة الصابئين متأثرة بالثنائية الفارسية ولكن هذا يخرج بنا عن سياق الحديث.

ولكن لو كان الصابئون متأثرين بالثنائية الفارسية فالقرآن

يميز بينهم وبين المجوس بصراحة في القرآن كما تشهد الآية (١٧) من سورة الحج، والتي ذكرناها في بداية هذا الفصل.

وعلى هذا يجب أن نتساءل هنا لماذا قال القرآن عنهم ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ، تمامًا كما تحدث عن اليهود والنصارى؟ هل هم أيضًا من أهل الكتاب هؤلاء الصابئون؟ فبينما لم يحدثنا القرآن عن عنوان كتابهم عين لنا عناوين كتب اليهود والنصارى «التوارة والإنجيل»، وما كان من الممكن أن يذكر القرآن كتاب «الجنزا» «الكنز في العربية»، لأن هذا الكتاب لم يكن قد جمع إلا فيما بعد في القرنين السابع والثامن الميلادى، ويقال أيضًا: إنه لم يجمع أو يحرر من قبل الصابئين إلا لينهضوا أمام سلطة المسلمين باعتبارهم ضمن أهل الكتاب وتكون لهم نفس معاملة اليهود والنصارى في الإسلام.

ومن ناحية أخرى لا يعترف الصابئون بالأنبياء، لأن الأنبياء بشر لهم كل الصفات البشرية، ويقول الشهرستانى ص (٢٠٤): تقول الصابئة: إن الأنبياء مثلنا في النوع ولهم نفس شكلنا ونشاركهم في المادة، وهم يأكلون ما نأكل ويشربون ما نشرب ولهم نفس هيئتنا، إنهم بشر مثلنا فلماذا إذا نطيعهم؟ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٤)،

وتلك هي قضيتهم «المرجع السابق» إذا كانت هذه قضيتهم فيما يتعلق بالنبوة فكيف يضعهم محمد على قدم المساواة مع اليهود والنصارى؟، وبمراجعة الآية (٣٤) من سورة المؤمنون لماذا يقول الليث «انظر رقم (١) supra» ذكره الأزهرى في «التهذيب» والفيروز أبادى في «القاموس» يقول الليث: يزعم الصابئون أنهم على دين نوح، لأنهم بعد عرض قصة نوح، يتحدث القرآن عن جيل تال لقوم نوح أرسل إليهم رسول دعاهم إلى عبادة الله، ولكن قومه رفضوا الانصياع لنعمه ولم يؤمنوا، قائلين: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ **(المؤمنون: ٣٣، ٣٤)**

وهناك حجة ثانية تعارض أن الصابئين المقصودين في آيات «المائدة (٦٩) والبقرة (٦٢)» هم الذين يدعون أنهم على دين نوح، لأن القرآن نعى عليهم بينما قال خيرًا عن المقصودين في الآيتين «المائدة (٦٩) والبقرة (٦٢).

وعلى ذلك تكون مشكلة تحديد الصابئين المقصودين في هاتين الآيتين وأية الحج (١٧) قد أصبحت معقدة جداً، لأنهم ليسوا هم الصابئة الذين وصفهم الشهرستانى ولا أتباع نوح حسب رأي الليث عند الأزهرى والفيروز أبادى.

فليسوا هم المعمدون كما زعم هورفيتز وآخرون، لأن عقائد وشعائر المعمدين ما كان يمكن أن يقبلها النبي محمد ﷺ مثل: عبادة الكواكب، ورفض النبوة، والقول بالتثنية وعبادة الكون وشعائر التعميد، فهل من الممكن والحال هذه أن يمدح سيدنا محمد ﷺ الصابئين أو من على شاكلتهم ماداموا لا يعملوا خيرًا؟.

وبالرجوع إلى جـ. باردى «قاموس أصول اللاهوت الكاثوليكى (٩، ٢) (١٨١٤م) في التعاليم التي سماها القديس إبيدفان «نصائح هيريس ص (٦) مجلد (٤١، ٢٤٤) الصبياويه كلمة غامضة لأن إبيدفان لم يقل شيئًا عن عقيدة بهذه التعاليم ولكنه تحدث فقط عن تغييرهم تواريخ بعض الأعياد اليهودية، وعلاوة على ذلك يخلط باردى دون دليل بينهم وبين معمدى حران الذين تحدث عنهم إبيدفان في الفصل السابع عشر والنذارين الذين تحدث عنهم في الفصل الثامن عشر ص (٤١، ٢٥٥، ٢٥٩) ومع خلطه بين هذه الطوائف اليهودية الثلاثة لم يتوصل إلى تبرير الثناء على الصابئين في القرآن.

هل يجب إذا أن نيأس من أن نجد حلاً لمشكلة الصابئة في القرآن؟ نعم وهذا ختام قولنا.

***

الفصل السابع

«الرسل في القرآن»

من بين الآراء الخيالية (لفنسنك) وما أكثرها ما يلي:

«إن فكرة الرسل المرسلين إلى مختلف الأقوام يمكن أن تكون قد وصلت إلى محمد عن طريق قنوات مسيحية مثل تلك الخطة المذكورة في طريقة نشر المسيحية عبر العالم، والفرق يكمن في حقيقة أنه لا محمد ولا المنهج الإسلامي يعرفان شيئاً عن الرسل الاثنى عشر «المنظومة الإسلامية» ص (٢٠٣) كامبردج (١٩٣٣م).

إنني لأتساءل بداية: لماذا يكون النبي محمد (ﷺ) قد تعلم فكرة الرسل المبشرين المرسلين إلى مختلف الأقوام من خلال الطرق المسيحية؟ ألا توجد فكرة الرسل المبشرين المرسلين إلى أقوام لدى اليهود أيضاً؟

لقد تكررت هذه الفكرة في عدة مواضع من العهد القديم:

١- في سفر الملوك الأول، الأصحاح ١٤، الآية ٦، ٧: «أنا مرسل إليك يقول فاسى اذهبى قولى ليربحام، هكذا قال الرب إله إسرائيل من أجل أنى قد رفعتك من وسط الشعب وجعلتك رئيساً على شعبى إسرائيل».

٢ - في سفر إشعياء، الأصحاح، الآية ٨، ٩: «ثم سمعت صوت السيد قائلاً من أرسل ومن يذهب من أجلنا فقلت هأنذا أرسلنى فقد أذهب وقل لهذا الشعب».

ويقابل كلمة الرسول باللغة العبرية كلمة شالو (Shaloh)، وقد ترجمت إلى الإغريقية بكلمة (Apostolos).

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الكلمة أبستلس (Apostolos) لها عدة استعمالات ومعانٍ في العهد القديم:

١ - في إنجيل متى (١، ٢)، وإنجيل مرقس (٦، ٣٠)، وإنجيل لوقا (٦، ١٣) المقصود منها الرسل الاثنى عشر الذين لم يشر إليهم القرآن مطلقاً باعتراف فنسنك (حيث لم يرد سوى اسم الجنس - الحواريون).

٢ - أما في إنجيل لوقا (١١، ٤٩) فإن كلمة أبستلس (Apostolos) يشار بها إلى رسل الله «لذلك أيضاً قالت حكمة الله إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلاً».

٣ - في الرسالة الثانية إلى أهل كورنتس (٨-٢٣)، والرسالة إلى أهل فيلبى (٢، ٢٥) يقصد بها مبعوثى الكنيسة، ولو كان فعلاً لمحمد أن يطلع على فكرة الرسل المبعوثين للشعوب لفعل ذلك متأثراً باليهود وليس بالمسيحيين!.

ولا نريد أن نقول إن محمدا أخذ فكرة رسل الله عن أحدهما دون الآخر، ولكن على العكس، فإننا نريد أن نؤكد أنه لم يتعلمها من أي منهما.

والدليل أن مفهوم رسل الله مختلف تماماً عن «شالوه» العبرية عن aptosolos الإغريقية، إنه مختلف عن الشالوه عند اليهود لأن الرسول ليس فقط مبعوث من عند الله لإعلان أو نقل أمر، ولكن يجب أن تكون له مهمة تستغرق حياته وهي إعلان دين بتبليغ كتاب مقدس، إنه أكثر من مجرد نبي لأن النبي لا يأتي بكتاب مقدس، ولذلك يقول علماء التوحيد المسلمون: إن الفرق بين الرسول والنبي يكمن في أن الرسول هو من أرسله الله بدين جديد وكتاب مقدس، هو المعبر عن هذا الدين، بينما النبي هو الذي ليس له مهمة إلا البشارة والإنذار، بينما كلمة (الشالوه) العبرية تعني المرسل إلى شخص بعينه، لكن كلمة رسول في الإسلام تعني المرسل إلى أمة، وفيما يتعلق بالرسول في الأناجيل والكنيسة المسيحية بصفة عامة، فإن الرسل الاثنى عشر ليسوا مرسلين من قبل الله «الأب» ولكن من قبل السيد المسيح، وهذا هو أول فرق بينهم وبين الرسل في الإسلام، والفرق الثانى هو أن أياً من هؤلاء الحواريين الاثنى عشر لايحمل أي كتاب خاص، ولكن كلاً منهم بلا تفرقة يبشر بنفس الدين ويبلغ نفس الخبر، إذاً فمعنى الرسل في الإسلام مختلف تماماً عن معنى الحواريين في المسيحية، وهذا يشرح لماذا لم يسم القرآن الحواريين الاثنى عشر «رسل» «جمع رسول» فلم يكونوا إلا تلاميذ للمسيح، وحواريون مفرد حوارى، وحسب رأي نولدكه «كلمة حوارى مقتبسة من الكلمة الإثيوبية (نولدكه - مقاله حول علم اللغات السامية ص (٤٩)» وفي المعاجم العربية، توجد تفسيرات

مختلفة، والمقبول منها هو ما يؤكد أن الحوارى هو المخلص أو الأمين جداً، ويسوق كلاماً للنبي محمد يقول فيه: الزبير بن العوام ابن عمتى حوارى، ومن أهل بيتى، أي أنه أحد الأقربين إلىّ من بين أصحابى أو من بين المؤمنين، أو مساعدى «معينى - تاج العروس، المجلد الثانى ص (١٠٣) ط. الكويت» ولذا أطلق على المؤمنين بمحمد الحواريين، ويقال أيضاً الحوارى هو: النصير عامة، أو الصديق الحميم، أو المؤمن «المرجع السابق»، وفي هذا المعنى استعملت كلمة حواريين في القرآن لتعني المؤمنين بعيسى المسيح، وذلك في ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: آية ٥٢)

وتكفي بعض الإشارات لتوضيح الأهمية القصوى لفكرة الرسل في القرآن وهي:

(أ) ذكرت كلمة رسول (١٤٦) مرة في القرآن وأغلبها يتعلق بالنبي محمد ﷺ.

(ب) كلمة «رسوله» أي محمد «رسول الله» وردت (٨٤) مرة، ورسلنا (٤) مرات.

(جـ) مفهوم رسول في الإسلام أكثر أهمية منه في اليهودية والنصرانية، ولذلك فمن العبث أن نعقد مقارنة في هذا الموضوع بين المسيحية والإسلام والأكثر عبثاً أن نزعم أن الرسول استعار مصطلح رسل من المسيحية.

الفصل الثامن

«قراءة هللينية خيالية للقرآن»

لقد رأينا كيف أن المستشرقين أمثال «هيرشفيلد - جولدتسيهر - وهورفيتز - وتورى» قد قرأوا القرآن قراءة يهودية، وأن آخرين أمثال «موبير - وبيل - وآرنز» قد قرأوه قراءة مسيحية، أو يهودية مسيحية، ومن باب السخرية فإننا نريد أن نعارضهم في هذا الفصل، فماذا يمكن أن يقول هيلليني يقرأ القرآن بطريقته، إنه يمكن أن يقول الآتى:

لقد اقتبس القرآن كثيرًا من الأفكار والتعاليم اليونانية وأهمها الآتى:

(أ) من أرسطو، استعار مفهوم الفضيلة «كوسط بين طرفين»، فالله يقول في القرآن متحدثا عن الأمة الإسلامية ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ (البقرة: ١٤٣)

ولقد أوضح علماء الأصول المسلمون هذه السمة الوسطية للإسلام، وما يزالون يوضحون أنها علامة مميزة وهامة في الإسلام، والإسلام يحافظ دائماً علي التوسط بين الطرفين في قانون أخلاقه، وفي مفهومه الفقهي وعقائده وشعائره.. وهكذا، وكذلك يقول الله عن الإسلام كأمة أو دين ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

(ب) لقد مجد القرآن الإسكندر الأكبر في ست عشرة آية في سورة الكهف من آية (٨٣) إلى (٩٨) تحت اسم مستعار هو «ذو القرنين» وقد وصف بأنه شخص ما ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا﴾ وقد ذهب حتى مغرب الشمس، فكان ملكاً قوياً جداً أرهب الظالمين وكافأ بشكل أجمل ﴿مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾ (الكهف: ٨٨)، وهو الذي بنى جسرًا بين الأشرار يأجوج ومأجوج من جهة والمؤمنين من جهة أخرى، إذاً فالإسكندر الأكبر هو الملك المثالى والعادل.

(جـ) ذكرت أسطورة سيزيف في القرآن، وفي الواقع فإن سيزيف هذا كما ورد في «الأوبيسا» الجزء الثانى (٥٩٣)، محكوم عليه بالعذاب الآتى: فهو مجبر على تحريك صخره بطريقة متواصلة من أسفل الجبل حتى قمته ثم تسقط الصخرة فيأتي بعد ذلك وهو مجبر بشكل سرمدي على تكرير تلك العملية.

وفي القرآن نجد هذا العذاب وقد صب على إنسان كافر في الآية ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧﴾

(المدثر: ١٦-١٧)

(د) في القرآن نقرأ ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ (الأنبياء: ٣٠)، و﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ﴾ (النور: ٤٥)

وهذه نفس فكرة طاليس «(٦٤٠-٥٦٢) ق.م» والذي يؤكد أن الماء أصل كل شيء في الكون، وأنه الدعامة الأساسية (ولأنها طبيعته تحيط به من كل جانب): والرطب منه مصدر الحياة وهو المخصب والضروري للإنبات.

(هـ) في القرآن يقول الله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (النور: ٣٥)، ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ﴾ (النور: ٣٥)، وفي الأفلوطونية الحديثة وخاصة عند مؤسسها أفلوطين (٢٠٤-٢٧٠)م يعتبر النور هو المبدأ الأول، وكل الكون انعكاس لهذا المبدأ، وهو نور ينبثق من نور، والكون كله إنارة على اعتبار أنه ينتقل من درجة إلى أخرى من النور المتلقى عن الواحد الأحد.

والآيتان القرآنيتان المذكورتان بعاليه سيكونان موضوع التأمل الضوئى الفلسفي عند دراسة الإشراقيين التي أسسها السهروردى المقتول (١١٩١م)!

(و) ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ (الجاثية: ٢٤)

ويمكن أن نعترض أن في ذلك اقتباسا من الأبيقورين فبالنسبة لهم المهم هو الحياة التي يعيشونها، ولا يعني الموت بالنسبة لهم شيئًا، وما يأتي بعد الموت لايهمهم في شيء، إذاً فلننتهز الملذات التي تقدمها لنا حياتنا العاجلة فليس هناك خلود ولابعث بعد الموت، فحسب قولهم فالنفس هي في

حقيقتها جسم، ولا يجب أن تكون غير ذلك، وهي مكونة من ذرات، وعندما يخترم الموت هذه الذرات لا يبقى منها شيء، وكما يقول أبيقور: «الموت لا يعني عندنا شيئاً لأننا عندما نكون أحياءً فلا موت، وعندما يأتي الموت لايكون لنا وجود، والإنسان المتشبث بالخوف من الموت والحياة الأخرى سوف يقدر تماماً ملذات الحياة الفانية، والتي لم يعد لها خلود «ديوجن ليرس» (٥ , ٤ , ١٩) وعند أبيقور الآلهة مكونون من ذرات لطيفة جداً، ويعيشون في عدد لا متناهي، وفي أنواع لا متناهية توجد في العالم، وهم لا يهتمون إلا بسعادتهم فقط «الطبيعة الإلهية» (٢ , ٥١).

وكون القرآن يقتبس من الأبيقوريين دليل على أن هذا المذهب كان لهم معتنقون في الجزيرة العربية، في زمن عقائدهم، ولابد أنهم اعتنقوا هذا المذهب دون أن يعلموا مؤلفه وهو ما يحدث كثيرًا في تاريخ البشرية.

ولكننا نتوقف عن هذا الجزء من معارضتنا، وإلا فإن هذا الهللينى سيقع في نفس الأخطاء التي ارتكبها أتباع هيرشفيلد وأتباع جولدتسيهر وأتباع هوروفيتز والآخرون.

الفصل التاسع

«هل للبسملة مصدر في العهد القديم»

يزعم نولدكه - شفالى في «تاريخ القرآن المجلد الأول ص (١١٦) (Geschichte de Worans 1,P 116)

أن الصيغة التي تبدأ بها كل سورة في القرآن فيما عدا سورة براءة(Baraah) «التوبة» جاءت مقتبسة من اللغة المستعملة في الإنجيل، ثم يحد من هذا الزعم مضيفاً «ويرد هذا الاستخدام صراحة مرتبطاً بكلمات دالة على الأفعال ومرتبطاً تارة بعبارات كمثل «بسم الله» و«قل» وكذلك في المواضع الموجودة في (١) أصحاح (٣) آية (١٧) التي تعرض استخداماً مطلقا للصيغة.

وفي الملحوظة (٣) يذكر الأصل العبرى «بسم باوا» في العهد القديم، والأصل الإغريقى en onomeati kourion في العهد الجديد.

ولكنى عبثاً بحثت في العهد القديم فلم أجد عن صيغة «بسم باوا» كصيغة للصلاة ومناجاة الله كمعنى البسملة في القرآن.

وفي الحقيقة إن بسم باوا مستعملة في العهد القديم في موضع واحد هو:

سفر الملوك الأصحاح ١١٨، الآية ٢٤ «ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب يهوا Yahwa».

إنه لمن الواضح أنه ليس هناك أي تشابه مع البسملة، كل ما يقال هنا «ادع إلهك وأنا سأدعو إلهي، إنه من الحماقة أن نجد في هذه الآية التوراتية أصل البسملة التي تقول «بسم الله الرحمن الرحيم».

وهناك آية توراتية أخرى استعمل فيها التعبير بسم باوا **yahwa bishm** ولكن ليس بمعنى النداء، وإنما فقط بمعنى: بعون باوا، وهي آية (٤٥) من سفر صموئيل الأول الأصحاح ١٧ «قال داود لفلسطين: «تأتينى أنت مسلحاً بسيف ورمح وحربة، وأنا آتيك مسلحاً باسم الرب»، وهذا هو معنى **"yahwa bishm"** في مواضع كثيرة من العهد القديم، أيوب (١، ٢١) المزامير، وهذا فيما يتعلق بدعوى أصل البسملة في العهد القديم.

أما فيما يتعلق بالعهدالجديد، فإن افتراض نولدكه شفالى أكثر كذباً فهو يرجع البسملة إلى هذه الآية من رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثا الآية ١٧ من الأصحاح الثالث حيث يقول: «وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين لله والأب به».

ويجب أن نتساءل: ما هي العلاقة بين هذه الآية للقديس بولس والبسملة؟ الإجابة واضحة: ليس هناك أية علاقة فالآية تسير في اتجاه معاكس لمعنى البسملة.

ولكن تعنت كل من نولدكه وشفالى لا يتوقف، فهم يواصلون قولهم: «وطبقاً لهذا النمط فإن الموضعين الوحيدين في القرآن يرجعان إلى مصادر يهودية غير معروفة بغض النظر عن عناوين السور التي توجد فيها البسملة».

ولكنهم لا يذكرون أي مصدر يهودى مما يدل على إدعائهم الذي لا أساس له من الصحة، لهذا لم يورد كارادى فو (**Carrade VaUa**) في «فصل البسملة» ووالس (**A.T Welech**) في «فصل القرآن» زعم نولدكه - شفالى المغلوط ضمن مقالات موسوعة الإسلام «الطبعة الثانية» (**Engyclopedie de Islam-2 eneéd**).

الفصل العاشر

«فشل كل محاولة لترتيب زمانى للقرآن»

لقد تعددت وتنوعت محاولات العلماء المسلمين، القدامى وكذلك المستشرقين الأوروبيين المحدثين لترتيب سور القرآن حسب تاريخ نزولها.

أولاً: الترتيب لدى المسلمين:

اتفق العلماء المسلمون الذين ناقشوا هذه القضية على تقسيم السور القرآنية إلى فترتين المكي والمدني، ولكنهم وضعوا قوائم مختلفة نوعاً ما عن هاتين الحقبتين لنرى معاً هذه القوائم وفقاً للترتيب الزمنى الذي اختاره واضعوها:

١ – يعطى ابن النديم في الفهرست، القائمة الزمنية الآتية:

(أ) العهد المكي:

العلق (٩٦) آيات (١) إلى (٥)، القلم (٦٨)، المزُمّل (٧٣)، المدثِرّ (٧٤)، المسد (١١١)، التكوير (٨١)، الأعلى (٨٧)، البينة (٩٤)، النصر (١٩٣)، الفجر (٨٩)، الضحى (٩٣)، الليل (٩٢)، العاديات (١٠٠)، الكوثر، التكاثر، الماعون، الفيل، الإخلاص، الفلق، الناس (ويرى البعض أن هذه السورة مدنية» النجم، عبس، القدر، والشمس، البروج، التين، قريش، القارعة، القيامة، الهمزة، المرسلات، ق، البلد، الرحمن، الجن، يس، المص «الأعراف» (وقيل هي سورة مدنية)، الفرقان، فاطر،

مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النحّل، القصص، الإسراء، هود، يُوسُف، يُونس، الحجر، الصافات، لقمان (آخر هذه السورة مدنية)، الأنبياء، الزمر، الجاثية، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف (آخرها مدنى)، الأنعام (وفيها آيات مدنية)، نوح، إبراهيم، السجدة، الطور، الملك، البلد، المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، المطففين، القمر، الطارق.

(ب) العهد المدني:

البقرة، الأنفال، الأعراف، آل عمران، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الطارق، الطلاق، البينة، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، الجمعة، التغابن، الصف، الفتح، المائدة، التوبة «إلا الآيات (١٢٨، ١٢٩، ١١٠) فمدنية.

وترجع هذه القائمة إلى الزهرى عن محمد بن النعمان بن بشير.

٢ - عمر بن محمد بن عبد الكافي «المخطوط، ليدن، رقم (٦٧٤) فرنر».

(أ) العهد المكي:

العلق، القلم، المزمل، المدثر، المسد، التكوير، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، الشرح، العصر، العاديات، الكوثر،

التكاثر، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الإخلاص، النجم، عبس، القدر، الشمس، البروج، التين، قريش، القارعة، القيامة، الهمزة، المرسلات، ق، البلد، الطارق، القمر، ص، الأعراف، الجن، يس، الفرقان، فاطر، مريم، طه، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص، الإسراء، يونس، هود، يوسف، الحجر، الأنعام، الصافات، لقمان، الزمر، غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف، الذاريات، الغاشية، الكهف، النحل، نوح، إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، الطور، الملك، الحاقة، المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم، العنكبوت، المطففين.

(ب) العهد المدني:

البقرة، الأنفال، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد، الرعد، الرحمن، الإنسان، الطلاق، البينة، الحشر، النصر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، الجمعة، التغابن، الصف، الفتح، المائدة، التوبة «براءة».

وبين هاتين القائمتن بعض الاختلاف:

(أ) في العهد المكي:

- من (٩٦) إلى (٨٧) نفس الشيء «الترتيب».
- من (٩٤) «القائمة الأصل» إلى (٩٠) نفس الترتيب.

- من (١٩) إلى (٣٤) تقريباً نفس الترتيب.

- من (٣٢) إلى (١٨) نفس الترتيب.

(ب) العهد المدني:

نفس الترتيب بالضبط بين القائمتين.

ولكن القائمتين لم تشرحا لنا على أي أساس استند في هذا الترتيب التاريخى.

٣ - القوائم الأخرى الموجودة في «الإتقان» للسيوطى وكتاب «المبانى» وهي لا تختلف عن القائمتين المذكورتين إلا في بعض التغيرات كالآتى:

(أ) في «المباني» رقم (٣) اختلف في سورة الضحى أمكية هي أم مدنية.

(ب) في قائمة موجودة في «الإتقان» ومسندة إلى عكرمة تضع سورة الدخان بعد سورة غافر، وسورة آل عمران بعد سورة البقرة، وتعتبر سورة المطففين أول سورة مدنية.

(جـ) القائمة رقم (٤) في «المبانى» والمسندة إلى سعيد بن المسيب عن على عن النبي ﷺ تضع سورة الضحى قبل سورة المزمل، وسورة الرحمن بعد سورة الشرَّح، وسورة العاديات بعد سورة الفيل، وسورة الحج قبل سورة الشمس، وسورة الحاقة قبل سورة النور، وتعتبر سورة الرعد أول سورة مدنية، وسور الواقعة، والعاديات، والفلق، والناس آخر سور العهد المكي.

وقد اتبع كتاب الطبعة الحكومية المصرية للمصحف والصادرة سنة (١٣٤٢هـ) (١٩٢٤م) الترتيب الآتى:

(أ) السور المكية:

العلق، القلم «ماعدا الآيات (١٧، ٣٣، ٤٨، ٥٠) فمدنية»، المزمل «ما عدا الآيات (١٠، ١١، ٢٠) فمدنية»، المدثر، الفاتحة، المسد، التكوير، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، الشرح، العصر، العاديات، الكوثر، التكاثر، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الإخلاص، النجم، عبس، القدر، الشمس، البروج، قريش، القارعة، القيامة، الهمزة، المرسلات «إلا الآية (٤٨) فمدنية»، ق «إلا الآية (٣٨) فمدنية»، البلد، الإنسان، القمر «إلا الآيتين (٥٤، ٥٦) حتى الأعراف «إلا الآيتين (١٦٣، ١٧٠) فمدنيتان»، الجن، يس «إلا الآية (٤٥) فمدنية» الفرقان «إلا الآيتين (٦٨، ٧٠) فمدنيتان»، فاطر، مريم «إلا الآيتين (٥٨، ٧١) فمدنيتان»، طه «إلا الآيتين (١٣٠، ١٣١) فمدنيتان»، الواقعة ، «إلا الآيتين (٧١، ٧٢) فمدنيتان»، الشعراء، «إلا الآيات (١٩٧، ٢٢٤، ٢٢٧) فمدنية» النمل، القصص، «إلا الآيتين (٥٢، ٥٥) فمدنيتان»، يونس «إلا الآيات (٤٠، ٩٤، ٩٥، ٦٨) فمدنية»، هود «إلا الآيات (١٢، ١٧، ١١٤) فمدنية» يوسف «إلا الآيات (١، ٢، ٣) فمدنية»، الحجر، الأنعام «إلا الآيات (٢٠، ٢٣، ٩١، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣) فمدنية» الصافات، لقمان « إلا الآيات

(٢٧-٢٨-٢٩) فمدنية» سبأ «إلا الآية (٦) فمدنية»، الزمر «إلا الآيات (٥٢، ٥٣، ٥٤) فمدنية «غافر» «إلا الآيتين (٥٦، ٥٧) فمدنيتان، فصلت، الشورى «إلا الآيات (٢٣، ٢٤، ٢٧) فمدنية»، الزخرف «إلا الآية (٥٤) فمدنية»، الدخان، الجاثية، «إلا الآية (١٤) فمدنية»، الأحقاف «إلا الآيات (١٠، ١٥، ٣٥) فمدنية»، الذاريات، الغاشية، الكهف «إلا الآيات (٢٨، ٨٣، ١٠١) فمدنية» النحل «إلا الآيتين (٢٨، ٢٩) فمدنيتان» الأنبياء، المؤمنون، السجدة «إلا الآيتين (١٦، ٢٠) فمدنيتان»، الطور، الملك، المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الروم «إلا الآية (١٧) فمدنية»، العنكبوت «إلا الآيات من (١) إلى (١١) فمدنية»، المطففين.

(ب) العهد المدني:

البقرة «إلا الآية (٢٨١) فنزلت في حجة الوداع»، الأنفال «إلا الآيتين (٢٠، ٢٦) فمدنيتان»، آل عمران، الأحزاب، الممتحنة، النساء، الزلزلة، الحديد، محمد «إلا الآية (١٣) فنزلت في الطريق إلى الهجرة»، الرعد، الرحمن، الإنسان، فاطر، البينة، الحشر، النور، الحج، المنافقون، المجادلة، الحجرات، التحريم، التغابن، الصف، الجمعة، الفتح، المائدة، التوبة «إلا الآيتين (١٢٨، ١٢٩) فمدنيتان»، النصر.

كما رأينا فإن هذا الترتيب موافق تماماً لقائمة ابن عبد الكافي «القائمة المذكورة سلفاً».

نجد في خاتمة هذه الطبعة المصرية المؤلفين، وعلى رأسهم خلف الحسينى شيخ المقارئ المصرية، وهو يعترف صراحة ويقول: «وأخذ بيان مكيه ومدنيه من الكتب المذكورة، وكتاب أبى القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافى، وكتب القراءات، والتفسير على خلاف في بعضها»، إذاً فإنهم لم يبذلوا أي جهد شخصى في هذا المجال، حتى الإشارة «المذكورة بين قوسين على رأس كل سورة بعد ذكر رقمها» إلى الآيات المذكورة بعد ذلك في السور مأخوذة من «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطى، ومن بعض التفاسير القرآنية الأخرى، باختصار إن عمل هذه اللجنة يفتقد كلية إلى التأصيل وهو نقل خالص.

لماذا حاول المسلمون أن يرتبوا سور القرآن حسب النزول منذ وفاة النبي محمد ﷺ؟ وذلك لسبب هام جداً وهو معرفة الناسخ من المنسوخ، لأن التشريع الإسلامي الذي نزل على النبي ﷺ مر بمراحل وهذا التحول اقتضى أحياناً إلغاء قاعدة ما، واستبدالها بأخرى مختلفة عنها حسب درجات متفاوتة، وقد أصبحت معرفة الناسخ من المنسوخ علماً ذا أهمية بالغة في الشريعة الإسلامية لأنه على هذه المعرفة تتوقف قرارات عملية ذات أهمية قصوى في مسار الحياة العملية للمسلمين، وقائمة الكتب التي كتبت في هذاالموضوع منذ القرن الثالث الهجرى إن لم يكن قبل ذلك طويلة جدا، والنسخ معترف به في القرآن في هذه الآيات.

(أ) ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦)

(ب) ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(النحل: ١٠١)

(جـ) ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٢)

إذاً فالنسخ يعني:

(أ) إما الإلغاء، أو المحو كما في سورة الحج آية (٥٢).

(ب) أو معناه التبديل كما في سورة النحل آية (١٠١).

وفيما يتعلق بالنسخ فإن سور القرآن تنقسم إلى أربعة أقسام:

١ – قسم ليس فيه أي نسخ، وهو يشتمل على (٤٣) سورة هي: الفاتحة، يوسف، يس، الحجرات، الرحمن، الحديد، الصف، الجمعة، التحريم، الملك، الحاقة، نوح، الجن، المرسلات، النبأ، النازعات، الانشقاق، البروج، الطارق، الأعلى، الفجر، وحتى نهاية القرآن ما عدا التين، العصر، الكافرون.

٢ – قسم فيه ناسخ ومنسوخ ويشتمل على (٢٥) سورة وهي: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الحج، النور، الفرقان، الشعراء، الأحزاب، سبأ، غافر، الشورى، الذاريات، الطور، الواقعة، المجادلة المزمل، المدثر، التكوير، التكاثر.

٣ - قسم فيه ناسخ فقط «بدون منسوخ» ويشتمل على ست سور: الفتح، الحشر، المنافقون، التغابن، الطلاق، الانفطار.

٤ - القسم الرابع ويشتمل على الأربعين سورة الباقية، وفيه منسوخ فقط ولمزيد من التفاصيل انظر الإتقان مجـ (٣) ص (٦٢، ٧٧) القاهرة (١٩٦٧م) مطبعة أبو الفضل إبراهيم.

والغريب أن نجد في نفس السورة آية منسوخة، وآية ناسخة مثلا في سورة الأحزاب نسخت الآية (٥٠) بالآية (٥٢).

ويؤكد السيوطى أن هناك اختلافا كبيرا بين العلماء فيما يخص عدد الآيات الناسخة والمنسوخة وقد ألف قصيدة بغرض تعليمى ليدلي برأيه في هذا الموضوع «انظر الإتقان مجـ(٣) ص (٦٨) نفس الطبعة» ولنغلق هذا الباب المتعلق بالنسخ والذي ما ذكرناه هنا إلا لنؤكد أنه كان الشغل الشاغل لعلماء المسلمين منذ وفاة النبي ﷺ وهم يحاولون أن يرتبوا سور القرآن حسب النزول.

ثانياً: الترتيب لدى المستشرقين:

بينما نجد أقدم قائمتين لترتيب القرآن حسب النزول غير مقرونتين بما يبررهما نجد المستشرقين الأوروبيين المعاصرين قد حاولوا أن يقيموا جهودهم في هذا الموضوع على أسباب خارجية وداخلية.

١ – نولدكه:

كانت أول محاولة جادة لترتيب سور القرآن زمنياً هي التي قام بها نولدكه في عمله الهام «تاريخ القرآن»، جوتنجن» (١٨٦٠) (Geschichtedekorans Gottingen 1860) وهو عمل قائم على النقد الداخلى وموجه أولاً إلى:

(أ) الحديث.

(ب) الكتب التاريخية «سيرة ابن هشام، تاريخ الطبرى، اليعقوبى..».

(جـ) الكتب المتعلقة بأسباب النزول.

والنقد الداخلى يأخذ في الاعتبار مايلي:

(أ) أسلوب اللغة وخصوصيات اللغة وطرق التعبير بها.

(ب) المذاهب القائمة على تطور الرسالة النبوية.

(جـ) موقف النبي ﷺ من اليهودية والنصرانية والوثنية العربية، وتتلخص نتيجة هذه الأبحاث في الآتى:

(أ) يجب بداية أن نفرق كما فعل العلماء المسلمون بين عهدين كبيرين:

العهد المكي والعهد المدني.

(ب) ثم في العهد المكي نفسه يميز نولدكه بين ثلاث فترات:

١ – الفترة الأولى وتشتمل على سور قصيرة جداً، أو قصيرة تتسم الآيات فيها بالتصوير والإيقاع القوى، واتباع السجع

«الفواصل» وتنتمي إلى هذه الفترة السور الآتية: العلق، المدثر، المسد، قريش، الكوثر، الهمزة، الماعون، التكاثر، الفيل، الليل، البلد، الشرح، الضحى، القدر، الطارق، الشمس، الانفطار، التكوير، النجم، الانشقاق، العاديات، النازعات، المرسلات، النبأ، الغاشية، الفجر، القيامة، المطففين، الحاقة، الذاريات، الطور، الواقعة، المعارج، الرحمن، الإخلاص، الكافرون، الفلق، الناس.

٢ - الفترة الثانية وتكثر فيها قصص الأنبياء السابقين وتبدأ العقائد في الظهور مع إشارات من الطبيعة ومن التاريخ المقدس، وتصبح السور أكثر طولاً وكثير من الآيات تفتتح بكلمة «قل» ويبدأ ظهور كلمة «الرحمن» كاسم لله، والسور التي تنتمي إلى الفترة الثانية المكية هي: القمر، الصافات، نوح، الإنسان، الدخان، ق، طه، الشعراء، الحجر، مريم، ص، يس، الزخرف، الجن، الملك، المؤمنون، الأنبياء، الفرقان، النمل، القصص.

٣ - في الفترة المكية الثالثة لم يعد يظهر اسم «الرحمن» في السور وتكرر قصص الأنبياء السابقين إلى حد الملل.

وينتمى إلى هذه الفترة السور الآتية: السجدة، فصلت، الجاثية، النحل، الروم، هود، إبراهيم، يوسف، غافر، القصص،

الزمر، العنكبوت، لقمان، الشورى، يونس، سبأ، فاطر، الأعراف، الأحقاف، الأنعام، يوسف.

والفترة الثانية الكبيرة هي العهد المدني حيث قاد النبي في المدينة أمة مكونة على أحسن وجه، ولهذا تزخر السور بالتشريع والقوانين الصادرة باسم الله، وتتحاشى صياغة هذه القوانين كل المحسنات البلاغية، وأصبح السجع أقل مراعاة، والخطاب (بيا أيها الناس) أصبح أكثر ندرة واستبدل بيا أيها الذين آمنوا، وأصبح التاريخ الحقيقي للأمة الإسلامية خلال إقامة الرسول بالمدينة ليس كثيراً من الآيات المنزلة في هذه الفترة المدنية، ولذلك أصبح من الأكثر سهولة ترتيب الآيات حسب النزول.

وتنتمي لهذه المرحلة السور الآتية:

البقرة، البينة، التغابن، الجمعة، الأنفال، الحجر، آل عمران، الصف، الحديد، النساء، الرحمن، الطلاق، الحشر، الأحزاب، المنافقون، النور، المجادلة، الحج، الفتح، الإنسان، الممتحنة، النصر، الحجرات، التوبة، المائدة.

ومما يؤخذ على هذا الترتيب التاريخى الملاحظات الآتية:

١ - التقسيم الثلاثى للفترة المكية والذي يعرضه نولدكه سبقه فيه جوستاف فايل في كتابه «الفتوحات الحربية التاريخية في القرآن، ط. أ(١٨٤٤م) ط. ثانية بلفيد (١٨٧٨م)
Historisch - Kritischo, Einleitung in dem

koran 1 ere Gustav Weil éd Bielefeld, 1878وهذا هو الترتيب التاريخى الذي يقدمه فايل.

(أ) الفترة المكية الأولى:

العلق، المدثر، المزمل، قريش، المسد، الأحزاب، التكوير، القلم، الأعلى، الليل، الفجر، الضحى، الشرح، العصر، العاديات، الكوثر، التكاثر، الماعون، الكافرون، الفيل، الفلق، الناس، الإخلاص، عبس، القدر، الشمس، البروج، البلد، التين، القارعة، القيامة، الهمزة، المرسلات، الطارق، المعارج، النبأ، النازعات، الانفطار، الانشقاق، الواقعة ، الغاشية، الطور، الحاقة، المطففين، الزلزلة.

(ب) الفترة المكية الثانية:

الفاتحة، الذاريات، يس، ق، القمر، الدخان، مريم، طه، الأنبياء، المؤمنون، الفرقان، الملك، الصافات، ص، الزخرف، نوح، الرحمن، الحجر، الإنسان.

(جـ) الفترة المكية الثالثة:

الأعراف، الجن، فاطر، النمل، القصص، الإسراء، يونس، هود، يوسف، الأنعام، لقمان، سبأ، الزمر، غافر، السجدة، الشورى، الجاثية، الكهف، النحل، إبراهيم، فصلت، الروم، العنكبوت، الرعد، التغابن.

١ – عدد السور في كل فترة:

(أ) فايل (٤٥) نولدكه (٤٨).

(ب) فايل (٢٠) نولدكه (٢١).

(جـ) فايل (٢٦) نولدكه (٢١).

المجموع/ فايل (٩١) نولدكه (٩٠).

٢ – الترتيب التاريخى في كل فترة يختلف بين فايل ونولدكه.

فبالنسبة للفترة المدنية، فالترتيب عند فايل الآتى: البقرة، البينة، الجمعة، الطلاق، الحج، النساء، الأنفال، محمد، الحديد، آل عمران، الحشر، النور، المنافقون، الأحزاب، الفتح، النصر، الصف، الممتحنة، المجادلة، الحجرات، التحريم، التوبة، المائدة. والمجموع الكلى (٢٣) سورة بينما المجموع عند نولدكه (٢٤) لأنه يضيف إليهم سورة التغابن، فيما يضعها فايل في نهاية الفترة المكية الثالثة، ولكنها في القائمتين الإسلاميتين «لابن النديم، وابن عبد الكافى» ضمن السور المدنية، وحتى الترتيب التاريخى يختلف بين فايل ونولدكه.

٣– كما لاحظ ريتشارد بيل في «مقدمة في القرآن ص (١٠٣) إيدنبرج (١٩٥٣م) **(introduction to the Quran P. 103-Edinburg 1953)** «إن هذا أمر مشكوك فيه أيضاً، لأنه لو كان استعمال الرحمن كاسم علم كما زعم نولدكه مقتصراً على منتصف العهد المكي، فإنه حين يقرر ذلك لا يستند إلى شيء موثق ليسقط عمداً في الخطأ.

وفي الواقع، ليس هناك أي سبب يبرر عدم ورود اسم الرحمن خلال فترة معينة من إقامة النبي في مكة. فلا القرآن ولا السنة يتحدثان عن أي سبب يقود محمداً إلى فعل ذلك، فكون اسم الرحمن ليس موجوداً في عدد معين من السور لا يبرر أبداً أن نجعل منها مجموعة تشكل فترة مكية ثالثة، ولو كان هناك باعث على تحاشي استعمال اسم «الرحمن» في الفترة المكية لكان من المفروض أن نجد صدى له في القرآن أو السنة، ومعارضه الحزب المكي لاستعمال هذا الاسم في صلح الحديبية، في ذي القعدة من السنة السادسة الهجرية «مارس (٦,٨)، هذا الاعتراض محمول على البسملة بصفة عامة باعتباره صفة مميزة للإسلام.

٣ - فيما يخص الأسلوب، فلو كان مفيداً في التمييز بين الفترات الطويلة فلن يفيد فيما يتعلق بالتمييز بين التتابع التاريخى للسور في فترة قصيرة، في الواقع إن كل الفترة المكية لاتعطى إلا (١٢) سنة (٦١٠-٦٢٢)، فبأى حق ندعي إذاً التمييز بين أسلوب كاتب خلال (١٢) سنة فقط؟ ناهيك عن استطاعتنا التمييز في تلك الفترة بين ثلاث فترات قصيرة، فلموضوع التمييز ظروف كثيرة.

إنه من الشطط إن لم يكن من الكذب أن نزعم استطاعتنا ترتيب السور تاريخياً في الفترة المكية حسب الأسلوب.

٢ - هـ جريم (H-Grimme):

بعد محاولة نولدكه (١٨٨٠م) تأتي محاولة هـ. جريم

في كتابه «محمد» «مونستر (١٨٩٢م) (٩٥) ج (٢) ص (٢٥٠, ٢٧).

“Mohammed” “Munster 1892-95”

والفكرة الرئيسية لترتيبه هي تطور الموضوعات الدينية: التوحيد، البعث، واليوم الآخر.. إلخ» وهو يركز خصوصاً على العهد المدني، ويعتمد أساس ترتيب نولدكه فيما يتعلق بالفترة المكية والمقسمة أيضاً إلى ثلاث فترات قصيرة، ولكنه يختلف عنه في النقاط الآتية:

(أ) في الفترة القصيرة الأولى لايورد سور: الذاريات، الطور، النجم، الرحمن، الواقعة، الفاتحة، القدر، الكافرون، الإخلاص» ولكنه يضع السور من الذاريات حتى الواقعة في الفترة الثانية، وسور الفاتحة، والقدر، والكافرون، والإخلاص في الفترة الثالثة.

(ب) تعتبر سورة إبراهيم ضمن الفترة الثانية إلا الآيتين (٣٢، ٣٨) فمدنيتان، وكذلك سور الرعد، ق، والقمر.

(جـ) سورة الإنسان عنده تنتمي إلى الفترة الأولى.

(د) كل سور الفترة الثانية الأخرى عند نولدكه مدرجة ضمن الفترة الثالثة عند جريم.

(هـ) يوجد بين الاثنين خلاف فيما يتعلق بتوضيح الآيات الموجودة في السور المشار إليها على أنها نزلت في تاريخ متأخر عن بقية السورة.

(و) عند نولدكه (٩) سور مكية و(٢٤) مدنية، عند جريم (٩٢) سورة مكية و(٢٢) مدنية.

(ز) الفترة الثالثة مختصرة جداً، كما رأينا، عند جريم لأنه حسب رأيه فإنها تتكلم خاصة عن وقوع اليوم الآخر والعذاب الواقع على الكافرين.

٣ - المستشرق وليام موير "William Muir":

في الجزء الثانى من كتابه «حياة محمد» ص (١٣٢، ١٨٣، ٣١٨، ٣٢٠) وأيضاً في كتابه «القرآن: تكوينه وتعاليمه» (١٨٩٦م) ص (٤٧، ٧٣) يقسم وليام موير السور المكية إلى خمس مراحل.

(أ) المرحلة الأولى قبل بعثة النبي.

(ب) أقدم السور حتى أول ظهور رسمى لرسالته.

(جـ) من أول ظهور رسالته حتى السنة السادسة من البعثة (٦١٦) ميلادية.

(د) من السنة السادسة حتى العاشرة.

(هـ) من السنة العاشرة حتى الهجرة (٦٢٢) ميلادية.

وبعد (٩٣) سورة مكية، و(٢١) سورة مدنية والترتيب التاريخى كالآتى:

١ - العهد المكي:

العلق، العاديات، الشرح، الشمس، قريش، الفاتحة، القارعة، التين، التكاثر، الهمزة، الانفطار، الليل، الفيل، الفجر، عبس، الانشقاق، الطارق، النصر، البروج، المطففين، النبأ، المرسلات، الإنسان، القيامة، المعارج، الكافرون، الإخلاص، الرحمن، الواقعة، الملك، النجم، السجدة، الزمر، النازعات، القمر، سبأ، لقمان، الحاقة، القلم، فصلت، نوح، الطور، ق، الجاثية، الصافات، الروم، النور، الحجر، الذاريات، الأحقاف، الجن، فاطر، يس، مريم، الكهف، النحل، الشورى، غافر، ص، الفرقان، طه، الزخرف، يوسف، هود، يونس، إبراهيم، الأنعام، التغابن، القصص، المؤمنون، الحج، الأنبياء، الإسراء، النحل، الرعد، العنكبوت، الأعراف، الفلق، الناس.

٢ - العهد المدني:

البقرة، محمد، الحديد، الأنفال، المجادلة، الطلاق، البينة، الجمعة، الحشر، النور، المنافقون، الفتح، الصف، النساء، آل عمران، المائدة، الأحزاب، الممتحنة، التحريم، الحجرات، التوبة.

والفروق بين هذا الترتيب وترتيب نولدكه هي:

(أ) سبع سور من الفترة المكية الأولى عند نولدكه نقلوا إلى الفترة الرابعة عند موبير.

(ب) ثمانى سور من الفترة الثانية نقلوا إلى الفترة الخامسة

عند موبير.

وكما لاحظ كل من «نولدكه، شفالى، تاريخ القرآن ص (٧٣) ليبزج (١٩٠٩م)، فإن الخطأ الرئيسى لموبير هو زعمه تحديد ترتيب نزول السور في كل مرحلة فيما يعترف بنفسه أنه لم ينجح بصورة تامة في هذه المحاولة، وفي الواقع إنه حين قسم العهد المكي كله إلى مراحل بدلاً من ثلاث فترات صغرى فإنه يعتبر قد زاد المشكلة تعقيداً، وعلى العكس يعترف نولدكه أن الترتيب الذي يعرضه ترتيب تقريبى.

٤ - ريجيس بلاشير "Régis Blachére":

يعتمد ريجيس بلاشير في ترجمته للقرآن «باريس (١٩٤٩م-١٩٥١م) نفس ترتيب نولدكه وشفالى فيما عدا نقطتين غير مؤثرتين:

(أ) يضع بلاشير سورة الذاريات وسورة القلم في بداية الفترة الثانية بينما مكانهما عند نولدكه وشفالى في نهاية الفترة الأولى.

(ب) سورة يوسف عند بلاشير مدرجة ضمن الفترة الثالثة بينما عند نولدكه وشفالى مدرجة ضمن الفترة الثانية.

(جـ) تتابع السور في الفترة الأولى في ترجمة بلاشير يختلف عن الهيكل الذي اعتمده المستشرقان الألمانيان «نولدكه -

شفالى» وشرح بلاشير أن هذا الاختلاف منشأه أنه وجد بين الناس تقسيم السور إلى مجموعات لكل سورة منها فكرة مشابهة للأخرى ثم وضع سلسلة التتابع بحيث تتسق مع تطور الدعوة الناشئة» والقرآن (٢) ص (٦) باريس (١٩٤٩م).

ويصل تعسف ريجيس بلاشير إلى ذروته حين يقسم بعض السور إلى أجزاء حسب تواريخ مختلفة دون الاستناد على أي أسباب أو معلومات تاريخية ثابتة.

وحسب التقسيم المدقق الذي قام به، فإننا نجد أن عدد السور عنده يصبح (١٦) سورة بدلاً من (١٤) كما هو معلوم لدى العالم الإسلامي والمستشرقين.

ومع أن نفس نص القرآن عند بلاشير هو نص القرآن عند كل العالم، إلا أنه قسم سورتى «العلق، والمدثر» كل منهما إلى سورتين.

(أ) سورة العلق من آية (١) إلى (٥) تصبح نصًّا رقم (١) في ترتيب بلاشير، ومن (٦ : ١٩) جعل منها نص رقم (٣٢) أي نصًّا مستقلاًّ».

(ب) سورة المدثر الآيات من (١) إلى (٧) تصبح نصًّا رقم (٢)، ومن (٨) إلى (٥٥) نصًّا مستقلاًّ تحت رقم (٣٦).

٥ - ريتشارد بل:

آخر مستشرق نذكره في هذا الموضوع هو ريتشارد بل، فقد

ناقش القضية في الفصل السادس من كتابه «مقدمة في القرآن - إيدنبرج» (١٩٥٣م) تحت عنوان «الترتيب التاريخى للقرآن» وبعد أن استعرض محاولة نولدكه، والتي اعتبرها الأكثر قبولا، وكذلك محاولة وليام موبير، وجريم، وهـ. هيرشفيلد، وريجيس بلاشير اعترف أنه من الممكن الشك في إمكانية ترتيب كامل للقرآن حسب النزول (١٠٣).

وكذلك يعقتد أن أفضل قرار يمكن اتخاذه هو عرض مبادئ عامة، ووضع تصور يمكن أن يدمج فيه نظم القرآن.

وأوضح المبادئ الآتية:

١ - في غياب المرجعية التاريخية للأحداث فإن الأسلوب يمكن أن يكون معياراً مفيداً لتحديد تاريخ تقريبى ثم يعترف أن هذا المعيار صعب استعماله.

٢ - اختيار معيار آخر أكثر صدقًا وهو تركيب الجمل، وهنا يعترف أيضاً أن هناك متوافقات ونوادر يمكن أن تقودنا إلى الخطأ.

وبعد أن أضعف بنفسه المعايير التي اقترحها، يجادل في أولية سورتى العلق والقلم واللتين يعلم كل الكتاب المسلمين وكذلك المستشرقون أنهما أول وثانى سورتين من سور الوحي وحجته في ذلك أن «طريقة الحديث في هاتين السورتين تتفق أكثر مع المفهوم اللاحق لبعثة النبي أكثر ما تتفق مع التصورات البدائية لمحمد حيث إنه لم يكن عنده في البداية أية فكرة عن

الملائكة». ولكن هذا محض خطأ لأن عقيدة الألوهية قبل الإسلام كان خاصة بفكرة الملائكة وكذلك اليهودية وأيضاً المسيحية واللتان كان لهما أتباع في الجزيرة العربية، كانوا يستدعون الملائكة بصفة مستمرة، كيف إذاً نقول إن محمداً في البداية لم يكن عنده أية فكرة عن الملائكة؟ ولنستعرض بعضاً من عبث ريتشارد بيل:

(أ) كلمة نبي كلمة مدنية.

(ب) أصبح إبراهيم نبياً في المدينة فقط.

(جـ) إسلام، مسلم، والاستعمال الديني لكلمة أسلم تنتمي إلى العهد المدني. ولكن هذه القضايا كاذبة، لأن كلمة نبي موجودة في السور المكية الآتية: الأنعام، الأعراف، الفرقان، الزخرف، مريم، الـروم، وإبراهيم كنبي مذكور في السور المكية الآتية: الأنعام، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، النحل، مريم، الأنبياء، الشعراء، العنكبوت، ص، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الأعلى، وكلمات إسلام - مسلم «والجمع مسلمون» موجودة في (٢١) سورة مكية ولو طبقت هذه القواعد نستخلص من العهد المكي (٤٤) سورة نضيفها على العهد المدني، وهذا هو العبث بعينه عند كل الباحثين.

الخاتمة

هذه هي المحاولات التي قام بها علماء المسلمين والمستشرقون[1]، لترتيب سور القرآن حسب النزول، ولكنها تعتبر محاولات يشوبها الفشل، ولكن محاولات الكتّاب المسلمين أقل شططا لأنها تكتفي بتقسيم السور إلى عهدين المكي والمدني، ومع ذلك فإن ترتيب السور افتراض يفتقر في كل مرة إلى المصادر التاريخية.

ونعتقد وتؤكد ذلك بعض القصص[2]، أن القرآن قد رُتب في كتاب واحد في حياة النبي لما يأتي:

(أ) أكدت السنة والتفاسير القرآنية على الآيات المدنية الموجودة في السور المكية المتقدمة، ومن المفروض أن هناك جمعا للسور مرتبًا بالفعل وفيه يوضح بعد ذلك الآيات التي نزلت بالمدينة والتي تكمل أو تعدل بعض الأفكار الموجودة في السور السابقة، على سبيل المثال سورة الشعراء التي تحتوى في النهاية على آية (٢٢٧) التي أضيفت في المدني لتستثنى من إدانة الشعراء المسلمين الذين كانوا يدافعون عن النبي ﷺ أمثال: حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك

(١) أنظر «مقدمة القرآن» ريتشارد بيل ص (١١٠، ١١٣) وضع جدول جمع فيه كل هذه المحاولات مقارنة.

(٢) أنظر «الزركشى - البرهان» جـ(١) ص (٢٥٦، ١٥١) القاهرة (١٩٥٧م).

«انظر تفسير الطبرى - أسباب النزول للسيوطى» وكذلك الطبعة المصرية الرسمية توضح في صدر السور الآيات المدنية الموجودة في السور المكية التي نزلت قبل ذلك «انظر ص (١٢٢، ١٢٣) الزركشى - البرهان ص (١٩٩، ٢٦٣)» وفيه يعطينا الإحصاء الكامل لذلك.

(ب) هذا القرآن المجموع خلال حياة النبي ﷺ لابد أنه نقل على جلود، والقرآن يتكلم عن الكتابة المنقوشة ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ ﴾ (الطور: ٢-٣) وقد ذكر الشعراء الجاهليون في مواضع كثيرة الجلود والرقاع التي يكتب عليها، ويحكى أن المعلقات السبع أو العشر كتبت على الجلود «أو البردى» وعلقت في جوف الكعبة، وكل هذا يثبت استعمال الجلود أو «البردى» وأنه كان منتشرًا في مكة والمدينة والجزيرة العربية بصفة عامة.

ولو عارض أحد في قصة أن زيد بن ثابت قد جمع القرآن من قطع الورق والأحجار، وسعف النخيل، وعظام وأكتاف الإبل، وعظام وأذرع الماشية وجلودها، فإنني أرد بأن ذلك يشبه الوثائق التي تساعد في تجميع نص معين حتى لا يندثر، وهذا بالضبط مشابه لما نفعله اليوم بعمل طبعة محققة على مخطوطات كاملة، فنجمعها مع الاستشهادات والأوراق المبعثرة.. إلخ.

فيما يتعلق بالتقسيم الثلاثى للعهد المكي يجب أن نشير إلى أن هذا ليس فقط ما ذهب إليه. ح. ويل ثم نولدكه هم أول من زعمه، ولكنه مقترح أيضاً من أحد أقدم علماء المسلمين وهو أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى في كتابه «التنبيه إلى أفضل العلوم القرآنية» حيث يقول: «إن أحد أشرف العلوم القرآنية هو نزوله، ومواضعه وترتيب ما نزل بمكة؛ ابتدائه ووسطه ونهايته، وترتيب ما نزل بالمدينة «ذكره الزركشى في البرهان في علوم القرآن (١) ص (١٩٢) القاهرة (١٩٥٧م) ط. محمد أبو الفضل إبراهيم». إذًا ففضل السبق في الترتيب الثلاثى لسور العهد المكي يعود لقول أبى القاسم الحسن النيسابورى وليس إلى ويل أو نولدكه، فقط يبدو أن أبا الحسن النيسابورى أو الزركشى قد ذكره في الفصل التالى ولكنه لم يميز في عده للسور في الترتيب التاريخى للسور المكية بين الفترات الثلاث التي ذكرها ص (١٩٣) وجاء ترتيبه كالآتى: «أول سورة نزلت بمكة هي ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ «العلق» ثم ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ﴾ «القلم»، ثم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ «المزمل» وهو يعد (٨٥) سورة مكية ثم يعد (٩) سور مدنية أولها البقرة وترتيبه موافق لترتيب عمر بن محمد بن عبد الكافي المذكور ص (١٢١). يترتب على ذلك أنه لا فايل ولا نولدكه ولا لمن تبعهم أفكار جديدة في مجال ترتيب سور القرآن الكريم حسب النزول، فالفصل التاسع من

الجزء الأول ص (١٩-٢٠٩) للزركشى يكفينا لنقتنع بذلك قناعة كافية، وفي النهاية يجدر بنا أن نتأمل ونتعلم هذا الدرس الجميل في التواضع والذي بلغه لنا الزركشى جـ (١) ص (١٩٢) وهو «لا غبار على الاختلاف بشأن بعض السور: مكية هي أم مدنية، وأن يكون لذلك مردوده ودليله..».

***

الفصل الحادى عشر

مشكلة الألفاظ الأعجمية في القرآن

لقد أثيرت مسألة الألفاظ غير العربية في القرآن منذ القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) حيث دخل الفقهاء المسلمون في مجادلات واسعة بين مؤيد ومعارض.

(ا) فمن بين الذين ينفون وجود مثل هذه الكلمات نجد الشافعى (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، وهو مؤسس المذهب الفقهي الشافعى، وأبا عبيدة (ت ٢١٠هـ/ ٨٢٥م) عالم فقه اللغة، ومحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، وهو المؤرخ العظيم وأشهر مفسري القرآن، وأبا بكر الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٤م)، وهو الفقيه الأشعرى، وأبا الحسن بن فارس (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) عالم فقه اللغة، وقد بني هؤلاء قضيتهم على آيتين قرآنيتين هما ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف : ٢)

و ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ ﴾ (فصلت : ٤٤)

وقالوا أيضًا إنه لو كان العرب غير قادرين على الإتيان بنصوص مشابهة للقرآن فكان من الممكن أن يحتجوا بأن القرآن يحتوي على لغات لا يفهمها العرب.

(ب) ومن بين الذين قـــالـــوا بأن القـــرآن يشتمـــل على كلمـــات غير عربيـــة نذكـــر في المقـــام الأول عبد

الله بن عباس (ت ٦٨هـ/ ٦٨٨م)، وتلميذه عكرمة (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م)، ثم أبا موسى الأشعرى (ت٤٢هـ/ ٦٦٢م)، وقد أثبتوا أن في القرآن ألفاظًا غير عربية ووضعوا لها قائمة.

وقد تقيد المنكرون بشيء بديهي وهو أن هذه الكلمات الموجودة في تلك القائمة موجودة في القرآن وفي بعض اللغات الأخرى التي ذكرها مخالفوهم، والمنكرون يشرحون هذا التوافق قائلين مثل - الطبرى - : هذه الأمثلة جاءت من احتمال توافق لغات أخرى مختلفة في التعبير عن شيء ما بمحض الصدفة وتسمية الأشياء بكلمات مشابهة، وأن العرب والفرس والأحباش (مثلاً) يستخدمون نفس اللفظ للتعبير عن نفس الشيء (ذكره الزركشى في البرهان جـ١ - ص ٢٨٩ - القاهرة ١٩٥٧)، ويوافق أبو عبيدة رأي ابن فارس (ذكره الزركشى المرجع السابق - ص ٢٨٩).

ولكن ابن عطية (ت ٥٤٦هـ/ ١١٥١م)، عارض هذا الرأي في مقدمة كتابه «حول تفسير القرآن»[١] (ص ٢٧٧) حيث يقول: «إن تفسير الطبرى وهو أن اللغتين متوافقتان في نفس الكلمة بعيد عن الحقيقة، وفي الواقع إن اللغة الأولى فيها الكلمة «الأصل»، والثانية فيها الكلمة «المشتقة» في أغلب الحالات، ونحن لا نثبت إمكانية التوافق، ولكنه يحدث في قليل من الحالات وبطريقة استثنائية (ذكره الزركشى في المرجع السابق ص ٢٩٠).

---

(١) الجامع المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز " V. Gal. 214 ".

ويوفق أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) بين الرأيين حيث يقول: «وعندي أن الرأي الصحيح هو القول بالرأيين: فالحقيقة أن الكلمات (المتشابهة بين العربية واللغات الأخرى) أصلها أعجمى كما قرر ذلك الفقهاء»، ولكنها وصلت إلى العرب وهم بدورهم عربوها وحولوها من اللغات الأخرى إلى لغتهم، وبهذا أصبحت عربية.

وحين نزل القرآن كانت هذه الكلمات قد اختلطت بلغة العرب، فمن قال إن هذه الكلمات عربية فهو على حق، ومن قال إنها كلمات أعجمية فهو أيضًا على حق (ذكره الزركشى - المرجع السابق ص ٢٩٠).

ويصل ابن فارس الذي استشهد برأي أبي عبيدة القاسم بن سلام في كتابه «الصباحى» (ص ٢٩) إلى نفس التسوية.

على أي حال، فالرأي الأرجح هو رأي ابن عطية والذي يقول في مقدمة كتابه حول «التفسير القرآني» (ص ٢٧٧) : إن توضيح هذا التوافق بين (الألفاظ العربية وغيرها) يأتي من أن العرب، والذين نزل القرآن الكريم بلغتهم، كان لهم اختلاط باللغات الأخرى عن طريق التجارة والرحلتين السنويتين للقرشيين، ورحلات الرحالين مثل رحلة أبى عمر إلى الشام، ورحلة عمر بن الخطاب، ورحلة عمرو بن العاص، وعميرة بن الوليد إلى الحبشة، ورحلة الأعشى إلى حران واختلاطه بالمسيحيين هناك حيث السيادة للغة العربية، وبهذه الوسائل اقتبس العرب كلمات أعجمية، وغير بعضها بحذف بعض

الحروف منها وقد قاموا بتخفيف ثقل عجميتها، واستعملوا هذه الكلمات في أشعارهم وأحاديثهم وانتهي الأمر بها أن أصبحت لها نفس السمت العربى الخالص فاستعملوها في خطبهم، وبهذه الحالة استعملها القرآن: إذاً فالحقيقة أن هذه الكلمات ليست عربية، ولكن العرب عربوها واستخدموها وأصبحت عربية بهذا المعنى وبهذه الكيفية. (مقتبس أيضاً من الزركشى المرجع السابق ١ - ص ٢٨٩).

فهذا توفيق سديد ومقبول.

• قائمة الزركشى (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م)

نعرض هنا قائمة الزركشى للكلمات الأعجمية والتي ذكرها من غير ترتيب في كتابه «البرهان» الجزء الأول (ص ٢٨٨، ٢٨٩)، ولكننا نصنفها هنا هكذا:

(أ) من اللغة اليونانية:

١ - طفق = يفعل الشىء.

٢ - قسط وقسطاس = العدل

٣ - رقيم = المائدة.

٤ - سرىّ = النهر الصغير.

(ب) من اللغة الفارسية:

١ - استبرق = وهي في الفارسية استبره = القماش الغليظ.

٢ - سجل = الكتاب، الدفتر.

(جـ) من العبرية:

١ - هدنا = تُبنا.

٢ - طأها = ضع رجلك يارجل!.

٣ - أليم = موجع.

(د) من السريانية:

١ - طور = الجبل.

(هـ) من النبطية:

١ - سينين - الجميل، الطيب.

(و) من الأمهرية:

١ - ناشئة = من القيام أثناء الليل.

٢ - كفلين = مرتين.

٣ - قسورة = الأسد.

٤ - مشكاة = طاقة للنور.

٥ - دُرى = مضيء.

(ز) من الهندية:

١- سندس = ستارة ناعمة

(ح) من اللغة القبطية

١ - الآخرة (لله الآخرة) = الأولى.

٢ - وراءهم = أمامهم.

٣ - يم = بحر.

٤ - بطائنها = خارجها.

(طـ) من لغة المغرب:

١ - مُهل = دردي الزيت.

٢ - يشار = ينضج حتى آخره.

٣ - إناه (غير ناظرين إناه) الأحزاب (٥٣) = طهو.

٤ - أب = عشب.

- المجموع الكلى - (٢٥) لفظاً غير عربية.

وهذه القائمة تثير عدة تساؤلات أهمها:

أولاً: أول سؤال يثور فيما يتعلق بموضوع هذه القائمة هو: ما لغة المغرب هذه؟ في مناقشة السيوطى لهذه الكلمة «المهل» في كتابه («الإتقان» ص ٣٢٥ طبعة ١٩٥٢ - ٤: جـ١ ص ١٤٠ القاهرة، ١٩٣٥) يوضح أن لسان أهل المغرب = لغة البربر أو اللغة البربرية («الإتقان» ص ٣٢٣ كالكوتا ١٨٥٢ - ٤= جـ ١ ص ١٣٩ القاهرة ١٩٣٥).

ويسميها لسان أهل الإفريقية، ولكن أرثر جيفرى في كتابه («الكلمات الأجنبية في القرآن» ص ٣١ بارودا ١٩٣٨) يعتقد أنه من السخف الظن أن بعض عناصر المفردات البربرية قد دخل اللغة العربية في فترة ما قبل الإسلام أو في فترة نزول القرآن.

كل ما يمكن أن يقال هو أن هذه الكلمات كانت ألغازاً بالنسبة للعلماء في عصرهم وأن عبارة «بلسان أهل المغرب أو بلغة البربر تعتبر تغطية لإخفاء جهلهم».

ثانيا: والسؤال الثانى هو: لماذا ساق ابن عباس وعكرمة وأبو موسى الأشعرى وغيرهم هذه القائمة بالألفاظ غير العربية

إذا لم يكونوا يعرفون اللغات الأعجمية التي منها اشتق أصل هذه الكلمات؟ هل استعانوا بأناس يعرفون مثل هذه اللغات الأعجمية؟ يبدو أن الجواب بنعم لأن الجذور التي أعطوها لبعض الكلمات صحيحة مثلاً في المجموعة الأولى الكلمتان «قسط وقسطاس»، في الواقع إن قسطاس ومشتقها قسط مأخوذة عن الكلمة اليونانية **Dikastés** ومعناها: قاض كما أوضح فولرز في (ZDM ٦) (٦٣٣)، أو من اليونانية **Xestés** (المأخوذة من اللاتينية **Sexdarius** بمعنى مقياس رومانى كما أوضح منجانا «التأثير السريانى على أسلوب القرآن» في نشره **Rylands** ١٩٢٧).

ولكن الكلمات الثلاث الأخرى التي زعموا أنها مشتقة من اليونانية ليس لها أي تفسير جذرى، ومن العجيب أن هذه الكلمات الثلاث: طفقا - رقيم - سرى ليس لها صفات الكلمات البربرية مما قد يدفع إلى اعتبارها أعجمية، بل على العكس فإن الكلمات الثلاث لها أوزان عربية خالصة فماذا دفع هؤلاء العلماء أن يحاولوا إيجاد أصل أعجمى لها؟

فيما يتعلق بكلمة «رقيم» فهل لأنها مستخدمة في سياق قصة أهل الكهف فعلموا أنها كلمة شائعة في بلاد الروم (بيزنطة).

وهذا لا ينطبق على الكلمتين الأخريين طفق - سرى: فالأولى تتعلق بآدم وحواء بعد أن أخطآ، والثانية تتعلق بقصة مريم حين كانت على وشك وضع ولدها عيسى.

ثالثا: السؤال الثالث: لماذا بالتالى نسى هؤلاء العلماء أن يشيروا إلى كلمات لها طابع أعجمى واضح مثل تلك الكلمات التي من أصل يونانى وهي:

- دينار (آل عمران ٦٨) = **Dénarion**.
- درهم (يوسف ٢٠) = **Drakhme**. (دراخمه عملة اليونان).
- قنطار (آل عمران ١٤، ٧٥، النساء ٢٠) = **Kenténario**.
- إبليس (البقرة ٢٢، الأعراف ١٦. إلخ) **Diabolos**.
- سيما (البقرة ٢٧٣، الأعراف ٤٦، محمد ٣٠، الفتح ٢٩، الرحمن ٤١): **Séma**.
- صراط (ذكرت ٢٥ مرة في القرآن) = **Strata**.
- قرطاس (الأنعام ٧، ٩١) = **Khartés**.

رابعاً: السؤال الرابع: (لماذا لما يدحض مخالفو القول بوجود كلمات أعجمية في القرآن قول هؤلاء الذين أثبتوا هذه الكلمات موضحين لهم أن هذه الكلمات التي زعموا أنها من اليونانية أو من غيرها ليست كذلك) وقد كان المترجمون الذين يعرفون اليونانية والسريانية في النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى كثيرين وفي متناول علماء اللغة العرب فلماذا لم يدعهم هؤلاء إلى نفي ودحض قضية معارضيهم الذين يقولون بوجود كلمات أعجمية يونانية وسريانية في القرآن؟

وإذا تصفحنا بقية المجموعات من ب إلى طـ فسنلاحظ الآتى:

١ - في المجموعة (ب) اشتقاق الكلمتين صحيح.

٢ – في المجموعة (ج) اشتقاق الكلمات الثلاث خاطئ.

٣ – في المجموعة (د) اشتقاق كلمة طور صحيح.

٤ – في المجموعة (هـ) اشتقاق كلمة «سينين» غير صحيح لأنه يبدو أن «سنين»[1] هو تعديل كلمة سينى وهو تعديل اقتضته الفواصل.

٥ – كلمة مشكاة هو فقط الصحيح، أما الكلمات الأربعة الأخرى فاشتقاقها خاطئ (انظر جيفرى .. الألفاظ الأجنبية في القرآن ص ٣٢، ٢٦٦).

٦ – في المجموعة (ز) «سندس مشتقة من الفارسية حيث رأي فرايتاج «المعجم» و (دفوراك (الكلمات الأجنبية ٧٢) بينما يرى فرانكل (الكلمات الأجنبية ٤٠٠) أنها مشابهة للكلمة اليونانية **Sindom** (الزى الذي كانوا يلبسونه في التقاليد الباخوسية المتعلقة بباخوس إله الخمر).

٧ – أما عن المجموعة (ح) المشتقة من القبطية فما يتعلق بالكلمات ١، ٢، ٤ يدعو إلى السخرية، أما كلمة «يم» فهي موجودة في اللغة المصرية وفي اللغة القبطية (انظر جيفرى ص ٢٩٣).

٨ – أما عن المجموعة (أ) المشتقة من لغة المغرب أي البربر فليس هناك ما يقال عنها.

قائمة السيوطى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وهي حسب الترتيب الأبجدى:

---

(١) سورة التين آية (١١).

- أباريق = من الفارسية.
- أب - (عشب) لغة المغرب.
- ابلعي = يبلع بالأمهرية
- أخلد = يستريح بالعبرية
- أرائك = سرائر بلغة إبراهيم.
- آزر = (مخطئ) لغة إبراهيم.
- أسباط: (قبائل) عبرية.
- إستبرق = رداء خشن بالفارسية.
- أسفار = (كتب) سريانية.
- إصرى = (وصيتى بالنبطية).
- أكواب = (كؤوس بالنبطية).
- إل = (اسم الله بالنبطية).
- أليم = (من لغة الزنوج في رأي ابن الجوزى، ومن اللغة العبرية في رأي شيده الله). Shaydhalah.
- إناه = (طهوه) في اللغة البربرية.
- أواه = (مقنع في اللغة الحبشية) «رأي ابن عباس»، ورحيم باللغة الحبشية في رأي عمرو بن شرحبيل وكثير الصلاة في رأي الواسطى الذي قال إنه مأخوذ عن العبرية.
- أواب = (كثير التسبيح بالمسبحة) «حبشية».
- الأولى والآخرة = قبطية.
- بطائنها = قبطية.
- بعير = (حمار) في العبرية.

- تنور = (قرن) فارسية.
- تبور = (تبيير) قبطية.
- تحت = (في الآية المتعلقة بمريم «فناداها من تحتها» ومعناها: بطن بالنبطية.
- الجبت = (اسم الشيطان) من الحبشية.
- حصب = وقود النار في لغة الزنوج.
- جهنم = النار في الفارسية والعبرية.
- حرم = واجب في الحبشية.
- حصب = وقود النار في لغة الزنوج.
- حطة = «قولوا الحق أي تكلموا حقاً في العبرية».
- حواريين = الغسالون بالنبطية.
- حوب = خطيئة في الحبشية.
- درست = في العبرية.
- درى = مضىء في الحبشية.
- دينار = نقود بالفارسية.
- راعنا = سبه بالعبرية.
- ربانيون = حاخامات بالسريانية والعبرية.
- ربيون = ألف بالسريانية.
- الرحمن = وهو بالعبرية بحرف الخاء عند المبرد وثعلب.
- الرس = البئر في الفارسية «أجامى».
- الرقيم = باليونانية (حبل) شيده الله كتاب أبى القاسم. Shaydhalah.
- رمزا = بتحريك الشفاه عبرية.

- الروم = البيزنطيون.

- زنجبيل = فارسية.

- السجل = في الحبشية بمعنى (الرجل) عند ابن عباس والكتاب عند ابن جنى وقال البعض إنها كلمة فارسية.

- سجيل = كلمة فارسية مكونة من: حجر وطين ويقول أبو حاتم: «كتاب الزينة» إن هذا اسم اعجمى.

- سرادق = في الفارسية سايرده ومعناها ستارة البيت.

- سريا = نهر في السريانية أو القبطية، أو اليونانية عند شيده الله. Shaydhalah

- سفرة = قراء في القبطية.

- سقر = النار في الفارسية.

- سجداً = برءوس مغطاة في السريانية.

- سكراً = عنباً في الحبشية.

- سلسبيل = ذكر الجوالقى في الأجامى أنها كلمة فارسية.

- سنا = ذكرها ابن حجر لكن لم يذكرها أحد غيره.

- سندس = فارسية عند الجوالقى ولكن شهيد الله يرى أنها هندية.

- سيدها = زوجها في اللغة القبطية.

- سينين = جميل في القبطية.

- سناء = حسن في القبطية.

- شطر = في (شطر المسجد) ومعناها جهة وهي حبشية.
- شهر = سريانية.
- الصراط = طريق وسبيل يونانية.
- صرهن = قطعهن إلى أجزاء نبطية.
- صلوات = تراتيل اليهود عبرية.
- طه = يا رجل بالنبطية أو بالحبشية.
- طفقا = شرع يونانية «شيده الله». **Shaydhalah**
- طوبى = اسم الجنة حبشية.
- طور = جبل بالسريانية أو القبطية.
- طوى = ليلاً أو اسم رجل في العبرية.
- عبدت = في «عبدت بنى إسرائيل» بمعنى قتلوا قبطية.
- عدن = (جنات عدن) ومعناها مزارع الكرم بالسريانية أو اليونانية وحسب تفسير جوابير.
- العرم = معناها بالحبشية النافورة.
- غساق = بارد أو آسن بالتركية.
- فردوس = الجنة باليونانية أو فروع العنب بالنبطية.
- فوم = (قمح) باليونانية.
- قراطيس = عند الجوالقى كلمة غير عربية.
- قسط = عدل باليونانية.
- قسطاس = عدل باليونانية أو ميزان باليونانية أيضاً.

- قسورة = أسد بالحبشية عند ابن عباس.
- قطنا = كتابنا بالقبطية.
- قفل = بالفارسية.
- قمل = عبرية أو سريانية.
- قنطار = عند الثعالبى في فقه اللغة هذه كلمة يونانية معناها وزن اثنى عشرة.
- القيوم = الذي لا ينام باللغة السريانية.
- كافور = فارسية.
- كفر (عنا) = امح عنا بالنبطية أو العبرية.
- كفلين = مرتين بالنبطية.
- كنز = فارسية.
- كورت = غمست فارسية.
- لينة = شجرة نخيل في لغة يهود يثرب.
- متكأ = برتقال مر بالحبشية.
- مجوس = (عبدة زرادشيتون)، وهي كلمة غير عربية عند الجوالقى.
- مرجان = كلمة غير عربية عند الجوالقى.
- مسك = فارسية.
- مشكاة = كوة بالحبشية.
- مقاليد = مفاتيح بالفارسية.

- مرقوم = مكتوب عبرية.
- مزجاة = ذات قيمة منخفضة، فارسية أو قبطية.
- ملكوت = ملك قبطية.
- مناص = مهرب قبطية.
- منسأة = عصا بالحبشية.
- مهل = دردى الزيت عبرية.
- ناشئة = سهر الليل حبشية.
- ن = بالفارسية «أتون» أفعل ما تريد.
- هدنا = تبنا عبرية.
- هوداً = كلمة غير عربية (يهود).
- هون = «يمشون على الأرض هوناً» ومعناها عقلاء سريانية أو عبرية.
- هيت لك = تعال قبطية أو سريانية أو حورانية أو عبرية.
- وراء = أمام قبطية.
- وردة = يقول الجوالقى إنها كلمة غير عربية.
- وزر = حيل أو ملجأ يلجأ قبطية.
- ياقوت = فارسية.
- يحور = «إنه ظن أن لن يحور» ومعناها يرجع حبشية.
- يس = يا رجل حبشية.
- يصدون = يصيحون حبشية.

- يصهر - يطهو جيداً، لغة أهل المغرب أو اللغة القبطية عند شيده الله Shaydhalah.

- اليم = البحر، سريانية (ابن قتيبة) عبرية (ابن الجوزى) قبطية (شيده الله) Shaydhalah.

- اليهود = كلمة غير عربية معربة من أصل عبرى.

المجموع ١١٩ كلمة غير عربية

ويتباهي السيوطى بأنه أول من جمع هذا العدد من الكلمات غير العربية الموجودة في القرآن، ويقول أيضًا إن القاضى تاج الدين بن السبكى قد وضع شعراً ٢٧ كلمة ثم ابن حجر وقد وضع قصيدة أخرى تحوى ٢٤ كلمة ووضع السيوطى قصيدة أيضا تحتوى على كل الباقى من الكلمات الأعجمية المذكورة في القرآن أي حوالي ما يربو على ٦٠ كلمة أو في النهاية تحتوى هذه القصائد الثلاث على أكثر من مائة كلمة، وذكر السيوطى القصائد الثلاثة كاملة في (الإتقان جـ١ ص ١٤٠، ١٤١، القاهرة ١٩٣٥) ووضعها بنفس الوزن والقافية.

ويخبرنا السيوطى أيضاً أنه وضع كتابا بكامله مخصصاً لهذا الموضوع بعنوان «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب».

وهذه قائمة بما قام به المستشرقون من دراسات حول هذا الموضوع:

- دفـوراك: «حول الكلمات الأجنبية في القرآن» - فينا ١٨٨٥.

- دفوراك: «مساهمة حول مشكلة الكلمات الأجنبية في القرآن» - ميونخ ١٨٨٤.

- س. فرانكل: «المفردات العربية القديمة الأصلية والمحولة عن الأصل في القرآن» - ليدن ١٨٨٠.

- س. فرانكل: «الكلمات الأجنبية الآرامية في اللغة العربية» - ليدن ١٨٨٦.

- س. فرانكل: «الخليط في القرآن» **ZDMG** ٥٦، ٧١.

- هـ. جريم حول بعض أنواع الكلمات المسندة إلى جنوب الجزيرة العربية في القرآن **ZA**، ٢٦، ١٩١٢.

- أرثر جيفرى: «الكلمات الأجنبية في القرآن المعهد الش رقي» «بارودا - ١٩٣٨».

- أ. منجانا: «التأثير السريانى على أسلوب القرآن»، نشره رينالدز - ١٩٢٧.

اقتراحاتنا

لقد بذل هؤلاء الكتاب جهودًا كبيرة لتفسير اشتقاق عدد كبير من الألفاظ الأجنبية التي احتواها القرآن، ونجدهم أحياناً يقترحون عدة اشتقاقات لكلمة واحدة.

ونقترح عليكم الآن تصحيحاً لبعض التخمينات التي قاموا بها وتكملة لقوائمهم.

لقد اكتشفنا مصدراً آخر تناسوه تماماً ألا وهو اللغة اللاتينية، فقد كان للروم حضور في الجزيرة العربية خلال السبعة القرون

التي سبقت ظهور الإسلام، وإن كانت اليونانية منتشرة بشكل واسع بين شعوب هذه المنطقة، فإنه لا يمكن إنكار أن اللغة الرومانية كانت متواجدة بقدر جعلها تدخل في نسيج اللغة المحلية.

وعلينا أن نشير هنا أن كلمة «رومية» تدل على اليونانية واللاتينية على حد سواء.

ولهذا يتعين علينا البحث في هاتين اللغتين كلما ذكر الزركشى أو السيوطى في قوائمهما عن أصل اللفظ رومى، وتوصلنا باتباع هذا المنهج إلى النتائج التالية:

١ - قسط، قسطاس:

نعتقد أن هذين اللفظين وهما في الحقيقة لفظ واحد، ليسا من أصل يونانى ولم يشتقا من كلمة **dikastes** = قاضى اقترح ذلك فولر **Vollers in ZDMG, 1, 63**، ولا من كلمة **extés** اليونانية كذلك، وهي مكيال رومانى مثلما اقترحه مينجانا **Mingana**، حيث أكد مفسر القرآن، وجاء في القائمتين أن كلمة قسط أو قسطاس تعني بالرومية: العدالة، فلا كلمة **dikastés**= قاضى ولا كلمة **Xestés** = مكيال تؤدى إلى هذا المعنى.

لهذا نقترح أن أصل هذين اللفظين القرآنيين يعود إلى الكلمة اللاتينية **Justus** أو **Justitia** (العادل – عدالة) فهذه الكلمة تنطبق تماما مع اللفظين القرآنيين، خاصة لو نطقنا القاف كألف مثل ما هو جارٍ عليه في اللهجة العامية، وشكل الكلمتين قسط وقسطاس مرده إلى ترك أو حذف الحركة الأخيرة في الكلمة

اللاتينية **us**، وهي ظاهرة معتادة في تعريب الألفاظ اليونانية واللاتينية (مثلاً كلمة سقراط **Socratés** تعرب أحيانا بالحركة سقراطيس، وأحيانا أخرى بدونها لتصبح سقراط).

٢ – برج:

هذه الكلمة التي تجاهلها جيفرى **Jeffrey** وآخرون ترجع إلى الكلمة اللاتينية **burgus**، التي تعني الحصن المنيع، والتي استعملها الكاتب العسكرى فيجيتيوس ريناتوس خلال حياته ما بين القرن الرابع والخامس بعد الميلاد في كتابه **Epitoma rai militaria lv. 10.**

٣ – الكهف:

هذا اللفظ الذي تشير إليه القوائم ما هو إلا اشتقاق من الكلمة اللاتينية **Gavea** التي تعني الجوف **Pline I Ancien Naturalis Historia livve XI par** 3.

٤ – قنطار:

إنها كلمة لاتينية أصلها **Genlum Librae**(مكيال قدره ١٠ رطل)، تحولت بعد ذلك إلى كلمة **quintal** أو **quintulium**، ومنها الكلمة الفرنسية **quintal**.

٥ – صراط:

وهي الكلمة اللاتينية **Strata** بمعنى طريق معبد أو طريق كبير (أتروبيوس «نهاية القران الرابع»: مختصر التاريخ الرومانى ط ـ ريل ١٨٨٧، ٩، ١٥، سان أوجستين الخطيب طـ. مايو ٩، ٢١)

تبقى ثلاث كلمات من التي أوضح الزركشى في قائمتيه أنها رومية والسيوطى عن شهيد الله وهم طفقا – رقيم – سرى، وشهيد الله هو اسم عرف به «عزيزى بن عبدالملك» صاحب كتاب «البرهان في مشكلات القرآن»، وقد كان فقيهاً وخطيباً مات في بغداد عام (٤٤٩ هـ/ ١١٠٠م)، وليس هناك أي شخص آخر بنفس الكنية، وليس بإمكاننا أن نجد أصلاً يونانياً أو لاتينياً لهذه الكلمات، ففيما يتعلق بكلمة رقيم يجب أن نشير إلى أنها ترجمت بأشكال متنوعة عند مفسري القرآن المسلمين فقيل هي اسم كلب (الكهف آية: ٩)، وقيل هي اسم مكان في جهة قريبة من الكهف، وأما عند المستشرقين فإن تورى (**Torrey**) يعتقد أن هذه الكلمة تحريف لكلمة **Declus** إمبراطور بيزنطة (٢٤٩ – ٢٥١)، والذي خلال حكمه لجأ هؤلاء الشبان المسيحيون السبعة إلى كهف قريب من «إيفاز» **Ephése**، ويفترض هوروفيتز في (دراسات قرآنية ص ٩٥) أن الرقيم كتابة مكتوبة على جدار الكهف، وهو افتراض خاطىء تماماً مثل افتراض نورى (في دراسات شرقية مقدمة إلى إ – ج براون ١٩٢٢ ص ٤٥٧، ٤٥٩)، أما بالنسبة للفعل طفق والذي اشتق منه المثنى (طفقا) فهو في المعاجم العربية من أفعال المقاربة، إذاً فما الذي دفع شهيد الله أن يبحث له عن أصل يونانى؟

ونقول نفس الشيء عن الكلمة الثالثة «سريّ» فقد فهمت على أنها صفة بمعنى، رائع، بهي، جميل، ولكن في المعاجم العربية لها معنى آخر هو «جدول ماء تحت النخل لريه» (القاموس ال فرنسي العربى كازير مسكى)، وهذا هو المعنى الى تعطيه قائمتا الزركشى والسيوطيى والذي دفع شهيد الله إلى الاعتقاد بأن أصله يونانى أو لاتينى، وفي لسان العرب لابن منظور نقرأ: السرى هو النهر، ويقول ثعلب أيضاً هو «الجدول أو السيل الذي يروى النخيل والجمع أسرية وسريان ذكره سيبويه، وقال ابن عباس سرى هو الجدول، وهذا رأي اللغويين، وقد ذكر أبو عبيد البيت الذي يصف فيه لبيد نخيلاً مزروعاً حول ماء النهر وهو:

سحق يمتعها الصفا وسريه   عُمٌّ نواعم بينهن كروم

وهذا البيت يؤكد أن كلمة سرى دخلت إلى اللغة العربية قبل الإسلام بمعنى جدول تحت النخل يسقيه.

ولقد بحثنا عبثاً عن كلمة إغريقية أو لاتينية تشابه في الكتابة كلمة سرى بمعنى جدول فوجدنا في اليونانية الكلمات

Solén – Hudragogos – Ochetos.

وفي اللاتينية **Canalicus – Inclia – Elicés – Elices –**

Euripus – Rirus – Salonsfossa – Canalis.

ولا تتشابه أي من هذه الكلمات الإغريقية أو اللاتينية مع الكلمة العربية سرى، وربما كانت الكلمة الإغريقية **Solén** واللاتينية **Sculus** الأقرب بين هذه الكلمات، ولكنهما بعيدتان على أي حال عن الكلمة العربية على الأقل عن افتراض التحويل أو التحريف.

***

الفصل الثانى عشر

حول النداء القرآنى «يا أخت هارون»

(أ) رولاند (**Reland**) ودفاعه عن الإسلام.

على هامش دراستى عن الدين عند كانط (المجلد الرابع في تناولنا لمذهبه)، وجدت نفسى منقادًا لدراسة المصادر التي شكلت هذا الفيلسوف فيما يخص الإسلام، والذي خصه بكثير من الجوانب في كتبه[1]، ومن أجل ذلك اهتمت بعمل أدريان رولاند الذي (ولد في هولندا الشمالية ١٦٧٦، ومات في أوترخت ١٧١٨)، وخاصة عمله (الديانة المحمدية، الطبعة الأولى - سنة ١٧٠٥ طبعة أولى. ثانية سنة ١٧١٧)[2].

لقد شدنى في هذا الكتاب اعتداله وعمقه ورأيه الموضوعى جداً تجاه الإسلام والنبي محمد ﷺ بعد هذا الطوفان العظيم من المهاجمين الذين تتابعوا من القرن الثالث العشر وحتى من قبله وإلى نهاية القرن السابع عشر[3].

---

(١) - إيمانويل كانط **Immanuel Kant** الأعمال الكاملة.

(٢) أدريان رولاند **Adriani Relandi** الدين المحمدي كتاب في جزئين يعرض الأول لأصول الدين المحمدي للقانون العربى المطبوع، وبشعر لاتينى وملاحظات توضيحية والثانى يناقش كذب الافتراءات على محمد، برودلت ١٧٠٥.

(٣) انظر العرض القصير جداً ولكنه مفيد لنورمان دانيال بعنوان: **Norman Daniel**: **Islam and the west Edinburg 1958..** الإسلام والغرب إيدنبرج ١٩٥٨

كما كتب أدريان رولاند في رسالة إهداء إلى أخيه بيار رولاند (المحامى في امستردام) كان متعجبا من أنه لو كان الإسلام كما وصفه هؤلاء المهاجمون المسيحيون الأوروبيون فليس من المعقول أن كثيراً من الناس يمكن أن يعتنقوا ديناً عبثياً ولا يمكن أن يفهم أن اتباع محمد كلهم أغبياء وحمقى، كما أنه ليس مسموحاً لنا أن نشك ونحن نرجع إلى آثار وكتابات هذه الملة والتي أخرجت عبقريات وعظماء لم ير العالم مثيلاً لها في أي شعب آخر، إن لم نقل أن العرب والذين ولدوا بفضل هذا الدين امتلكوا ناصية العلم والفنون الجميلة لقرون عديدة لا سيما القرن العاشر بينما ترك المسيحيون كل شيء يذبل ويموت ويتبلد في غربنا»[١].

وقد اهتم بدراسة الدين الإسلامي في المصادر العربية مما سمح له أن يفهم الإسلام بطريقة مختلفة تماماً عن الصورة الراسخة في الغرب، ويقول في هذا الصدد: «يجب أن أعترف بكامل اليقين بعد دراسة عقلانية للديانة المحمدية أننى وجدت لمحمد وجها مختلفا تماما عن الذي قالوه عنه، مما ولد عندي الرغبة في تعريف العالم به وبالألوان التي تناسبه»[٢].

وحين غاص في هذه العقلية وصل رولاند إلى نتائج وأحكام عن الإسلام كانت أدق وأضبط ألف مرة من التي قالها الكتاب المعاصرون، ولو أحسن هؤلاء صنعاً لرجعوا إلى أحكام رولاند قبل أن يدلوا بكثير من أقوالهم.

---

(١) ص ١٦٣ هـ.
(٢) Trad – Citée. PVII.

وكان رولاند كاثوليكيًا، ولكنه لم يبحث عن حقيقة الإسلام من منطلق أن البابويين **Papistes** يقارنون البروتستانت بالمسلمين، بل كان دافعه كما يقول هو: «البحث عن الحقيقة حيثما وجدت، إن إغلاق الباب أمام الأكاذيب من كل صوب مهمة جديرة بالثناء في كل وقت، إذ تكشف للناس عن ديانة منتشرة غير محرفة، لا تثقلها سحب الغيبة والتغليظ، ديانة تظهر للناس بشكلها الحقيقي الذي يلقن في معابد ومدارس المحمدين، من هذا المنطلق فقط يمكننا إذن مهاجمتها بنجاح، وإن لم نستطع تدميرها فإننا نستطيع على الأقل تدمير وجودها في فكرنا».

وهو يسوق مزاعم مشابهات بين اللوثريين (البروتستانت أتباع مارتن لوثر)، والمحمدين لخصها في الدرس التالى.

١ - يفتخر محمد بأنه عنده وحده الإنجيل الصحيح، مما يعني التأكيد بالتمسك بالعهد القديم والجديد واستبعاد ماعداه، ونفس الشيء عند لوثر الذي تجرأ بالقول أن ألمانيا قبله لم يكن لها إنجيل.

٢ - الإسلام ينقسم إلى ٧٠ فرقة، وكذلك الإنجيليون (اسم يطلقه البروتستانت على أنفسهم).

٣ - أمر محمد بألا يحكم على الأمور إلا بمقياس كتبه، وكذلك المارقون أي اتباع لوثر.

٤ - اختصر محمد من الصوم عشرة أيام وجعله شهراً قمرياً واحداً هو رمضان، أما لوثر فلم يغير الصوم فقط بل ألغاه وألغى كذلك كل أنواع الصوم.

٥ - استدل محمد بالأحد يوم الجمعة أما اللوثريون من جانبهم فقد ألغوا كل نوع من الاحتفال بالأعياد.

٦ - حطم محمد الصور، بينما دنسها وداسها اللوثريون.

٧ - سخر محمد من عبادة كل القديسين، وكذلك أتباع لوثر.

٨ - لم يسمح محمد بالتعميد، بينما اعتبره كالڤان أمراً غير ضروري.

٩ - يتخذ المحمديون كثيراً من الزوجات كما يشاءون دون قيد، ويقر هذا السلوك «بوسر» و «وأولمدوب» Bucer et Olemdarp.

١٠ - المسلمون ينكرون أهمية الأعمال الصالحة لغير من قام بها، واللوثريون يؤكدون « أفضل أعمالنا هي الذنوب».

١١ - أخيرًا يرفض محمد حرية الإرادة،وكذلك يقرر اللوثريون (الترجمة السابقة - ص ١١٥، ١١٧ - المقدمة ٥ طـ ١٧١٧).

من المفيد أن نذكر في هذه المحاولة للمقارنة بين الإسلام والبروتستانتية بعض الكتاب المسلمين المعاصرين أو المحدثين[١] ،والذين تخيلوا أنهم قاموا باكتشاف عظيم حين أشاروا إلى أوجه شبه بين الإسلام والبروتستانتية! وهذه المقارنة التي قام بها دوم مارتينو فيفالدوDom Martini Vivaldoوالتي استشهد بها رولاند صحيحة إلى حد ما إذا أخذنا الإسلام والبروتستانتية بصورة مجملة أي دون تمييز الآراء الفردية في داخل كل من الدينين،ولكنها على أي حال تثير الملاحظات الآتية:

---

(١) مثلاً الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد والشيخ أمين الخولى في رسالته لمؤتمر الأديان المنعقد في مدينة ليدن ١٩٣٤م.

(أ) حسب معرفتنا لم يقسم أي مؤرخ للبروتستانتية الطوائف اللوثرية إلى ٧٠ طائفة، بالتأكد يمكن لفيفالدو أن يعد منها ما يشاء، ولكن الرقم ٧٠ لا يمكن حسب علمى أن يكون عدداً «لتنوع الكنائس البروتستانتية» كما هو مذكور في حديث النبي محمد ﷺ الشهير «تفترق أمتى إلى سبعين فرقة (وقيل ٧١،٧٢،٧٣) كلها في النار إلا التي عليها أنا وأصحابى».

(ب) فيما يتعلق بالنقطة (٩) فإننا نعرف أن لوثر نفسه يبرر تعدد الزوجات ورأيه في قضية كارلشتات **Carlstadt** ١٥٢٤ وخاصة في قضايا هنرى السادس **Henri** ولاند جراف توضح مفهومه عن تعدد الزوجات[١] وهو قائم على أن التعدد مذكور مراراً في العهد القديم على أنه مشروع كما أن العهد الجديد لم يدنه صراحه، أما كالفن **Calvin** فقد أدان تعدد الزوجات وفسر حالة البطارقة في العهد القديم بأنها امتياز من الله لشرههم (انظر تعليقه على سفر التكوين ٤:١٩،جـ ٢٣ ص ٩٩)،أما بوسر **Bucer** فأفكاره عن الزواج بصفة عامة تستحق الدراسة عن كثب.

---

(١) انظر في هذا الموضوع:

(أ) ستراف(**Straph**) «مارتن لوثر»: في الزواج.

(ب) زالفيدا: (**Salfeld**) لوثر وتعاليمه عن الزواج.

(جـ) كريستيانى: (**Gristiani**) لوثر واللوثرية الدراسة السابقة (ص ٢٠٧،٢٥٥، باريس ١٩٠٩م).

(جـ) أما عن النقطة الأخيرة والتي تتعلق بحرية الإرادة فهي تصف بدقة مذهب الأشاعرة وأهل السنة بصفة عامة في موضوع حرية الإرادة.

وهنا لا يدحض رولاند ما عرضه فيفالدو، ولكنه يرد بوجود وجه شبه أخر بين المحمدين والكاثوليك وهو ما استخلصه من كلام بيبالدو نفسه وهو يكشف نقاط الالتقاء بين الإسلام والكاثوليكية، ويقول حسب ما ورد عند بوردروك ند: أن«هناك كثيرا من الأشياء يقترب فيها المحمديون منا نحن المسيحيين الكاثوليك».

أولاً: أنهم يعبدون الإله الحق وليسوا وثنيين وإن كانوا لا يعتبرون المسيح ابنه الحقيقي فإنهم على أي حال يقدرونه ويعتبرونه نبياً عظيماً وآخر أنبياء بنى إسرائيل ويعترفون أنه ولد من روح الله ومن عذراء البتول دون تدخل أي رجل، وأنه أخذ من الله القدرة على عمل معجزات مثل شفاء كل مرض وكل عاهة وطرد الشياطين وإحياء الموتى،ويقبلون بصفة عامة كل ما ورد عنه في أناجيلنا،وعلاوة على ذلك فهم يعتقدون أن عيسى نفسه والذي يسمونه **Neich** «يسوع» أنه يعلم وعلم أيضاً كل أسرار القلوب وكل الكتب وكل حكم موسى وكل الأخلاق وكل ما يفعل الناس في منازلهم وكل ما يدخرون في خزائنهم، إنهم يعتقدون كذلك أنه احتقر الثروات، ووبخ على كل ألوان الطمع المقيتة، وقهر كل نوع من أنواع الجهر بالخطيئة.

والمحمديون علموا من معلمهم أن مريم البتول حياها جبريل بقوله هذه الكلمات «يا مريم إن الله اصطفاك على كل

النساء وعلى كل أمهات الأطفال والرجال، وقد وضعك موضع الشرف بين الرجال والملائكة المقربين في جنته».

إنهم يؤمنون أيضاً أنه ما من أحد إلا للشيطان عليه سبيل إلا المسيح وأمه مريم، يالها من شهادة ثمينة وتثير الإعجاب حقاً فيما يخص المفهوم النقى لأطهر وأكرم نفس عذراء.

وعلاوة على ذلك فهم يرتلون مزامير داود مثلنا تماما نحن المسيحيين،وعندما يزورون قبر نبيهم يرون أنهم غير مخلصين كما ينبغي إذا لم يحييو قبر السيدة العذراء.

- وأخيرا إن أراد يهودى أن يدخل في دينهم فإنهم يلزمونه قبل أي شيء أن يؤمن بالمسيح وعلى ذلكيسألونه أو تؤمن بأن عيسى المسيح ولد من عذراء بنفخ الله أو روح الله وأنه آخر أنبياء بنى إسرائيل؟ فإن رد بالإيجاب أصبح محمدياً(الترجمة السابقة ص ١١٩ - ١٢١ = ٧ في الأصل اللاتينى).

ويعلق رولاند على هذا التقارب بطريقة ساخرة وهو يقول لبيبالدو: «بطريقتك الجميلة هذه تكون النتيجة أننا جميعاً محمديون (ص ١١٨ ترجمة،٧ أصل لاتينى).

وتجد أن فيفالدو يلوى عنق الآيات القرآنية ليصل إلى إثبات هذا التقارب ولنتفحص ذلك عن قرب.

(أ) عندما يستخلص من الآية ٤٢ من سورة آل عمران ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فالنتيجة أن القرآن يرسخ المفهوم الطاهر لمريم.

(ب) حين يزعم أن المحمديين يتلون مزامير داود مثل المسيحيين فهذا محض زيف، لأن المحمديين لا يتلون هذه المزامير ولا يعرفونها ولا حتى أنها تتلى عند المسيحيين،إن القرآن لم يحدد إلا اسم«الزبور » وهو الكتاب المقدس الذي نزل على داود مثل التوراة التي نزلت على موسى والإنجيل المنزل على عيسى.

(جـ) يختلق فيفالدو الأكاذيب حين يزعم أن المسلمين حين يزورون قبر نبيهم يجدون أنهم لم يخلصوا كما ينبغي إن لم يزوروا قبر السيدة العذراء؛ لأن المسلمين بداية لا يعرفون أين يوجد قبر مريم، وبالأحرى فإن قبر مريم ليس قريباً من المدينة حيث يوجد قبر النبي محمد، من أين إذاً جاء فيفالدو بهذا البرهان الفاسد؟

(د) ومايقوله فيما يخص اعتناق أي يهودى للإسلام وما يتحتم عليه من الاعتراف أولاً بأن عيسى المسيح ولد من عذراء بنفخ الله أو روح الله فهذا استدلال بسيط منشأه أن كل مسلم يجب أن يعتقد بكل ما جاء في القرآن، إذاً فعند اعتناق الإسلام يجب على كل يهودى يريد أن يسلم؛ أن يؤمن بأن كل ما جاء في القرآن حق ولكن بطريقة مجملة وليس بتفضيل شيء مما جاء في القرآن على شيء آخر.

(هـ) أما عن القضية الأخرى فيما يخص موضوع المسيح فإن فيفالدو يعتبر إلى حد كبير قريباً من الحقيقة.

وكان من الضرورى أن ننتظر بعد ذلك أن دون ماريتنيو ألفونسو فيفالدو بعد أن قام بهذا التقريب بين المحمديين

والكاثوليك لم يجد أي عقبة في أن يقرأ كل منهما الكتاب المقدس عند الآخر ولكن على العكس في نفس الكتاب «قنديل من الذهب في كنيسة الرب يسوع المسيح »، يؤكد أن كتاب محمد لا ينبغي أن يقرأ بل على العكس ينبغي أن يهان ويسخر منه ويلقى في النيران حتى لا نجده في أي مكان (استشهد به رولاند- الترجمة السابقة ص ١٢٥).

ولكن رولاند له رأي آخر مخالف تماماً لهذا الرأي، ليس لأنه يقدر القرآن والإسلام، فهو في هذه النقطة ليس أقل عنفاً تجاه الإسلام من«بيبالدو»، ولكنه يرحب بقراءة القرآن حتى يعرف الدين الإسلامي بطريقة جيدة حتى يستطيع أن يهاجمه بعد ذلك بكثير من النجاح وأن يتغلب عليه في جميع النواحي(الترجمة السابقة ص ٢٢٦)، واعتماداً على قضيته فإنه يستشهد بكلام «مراكشي» المترجم الشهير للقرآن الذي يؤكد في بداية مقدمته أن الدين الإسلامي احتفظ بكل ما هو أكثر عقلانية واحتمالا في المسيحية وبكل ما يبدو في نظرنا موافقاً لقانون وسنة الطبيعة، وقد استبعد من عقيدته جميع ألوان الغموض الموجودة في الإنجيل والتي تبدو لنا غير معقولة وغير مفهومة، كما أنه استبعد من الأخلاق كل المبادئ المتزمتة والتي يصعب على الناس تطبيقها، مما جعل الوثنيين اليوم يشعرون أنهم أكثر ميلاً إلى التنكر لوثنيتهم واعتناق الإسلام بصدر رحب واعتناق الشريعة المحمدية أكثر من الشريعة الإنجيلية.

وفي كتابه «دحض القرآن» يقول «مراكشي» أيضًا وبمنتهي الوضوح: «لقد اعتقدت دائماً أن القرآن والإنجيل حين يعرضان على غير المؤمنين فإنهم يفضلون القرآن على الإنجيل ويجب أن لا نشك في أن كتاب محمد لا يقدم للعقل أفكاراً يصعب على العقل فهمها، لاسيما العقل الفاسد وعدو الغموض فمثلاً لايوجد إلا إله واحد حكيم وقدير، خالق الأشياء كلها ومدبرها، ومخالف للحوادث، ويجب أن يصلى له بخشوع وخضوع، وأن يكون الإنسان متسامحاً مع الفقراء، ويودى مناسك الحج، ويطهر بدنه بالصيام ويحافظ على العدل والوسطية وطيبة القلب والشفقة، وكذلك كل الفضائل السهلة الأخرى، فلا يجوز أن يؤذى إنسان بل يجب أن يحمى من السرقة والقتل والزنا وأى جريمة أخرى أيا كانت، ويجب أن يحتقر كل ما في الدنيا باعتباره عابرا وغير ثابت، ويستمسك فقط بالأعمال الصالحة التي لن يضيع أجرها، وسيكون لنا في النهاية يوم نعود فيه إلى الله لنجزى على ما فعلنا: فالطيبون سيجدون في السماء نعيماً مقيماً ومايشتهون وسيذوق الأشرار في جهنم عذاباً لا نهاية له.

كل هذه المبادئ وكثير غيرها تنتشر في القرآن بطريقة مفهومة وواضحة أكثر من المبادئ الإنجيلية، ومن ناحية أخرى إذا سمع أحد الوثنين كلام أحد المبشرين أن الإله الحق الواحد الذي يتكلم عنه هو واحد وثلاثة، وأن الإله حل في رجل، وأنه فقير،. وأنه عانى وصلب ومات ودفن وكان هو نفسه معجزة، وفي سر القربان المقدس أن سر التوبة ضرورى مطلقاً،وأن

الزواج الأحادى لابد منه، وأن الرباط المقدس لا يفصم، وأن الحياة يجب أن تكون صليباً متصلاً، وأنه يجب أن يحسن الإنسان حتى إلى أعدائه، وأن السعادة الحقة تكمن في أشياء لا تراها العين، ولم تسمعها الأذن، ولم تخطر على قلب الإنسان، وحكم أخرى مشابهة لا تكون في متناول السماع الإنسانى أو تكون صعبة جداً إن لم تكن مستحيلة بالنسبة لحياتنا وحماقتنا الطبيعية، فأى وثني سيسمع هذه الأشياء ويقارنها بمذهب القرآن انظر إلى أي جهة سيتوجه؟»، أى أنه سيتوجه حتماً ناحية الإسلام. ويضيف «رولاند» «إن مراكشي يعلن صراحة أنه لايؤمن أن الإنجيل الذي يعرض بهذه الطريقة على الناس يمكن أن يجتذب إليه أتباعًا، ويقول إن غير المؤمنين يفضلون محمدًا ويعتنقون دينه من كل قلوبهم » (الترجمة السابقة ص ٢٣١،٢٢٧).

هذه الموضوعية في أقوال «مراكشي»[١] تستحق الإشادة فعرضة للعقائد الإسلامية واضح ودقيق ويخلو من الأحكام المسبقة ومن الضرورى أن نركز على رأي المراكشي هذا لأنه قد دُأب على تقديمه بطريقة مختلفة لأنهم لم يكونوا يقرأونه مباشرة من عمله ولكن يكررون كل ما ذكره السابقون مع اختلاق للأكاذيب.

---

(١) لوفيكو مراكشي: (١٦١٢ - ١٧٠٠)،عالم لاهوت ومستعرب درس المراجع العربية ومن أهم أعماله «المقدمة في دحض القرآن» وقد كتب مقدمة لترجمته للقرآن تحت عنوان «القرآن نص عالمى».

نعود الآن إلى رولاند الذي يشرح لماذا يجب أن نقرأ المصادر الإسلامية من أجل فهم الديانة الإسلامية حتى وإن انتهي الأمر بتنفيذها.

وقد خصص فصلاً من مقدمته الطويلة (جـ ١٠) للإشارة إلى أهمية أن نعرف الإسلام مباشرة من مصادره المكتوبة؛ لأن الكتب التي كتبها الأوروبيون ناقصة ومزيفة ومليئة بالأكاذيب، لقد هاجم كتابهم الدين المحمدي بأقل مما هاجموا أوهامهم، ولهذا،والقول لرولاند،سأعطى براهين ساطعة ستجد فيها كل هؤلاء الكتاب كأن لم يفعلوا شيئا،فأحدهم يوظف كل تصوراته عن ما وراء الطبيعة ليوضح على عكس المسلمين أن الله ليس جسداً، ولكن روح، وآخر يثبت بقوة أن الشياطين لايمكن أن تكون أصدقاء الله ولكن أعدءه، وآخر يحاول أن يرينا أن الوضوء البدنى لايفعل شيئاً في تطهير الروح، وأشياء أخرى مشابهة لذلك، وعندما يفكرون بحنق ويفقدون الصواب في هذه النقاط يتصورون أنهم يدحضون بكثير من القوة المحمدية، بينما لا محمد ولا أتباعه يضارون من هذه الآراء المطلقة بلا دليل عليها، ومن هنا فإنهم يهاجمون الصوفية، والتي يسمونها (الحماس الغبى) وفي الحقيقة إنهم لايهاجمون إلا خيالات عقولهم هم (إن كتابنا المناهضين للمحمديين يشحذون عزائمهم بكثير من العناية والحيوية ليس ضد أعداء حقيقيين، ولكن ضد مخالفين وهميين،وسيكون انتصارهم مضموناً ما دام لم ينازعهم أحد(الترجمة السابقة ص ١٥٧)، ولكن حتى نعرف الإسلام من مصادره الأصلية لابد من معرفة اللغة العربية،

وكذلك فإن معرفة اللغة العربية مفيدة في شرح الكلمات الصعبة التي لاتوجد إلا مرة واحدة في الكتابة،مثل الموجودة في كتاب «جـوب» سفر الأنبياء وكتب أخـرى)، إنه يقصد بذلك أن الكلمات الآرامية الموجودة في بعض مواضع التوراة يمكن أن تشرح بمساعدة اللغة العربية، وذلك لعدم وجود الآرامية الآن، وإذا اعترض على ذلك بأن أي كلمة في العربية لها معنى يختلف أحياناًعن معنى الكلمة المقابلة والمجانسة لها في الآرامية والعبرية فإن «رولاند» يوضح ذلك في بعض الأحيان كقاعدة عامة، فإن نفس الكلمات في العبرية والسريانية والعربية لها معان قريبة من بعضها البعض.

ويتكون كتاب رولاند من جزئين:

(أ) الجزء الأول هو طبعة من النص العربى لكتاب العقيدة مع ترجمة لاتينية وملاحظات توضيحية.

(ب) ويحتوي الجزء الثانى على توضيحات عن الديانة المحمدية جاء في ٤١ فقرة،يناقش فيها الآراء الخاطئة التي نسبت لمحمد.

(أ) العقيدة:

لايخبرنا «رولاند» عن المخطوط الذي استعمله في طبعته ويكتفي بالقول: «إنه وجد كثيراً من النظم المبسطة في العقيدة المحمدية وكلها ذات وزن كبير ومن بينها ما ألفه علماء عرب مشهورون جداً ومن بينهم وقعت على هذا الكتاب الذي بدا لي أنه من أكثر الكتب قصراًوتركيزا فلم أجد ما يمنع من ترجمته إلى اللاتينية» (الترجمة السابقة ص ١٧١).

ويبدأ النص العربى هكذا.

«الحمد لله الذي هدانا إلى الإيمان،وجعلنا أهلاً لدخول الجنان، وسترا بيننا وبين خلود النيران، والصلاة والسلام على محمد ﷺ أفضل العباد،الهادى إلى سبيل الرشاد، وعلى آله وأصحابه الأمجاد،صلاة متوالية متنامية إلى أبد الآباد.

أما بعد فهذا بيان صفة الإيمان ومعناه، اعلم أن الإيمان أول ركن من أركان الإسلام كما قال النبيﷺ بنى الإسلام على خمسة أركان»، ثم ينتهي بفصل حول الحجم هكذا.

«باب الحج: وأركان الحج خمسة الإحرام والنية: نويت أن أحج وأحرمت لله تعالى والوقوف بعرفة والحلق أو التقصير بمنى والطواف بالكعبة والسعى بين الصفا والمروة، تم الكتاب».

والمقالة قصيرة جداً ٣٠٥ سطر، ستة كلمات متوسط في السطر، والنص العربى ينقسم إلى فصول بعد الجزء الأول الذي يعرض للجزء العقائدى في الدين وبهذا الشكل سرد:

(أ) باب الطهارة.

(ب) باب الصلاة.

(جـ) باب الزكاة.

(د) باب الصيام.

(هـ) باب الحج.

ويمكن أن نسمى الجزء الأول باب الإيمان وينقسم إلى الفصول الآتية:

(ا) في الإيمان بصفة عامة.

(ب) الإيمان بالله.

(جـ) الإيمان بالملائكة.

(د) الإيمان بالرسل.

(هـ) الإيمان بالكتب.

(و) الإيمان باليوم الآخر.

(ز) الإيمان بالقدر.

لقد اتبع رولاند النص والترجمة اللاتينية بملاحظات قيمة تشهد بمعرفة عميقة لبعض المصادر العربية والفارسية،والتي كان أغلبها غير منشور في عهده، ويضع قائمة بالمخطوطات في آخر كتابه،من هذه المخطوطات ٢٤ من مكتبته الخاصة واثنان من مكتبة امستردام وأربعة من مكتبة سيكة الأستاذ العبرى في كمبردج.

(ب) التوضيحات:

الجزء الثانى من كتاب رولاند هو الأكثر قيمة والأكثر إفادة.

وهو مقسم إلى ٤٠ سؤال وإيضاح حول مذهب محمد في ضوء الآراء التي قيلت عنه: «أولاً عرض الرأي باسم قائليه،ثم كشف خطأه، وبالطبع يكون ذلك من أصل الخطأ نفسه، وأفنده عن طريق حجج لا تقبل المناقشة،ولايكون هذا إلا بتنوع تلك المصادر وصلاحيتها،وكُلى أمل أنيكون المسيحيون في المستقبل أكثر إنصافًا من بعضهم البعض وكذلك تجاه أعداءهم، وأن يتحفظوا في تصديق كل ما يقال لهم من آراء وهمية منسوبة إلى محمد(الترجمة السابقة ص٦٩، ص١٢٨ في الطبعة الثانية للأصل اللاتينى والتي سقناها تحت رمزRL).

وهذه هي عناوين تلك الإيضاحات:

١- هل حقًا يعتقد المسلمون هذا المبدأ «أن كل فرد يمكن أن يكون محفوظًا في دينه إذا عاش حياة خيرة؟»

٢- هل يؤمن المحمديون بإله مجسم؟

٣- هل يؤمن المحمديون بأن الله يفعل الشر؟

٤- هل يعبد المحمديون كوكب الزهرة؟

٥- هل حقًا يعبد المحمديون كل المخلوقات؟

٦- هل ينكر المحمديون العناية الإلهية؟

٧- هل يعتقدون أن الله نفسه صلى على محمد؟

٨- هل ينكر المحمديون الجحيم؟

٩- إلى أي قبلة يتجه المحمديون فيى صلاتهم؟

١٠- هل يتخيل المحمديون أن الوضوء يطهر دنس درن النفس؟

١١- هل في مبادئ المحمديين ما يقول أن الشياطين أصدقاء الله ومحمد؟

١٢- هل هناك ملائكة إناث في رأي المحمديين؟

١٣- هل الملائكة الأبرار يمكن أن يخطئوا حسب رأي محمد؟

١٤- هل يقول المحمديون أن الشياطين لايسمعون؟

١٥- هل المحمديون من أتباع عالم اللاهوت أوريجين؟

١٦- حول الفردوس عند محمد والسعادة الأبدية عند المحمديين؟

١٧- هل ستنقذ النساء من النار حسب رأي المحمديين؟
١٨- هل يذهب المحمديون إلى مكة لزيارة قبر محمد؟
١٩- لماذا كان من المؤكد أن القرآن سمى مريم العذراء أخت موسى؟
٢٠- هل وضع القرآن هامان معاصر مردوخى في عصر فرعون وموسى؟
٢١- هل أنكر محمد أن يكون عيسى المسيح قد مات؟
٢٢- هل حملت مريم حتى تأكل التمر حسب رأي المسلمين؟
٢٣- هل الكلب حيوان نقى عند المحمديين؟
٢٤- هل يعتقد المحمديون أنه يجوز لهم حسب شريعتهم نقض المعاهدات مع غير المؤمنين؟
٢٥- هل يناقض مؤلف القرآن نفسه في القرآن؟
٢٦- هل حقًا يخلط محمد بين فرعون الذي ربى موسى وفرعون الذي اضطهد آخر شعب الله (اليهود) والذي غرق في البحر الأحمر؟
٢٧- هل فعلاً كان محمد سيف سيئ في الجغرافيا بحيث وضع مكة ضمن بلاد الحموتين؟
٢٨- هل ناقض محمد نفسه في القرآن فقال مرة أنه لا يعرف القراءة ومرة أنه يعرفها؟
٢٩- هل ناقض محمد نفسه أيضًا حين قال مرة أنه يهدى الناس إلى طريق السلام ومرة أنه لا يعرف ماذا يكون هو وأتباعه؟

٣٠- هل لايذكر القرآن شيئًا عن الإله الخالق والأبدى؟

٣١- هل مسموح للمحمديين حسب شريعتهم أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء؟

٣٢- هل المحمديون لايحتاطون لأى شىء وهم يغسلون وجوههم؟

٣٣- هل يعتقد المحمديون أن موسى في عداد الملعونين؟

٣٤- هل لايعترف المحمديون إلا بثلاثة أنبياء هم موسى وعيسى ومحمد؟

٣٥- هل يقول محمد أن الإنسان خلق من علق؟

٣٦- هل أنكر محمد خلود الروح؟

٣٧- هل يقول محمد أن من قتل العدو أو قتله العدو لابد أنه ناج من النار؟

٣٨- هل صحيح ما يقال من أن محمدًا قد ربى حمامًا كان يهدل عند أذنه حين تأتيه نوبة الصرع؟

٣٩- هل يؤمن المحمديون بتعدد العوالم؟

٤٠- هل أخذ محمد الختان عن اليهود في عصره؟

(ج) ياكوب إيرهارت وتوضيحاته(Jacob Ehrharth):

ونحن نتتبع هذه العناوين نجد فيها قائمة كاملة بالأخطاء التي ارتكبها علماء اللاهوت المسيحيون الذي كتبوا ضد الإسلام من بداية القرن السابع عشر حتى نهايته، فبالمقارنة مع القائمة التي

عرضها ياكوب إيرهارت[1] بعد ١٤ عامًا في (١٧٣١) نجدها أكثر إلمامًا وأكثر علمية وأثرى. وفي الحقيقة إن كتاب يعقوب إيرهارت مكون من الفصول الاثنى عشر الآتية:

١- محمد شخص عادى يأكل الطعام ويشرب الماء.

٢- الهجوم على محمد من أناس لايعلمون شيئًا.

٣- الجهل باللغة العربية يؤدي إلى إرتكاب أخطاء بحق محمد.

٤- أخطاء جغرافية وتاريخية تتعلق بوطن محمد.

٥- عن محمد ونظم القرآن في عهده.

٦- أخطاء ومغالطات فيما كتب عن محمد.

٧- ما قيل عن الاقتباس والانتحال.

٨- عن تأثير المعجزات.

٩- أخطاء تتعلق بقبر محمد.

١٠- خيالات المحمديين.

١١- التصوير عند محمد وأمثلة عليه.

١٢- عن الصرع عند محمد.

ونجد من خلال هذه العناوين أن هذا الكتاب لإيرهارت لايتناول إلا جزءًا صغيرا من الموضوعات التي عرضها

---

(١) إيضاحات حول الأخطاء الأساسية الغامضة في تاريخ محمد - الكاتب ياكوب إيرهارت.

Deillustrium acobscurorum Erroribus preacipiuis in historia Mahometi eoringue cowsis disser tatis, auto regacob Ehrharth Apud joh paui. Rothium Bibli th. VIM. MDCCXXI.

رولاند،وفي المقابل فإنه يناقش بكثير من التفصيل بعض النقاط التي عالجها رولاند مثل الإدعاء بوجود الصرع عند النبي، وهو يسوقه في كثير من المواضع ويعتقد رودى أنها «مذهب رولاند» (ص٢١)، وإيرهارت يتفق مع رولاند مؤكدًا أن الجهل باللغة العربية سبب في الجهل بأشياء تتعلق بمحمد ﷺ وهويكرس الفصل الثالث لتوضيح هذه الحقيقة، ويوضح أنه كم من الأخطاء ارتكبت بسبب الجهل باللغة العربية، وهذه الأخطاء متعلقة بالكلمات: إسلام - مسلم - القرآن، فكلمة إسلام مرتبطة في ذهنهم بكلمة سذاجة وتشرح كلمة (مسلمين وهي جمع مسلم في الفارسية والتركية) تشرح هكذا: مسلمون ليست كلمة أصيلة ولكنها جاءت من كلمة حرب ثم جملها المحمديون لتدل على معنى إسلام النفس والروح وبذلك جعل لها معنى لطيف وجميل (سال- المخطوط اللايان- كونستات وهيروزدل، الكتاب ٢ ص ٩٢)، والأسخف من ذلك معنى كلمة القرآن الذي يفسرها شوستروس **Schusteus** (هي ٢، ص ٤١) حيث يؤكد أن القرآن خليط عشوائى غير منظم؛ لأن القرآن مصطنع، والتعامل معه تعامل مع عمل يتسم بالفوضى مثل من يقوم بإصلاح الأحذية القديمة غير مسموح أن يقوم بعمل جيد ولايستطيع. ولذلك يقوم بترقيع الأحذية القديمة، مرة بنعل قديم وأخرى بنعل جديد، مرة يرقعها من أعلى ومرة من أسفل وأخرى في المنتصف كما يتعامل مع شخص معتوه».

ولهذا يتفق الكاتبان رولانـد وإيرهارت على توضيح التأثير المشؤم لبعض اليونانيين الذين أشاعوا هذه الأكاذيب واختلقوها،هؤلاء اليونانيون هم البيزنطيون الذين طردوا من الإمبراطورية البيزنطية بعد سقوط القسطنطينية في عام ١٤٥٣، وبدافع من الثأر والكراهية نشروا عن الإسلام دين الترك الذين طردهم أكاذيب محضة، ويسوق إرهارت في هذا الصدد عبارة كروزيو في «مقالات تاريخية حول موضوعات متعددة ص٢١ إننا اليوم أكثر ثقافة عما كنا في القرون السابقة في العقائد وفي مسار الحياة، وفيما يتعلق بالنبي محمد، والأساطير التي نسجها اليونانيون قديمًا عن أصل الدين الإسلامي أصبحت محل شك بفضل شهادات قديمة(ص٤٧)،ويذكر من هؤلاء الإغريقى ثيوفون **Theophone** (ص٤٨).

ويتحدث عنهم رولاند بسخرية - فبعد أن أوضح أن أول شيء سبب هذه الأخطاء في حق الإسلام ومؤسسه هو أن الكتاب الغربيين لايعرفون اللغة العربية ثم يقول: «هذا الجهل من جانب كتابنا الغربيين بالإضافة إلى الحماس الكاذب لبعض صغار اليونانيين الذين كانوا يعيشون بين المسلمين والذين بدلاً من أن يعرفوهم ويدرسوهم ويدرسوا لغتهم المقدسة فإنهم ينسلون منذ زمن طويل بتقديمهم لنا بكل سوء فيه تغذيةً للكراهية والإحساس بالبغض تجاه الأعداء المنتصرين، بينما كان الحماس الديني في جانب آخر ولنتكلم بصراحة فإننا ليس لدينا عن الدين المحمدي إلا أكاذيب وهذا ما دفعني لاتخاذ قرار

ليس فقط لقول الحقيقة باختصار فيما يخص (العقيدة)،ولكن أيضًا لتصحيح بعض ما قيل من خطأ في هذا الصدد(الترجمة السابقة ص٦٨ ،٦٩).

(ح) مريم- يا أخت هارون:

من بين الأربعين سؤالاً الذين أثارهم رولاند في كتابه هناك السؤال ١٩: هل صحيح ما جاء في القرآن من أن العذراء أخت هارون؟ وهو السؤال الذي سنوضحه فيما يلي نظرًا لأنه مثار إلى يومنا هذا، وقد جاء في نص رولاند اللاتينى مايمكن تلخيصه كالآتى:

(أ) يزعم أن محمدا يؤكد في القرآن أن مريم أم السيد المسيح هي أخت هارون وموسى.

(ب) هذا الاتهام موجود أيضًا عند يوحنا الدمشقي في كتاب De Haeresibus (الطوائف)، وقد كرره نيقولا دى كوزا في كتابه «غربلة القرآن» وكذلك جان أندروس في كتابه «التعاليم المحمدية المبهمة» وكذلك هو رئبك واثيمويس زيجابينوس وكثيرون آخرون والذين يقدمون هذه المفارقة التاريخية على أنها ركيزة أساسية لينكروا على القرآن مصدره الإلهي.

(ج) يزعم رولاند أنه من المسموح أن نفترض أن محمدًا كان جاهلاً بالتاريخ وبالترتيب الزمنى لذلك خلط بين عصر موسى وعصر عيسى وساق فيه خطأ بعض الأساطير في ظروف تاريخية مختلفة وبالإضافة إلى أنه سمى نفسه النبي الأمي.

(د) ولكن شيء آخر مؤكد: وهو أن القرآن سمى مريم في الآية ٢٨ من سورة مريم أخت هارون فقال «يا أخت هارون».

(هـ) وإذا سألتنى: ولكن من هارون هذا؟ إن لم يكن أخا موسى؟ فأجيبكم: إن هذا مجرد تأويل قام به المسيحيون، فهو ليس تأويل محمد ولا تأويلي أنا. إن من المحتمل أن يكون لمريم أخ اسمه هارون لم يدون اسمه أي كاتب ولم يذكره سوى القرآن.

(و) وهناك افتراض آخر وهو أننا لن نجد بين المسلمين أناسًا يقولون بأن مريم أخت موسى ظلت حية بمعجزة من الله من عهد موسى حتى عهد عيسى المسيح لتصبح أمًا له.

(ز) وهناك افتراض ثالث ذكره د/ هربلوت في «المكتبة الشرقية» (ص٥٨٣)، وهو أن مريم من عائلة عمران والد موسى وهارون؛ لأنها تنحدر من جهة أمها حنة من عائلة هارون أي من العائلة الكهنوتية فيما يقول الإنجيل «الياصبات» قريبة «مريم» (انظر لوقا ١-٣٦)، وهي منحدرة من عائلة هارون (انظر،لوقا ١:٥) وهذا هو رأي بعض مفسري القرآن المسلمين.

(ح) يضيف هؤلاء المفسرون أن عمران والد مريم كان ابن ماثان وبالتالى فهو عمران آخر غير والد مريم أخت موسى وحسب قولهم يكون عمران هذا هو المعروف عند المسيحين «بيواقيم» زوج القديسة حنة ووالد مريم العذراء أم السيد المسيح إذًا فهناك عمرانان الأول والد مريم أخت هارون وموسى، والثانى والد أم السيد المسيح.

(ط) يذكر رولاند هذه الافتراضات الأربعة دون أن يرجح أيًا منها لأنه ليس منها ما هو مؤكد، ولكن المؤكد لديه أنه لا يمكن الطعن على القرآن بأنه قال: إن مريم أم المسيح هي أخت موسى إذًا فلا يمكن أن يستخرج أعداء القرآن والإسلام شيئًا من هذا القول القرآنى «يا أخت هارون» وكل الاتهامات القائمة على هذه الآية محل شك ولا أساس لها من الصحة.

مناقشة هذه الافتراضات الأربعة

لو ناقشنا هذه الافتراضات الأربعة عن كثب فسنجد الآتى:

١- الاحتمال الأول وهو أن مريم أم عيسى كان لها أخ يسمى هارون وأنه غير مذكور في الوثائق المسيحية أو(اليهودية)،وأن القرآن وحده هو الذي ذكر اسمه، هذا الافتراض وإن كان غير مستحيل في ذاته إلا أنه يفتقر إلى أي مستند آخر لإثباته.

٢- الافتراض الثانى وهو أن مريم أخت موسى وهارون عاشت كمعجزة لمدة أكثر من خمسة عشر قرنًا لتصبح أم عيسى فهذا افتراض عبثى بلا شك.

وأيضًا لم أجده بخط أي مفسر للقرآن، ويمكن أن نتساءل هنا، لماذا يصنع الله تلك المعجزة؟ إن القرآن لم يذكر اسم مريم هذه، أخت موسى ولم يشر حتى إليها.

لماذا إذًا ننسب إليها تلك المعجزة ونضيفها إلى ما ذكر من معجزات عن مريم أم عيسى؟ على أي وجه نوجه هذا الافتراض العبثى!

٣- الافتراض الثالث وهو أن مريم أم عيسى من عائلة عمران والد موسى وهارون هو الأكثر قبولاً، ويستحق دراسة مفصلة وهو ما سنفصله بعد أن نذكر سريعًا الافتراض الرابع.

٤- الافتراض الرابع وهو مثل الافتراض الأول حيث يفترض وجود «عمرانان»: أحدهما والد موسى، والثانى والد مريم أم المسيح والذي لايذكره أي مصدر توراتى، وكل من الافتراضين الأول والرابع بلا دليل (وأوجدتهما احتياجات القضية).

يبقى عندنا الافتراض الثالث وهو الذي سنقوم الآن بدراسته بعمق.

(أ) مريم تنحدر من سلالة هارون:

نبدأ بقضية العلاقة النسبية بين مريم أم المسيح وهارون بن عمران وأخي موسى فعن طريق اليصابات **Elissabeth**، وتنطق بالعبرية اليشيا، زوجة زكريا وأم يوحنا المعمدان(يحيى) كانت من العائلة الكهنوتية فكانت إحدى المنحدرات من نسل هارون كما ذكر إنجيل القديس لوقا (١-٥) «كان في أيام هيرودس ملك يهود كاهن اسمه زكريا من طبقة أبيا وزوجته تنحدر من سلالة هارون واسمها اليصابات»، ويؤكد نفس الإنجيل أن اليصابات كانت قريبة مريم (١-٣٦)، «وها هي اليصابات، نسيبتك»، ومن ناحية أخرى يؤكد القديس هيوليت حسب قول كالكست هست أن أم مريم وأم اليصابات كانتا أختين واسم الأولى حنة والثانية صوبا ويؤكد (الميناجون وهو جدول الشهداء في الكنيسة اليونانية) بنفس الطريقة علاقة النسب بين مريم واليصابات.

وحسب هذين المصدرين للقديس لوقا وهيبوليت .St Hippolyte فإن مريم قريبة اليصابات،وحسب هذا المصدر الأخير لهيولبيت فإنها ابنة خالتها كما يؤكد لوقا نفسه ولايعارضه أحد في هذا الموضوع» أن اليصابات تنحدر من سلالة هارون،ويمكن أن تكون النتيجة أن مريم وابنة خالتها تنحدر من نفس العائلة(هارون) سواء من ناحية الأب أو الأم فهذا لا يهم. (ب) عائلة عمران:

إذا كانت اليصابات ومريم تنحدران من عائلة هارون،وهارون هو ابن عمران فمن حقنا أن نعتبر أن الثلاثة من عائلة عمران، وكذلك أولادهم يوحنا المعمدان (يحيى) ويسوع المسيح(عيسى)، وهذا يشرح لماذا تكلم القرآن في سورة آل عمران عن أم يحيى ومريم ويحيى وعيسى كعائلة واحدة هي عائلة عمران على اعتبار أنهم جميعًا ينحدرون من نسل هارون.

لنطبق إذًا هذا التفسير على المواضع التي ذكر فيها اسم عمران في القرآن (ترجمة س- بلاشير).

١- سورة آل عمران آية ٣٣ ، ٣٤ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٢- نفس السورة آل عمران آية ٣٥ ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

٣- سورة التحريم آية ١٢ ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾.

وتتفق الآية الأولى مع تفسيرنا: فعائلة عمران (آل عمران) تشمل اليصابات زوجة زكريا، ويوحنا المعمدان (يحيى)، ومريم وابنها عيسى، وكذلك موسى وهارون وهم يكونون مجموعة في مقابل آل إبراهيم (عائلة إبراهيم) المكونة منه وولديه إسماعيل وإسحاق والمنتسبين إليهم مباشرة (خاصة يعقوب وولده يوسف).

ويمكن أن نطبق الآية الثانية إذا قصد بالتعبير «امرأة عمران» معنىغير محدد أي امرأة من آل عمران أو يعد عمران هنا اسم عائلة وليس اسمًا لزوجها وبالتأكيد كان من السهل أن يقال «امرأة من عمران».

ونفسر الآية الثالثة هكذا «مريم ابنة عمران» أي «ابنة من آل عمران ».

وقد يسأل سائل ولماذا لم يذكر اسم مريم كاملاً؟ ويمكن أن نجيب قائلين إن اسم والد مريم لم يذكر في العهد الجديد وأقارب مريم لم يعرفوا إلا بالسماع وأقدم الكتابات التي تحكي قصتهم هي الأناجيل غير المعتمدة مثل إنجيل مولد مريم وإنجيل القديس سان چاك، العهد الجديد ١:١ (ص ١٣-٦٧)، ويحكى فيه أن والد آن أم مريم كان كاهنًا يعيش في بيت لحم وأن حنة تزوجت من رجل يسمى يواكيم من الجليل، وظل يواكيم هذا غير معروف، وبعض القديسين- جريحوار من نيس (انظر ٣٣٥، ٣٩٥) -، فهو يحكى هذه القصة أنها مأخوذة من قصة «غير معتمدة» وهي إنجيل القديس چاك، والذي كتب

في القرن الثانى (انظر: قاموس الكتاب المقدس مج ٤ جـ ١ . ٧٩٠)، وإذا كان العهد الجديد لم يذكر اسم والد مريم فيحسن من باب أولى أن نتوقع أن لايذكره القرآن فهو اسم غير معروف، وكل ما يعرف عنه أنه من آل عمران.

(ج) كيف نفسر عبارة: «يا أخت هارون»؟

بقى أن نشرح تعبير «يا أخت هارون» سورة مريم آية ٢٨.

ولكن في رأينا لم يعد الأمـر سهلاً، فقد ذكر رولاند حسب «المكتبة الشرقية» تفسير بعض المفسرين والذين قالوا إن هذا التعبيريعني «يا مريم المنحدرة من عائلة هارون المقدسة».

ولكن برغم صحة هذا التفسير فإن بعض المستشرقين دأبوا على ترديد نفس الاتهام العبثى كما فسرناه حالاً، وقد ذكر بعضها يوحنا الدمشقي (حوالى ٦٧٥-٧٤٩).

ولتكتمل لنا الصورة نستعرض بعض آراء هؤلا المستشرقين:

١- هربرت جريم: محمد(جـ ٢ ص ٩٢ - ٩٣ منستير ١٨٩٥).

«وفي تواصل فترة الشجرة أتم محمد اقتباساته من التعاليم المسيحية عن طريق تعلمه من بعض الشخصيات «العهد الجديد» أمثال عيسى ومريم ويحيى وزكريا وهم من سلالة الأنبياء القديسين، وفي العهد المدني عرف هؤلاء على أنهم مجموعة تشكل العائلة المقدسة تحت مسمى آل عمران وسورة آل عمران آية ٣٠.

وتحت هذا المسمى ذكر سلسلة من المغالطات التاريخية حيث ساوى بين مريم أم عيسى ومريم أخت موسى وهارون وأيضًا أبو هؤلاء الثلاثة عمران المذكور في الإنجيل وعزاه إلى الأب الأصلي لتلك العائلة النبوية المقدسة لدى النصرانية.

٢- يوسف هورفيتز- البحوث القرآنية- يرلين وليزج ١٩٢٦ وذلك في موضعين:

(أ) (ص١٢٨) عمران كاسم لأبى مريم لم يذكر إلا في العهد المدني سورة التحريم آية ٢٢، سورة ج٣ (آل عمران آية ٣٠) وما بعدها تم الخلط والتداخل بينه وبين أبي مريم أخت موسى.

(ب) (ص١٣٨ ، ١٣٩) مريم كأم عيسى ذكـرت منذ الحقبة الثانية للعهد المكي، على سبيل المثال سورة مريم آية ١٦،٣٥،٢٣،٥٢، وسورة ٤٣، آية ٥٧، وكابنة لعمران لم تذكر إلا في سورة آل عمران آية ٣١ وسورة التحريم آية ١٢.

وكلاهما يتبع العهد المدني حيث ذكرت على أنها أخت هارون في سورة مريم آية ٢٨، وهكذا يعود الخلط بين مريم أخت موسى وهارون إلى عهد سابق، ومحمد كان يستخدم نفس شكل النصوص الإغريقية للإنجيل فيما يخص مريم أم عيسى.

«وعرفت مريم في النصوص السريانية (الدنيوية مريم وماريا) كأخت لموسى وهارون واعتبر الاثنان شخصًا واحدًا.

٣- وكان أ. ى- فنسنك أكثر حذرًا من هذين المستشرقين في مقال بعنوان مريم في موسوعة الإسلام (مج٣ ص٣٥٩ الطبعة الأولى) حيث ذكر أن العهدة على الآخرين وهذا ما كتبه:

(أ) «يفترض أن اسم عمران الذي ينطبق بلا شك على الشكل التوراتى لاسم عمران موسى» وكذلك الشأن في أن مريم أخذت لقب أخت هارون(سورة مريم آية ٨) وهذا يؤدي إلى خلط بين مريم ومريم في التوراة: يعتقد سال **Sale** وجيروك **Gerock** وآخرون يظنون أن هذا الخلط مستحيل،وعلى أي حال فإن المسلمين يؤكدون لنا أن هناك مسافة زمنية مدتها ١٨٠ سنة بين عمران التوارة وعمران والد مريم وزوجة عمران أم مريم، وجدة عيسى لا نجد اسمها في القرآن،واسمها حنة في المصادر المسيحية، وكذلك في المصادر الإسلامية، وتذكر المصادر الإسلامية وحدها نسب حنة فتذكر أنها ابنة «فاقوذ» وأخت «إشباع» وهي اليصابات في التوراة.

(ب) ص ٣٦٠ «أما عن كلمات» «يا أخت هارون» يمكن أن نضيف أنه حسب مصادر المفسرين فإن هارون هذا لميكن أخا مريم ولكنه معاصر لها،كان رجلاً شريرًا فقارنوها به أو أنه أخوها الرحيم بها.

٤- ريچيس بلاشير **Regis Blachere** القرآن «ترجمة حسب ترتيب السور» مج٢ (باريس ١٩٤٩) ملحوظة حول آية ٢٨ سورة مريم «يا أخت هارون» وفي سورة آل عمران آية ٣٥ أم مريم تسمى «امرأة عمران»، وفي سورة التحريم آية ١٢ «مريم

ابنة عمران»، مما يتعارض مع المصادر المسيحية التي تتمثل في الأناجيل غير المعتمدة (وهي الوحيدة التي نعرفها في هذا الصدد)،حيث يسمى والد مريم يواكيم، وهذا ما أطال مجادلة المسيحية ضد الإسلام، وربما جعله أشد ضراوة ضد محمد: وفي الطبرى ص ٥٩ «الاعتراض الذي ساقه مسيحيو نجران من أنهم وجدوا خلطًا بين مريم أم عيسى والنبية مريم أخت هارون التي تكلم عنها سفر الخروج، إصحاح ١٥ آية ٢٠ وسفر العدد إصحاح ١٢، آية ١ والخاص بهذا الهجوم.

ويقترح القرآن أن نرى في هارون المذكور هنا شخصية أخرى غير أخى موسى، أو يكون المعنى يا أخت هارون أي المنحدرة من سلالة هارون،حول هذه القضية ونظر مريم «مج م ص ٢٢٩ ، ٢٣».

٥- رودى باريت **Rudi Paret** : القرآن تعليق وتوفيق، فبرلج وكونيتا من شتوتجارت.. الخ ١٩٧١ ملحوظة حول آية ٣٣ سورة آل عمران وهو يكرر نفس الاتهام بالخلط بين مريم ومريم، ثم يبحث عن تبسيط القضية والتقليل من أهميتها قائلاً «لا ينبغي أن يخلط المربون نسب مريم في العهد الجديد وبين مريم في العهد القديم وهذا الموضوع يتعلق أساسًا بالأسماء فلا يمكن أن نناقشه في الحقيقة كقضية الخلط بين ماريا ومريام باعتبار أن محمدًا اعتقد في أي يوم أن عيسى بن مريم هو ابن أخت موسى وأنه في زمانه من نفس الجيل فلم يعتقد محمد بذلك أبدًا.

ولكنه بعد هذا البرهان الصريح والواضح يرجع إلى نفس الاتهام بالخلط حين يقول في سطور تالية .

«ومن الملفت للنظر أنه في نفس النص من سورة مريم آية(٢٨) وما بعدها ذكرت مريم على أنها أم عيسى وأيضًا أخت هارون،وهذايعني أن الله برحمته أرسل هارون لمساعدة موسى أخيه آية ٥٣ ، وهنا ذكر هارون كأخ مريم وموسى.

وهذه الخاتمة كاذبة صراحة لأنه ليست هناك أية علاقة بين الآية ٢٨ «يا أخت هارون» والآية ٥١ التي تنتمي إلى قصة أخرى وهي قصة موسى التي تنفصل تمامًا عن هذه القصة ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾(مريم، ٥١) وفي الحقيقة إن ملاحظة رودى بارت غامضة تحفل بالمتناقضات.

(هـ) الحلول الخمسة التي اقترحها المفسرون:

لو درسنا هذه البراهين الخمسة التي ذكرها العلماء فسنرى أن:

(أ) جريم وهورفيتز لم يفعلا شيئًا سوى ترديد الطعن القديم وهو: الخلط بين مريم أم عيسى ومريم أخت موسى وهارون دون أي دليل إضافي ولا حتى الافتراضات الأربعة التي ذكرها رولاند منذ ١٧٠٥ والتي هي على أي حال غريبة جدًا.

(ب) أما عن فنسنك فإنه يكتفي بعرض آراء الآخرين سواءً منهم من وافق الطعن ومن خالفه، فهو يسوق في نفس الوقت رأي بعض مفسري القرآن المسلمين.

(ج) والجديد عند بلاشير هو أنه افترض أن هذا الطعن ربما كان في حياة محمد، ويرجع في ذلك إلى الطبرى ٥٩ وهو مرجع لم أقف على تأكيده؛ لأن الطبرى بالنسبة له يعني (انظر شرح رموز الكتاب في يديه مجلدًا من ترجمته للقرآن)، التفسير. إذًا فهذا الرقم ٥٩ لا يدل على شيء، وفي الواقع يجب أن نعود إلى ما قاله الطبرى في تعليقه على الآية ٢٨ من سورة مريم (جـ١٦ ص٥١-٥٢. المطبعة الميمنية بالقاهرة).

في الحقيقة يقول الطبرى: «أن لأهل التفسير آراء مختلفة في سر مناداة مريم بيا أخت هارون، وحول من يكون هارون هذا والذي ذكره الله، وقال إنهم أكدوا على أن مريم أخته، ولم يقل أحد منهم يا أخت هارون بمعنى الصلاة لأن أهل الصلاة عندهم كانوا يسمون هارون ويؤكدون أن هارون هنا غير هارون أخي موسى، وهذا الرأي ذكره الحسن عن عبد الرازق ومعمر عن قتادة والذي أكد في معرض حديثه عن «يا أخت هارون» أن هارون هذا كان رجلاً تقيًا في بنى إسرائيل وكان اسمه هارون وقارنوه بها قائلين «يا أخت هارون» لأنها كانت تشبهه في التقوى - ويحكى بشر عن يزيد عن سعيد أن قتادة قال عن الآية ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ (مريم: ٢٨) كانت مريم من عائلة معروفة بالتقوى والسمعة الطيبة ومعروف بين الناس أن المشهورين بالصلاح ينجبون صالحين وأن المشهورين بالفساد ينجبون فاسدين، وكان هارون هذا محبوبًا في قبيلته، وهو ليس هارون أخو موسى،

ولكنه هارون آخر عند ابن سيرين، وقد علمت أن كعب الأحبار قال في معرض حديثه عن «يا أخت هارون» أن المقصود ليس هارون أخو موسى، فقالت له عائشة إنك تكذب. فقال: فرد كعب : يا أم المؤمنين لو قال النبي ذلك فإنه أعلم به من غيره، ولكنى أرى بينهما ألفا ومائتى سنة فسكتت عائشة، وحكى لى يونس عن ابن وهب أن ابن زيد قال في آية «يا أخت هارون» هذا اسم يتفق مع أسمائكم وفي الحقيقة إن بين هارون ومريم أجيال كثيرة من الأمم.

وقال المغيرة بن شعبة: بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران فقالوا لى: ألا تقرأون «يا أخت هارون» فأجبتهم بلى! فقالوا: ألا تعلمون أن هناك فترة طويلة بين عيسى وموسى، أليس كذلك، فرجعت إلى رسول الله وقصصت له ما حدث فأجابنى: كان عليك أن ترد عليهم بأنهم كانت عندهم عادة أن يسموا الناس بأسماء أنبيائهم وقد يسمهم.

ويقول آخرون أن هارون (في هذه الآية) هو هارون أخو موسى ومريم تسمى أخته لأنها منحدرة من سلالته: وفي الواقع أنه يقال لرجل من قبيلة تميم مثلاً أخو تميم أو من مضر أخو مضر، ويقول السدى إن مما يؤكد هذا الرأي في موضوع «يا أخت هارون» كانت مريم من بنى هارون أخى موسى كما تقول يا أخا بنى فلان.

وقال آخرون: ولكن هارون هذا كان رجلاً فاسقًا ظاهر الفسوق فألحقوها به على سبل المشابهة.

ويقول أبو جعفر الطبرى: إن الرأي الصحيح هو المروى عن رسول الله والذي ذكرناه آنفًا وهو أن مريم سميت أخت هارون نسبة إلى رجل من قومها».

وحسب نص الطبرى فإن الآراء فى «يا أخت هارون» يمكن أن تقسم إلى طائفتين:

(أ) رأي يقول إن هارون المقصود ليس هو أخو موسى.

(ب) ورأي آخر يرى أنه أخو موسى.

وفي الطائفة الأولى يمكن أن نميز بين ثلاثة آراء:

١- رأي الذين يقولون إن هارون كان رجلاً صالحًا في بنى إسرائيل وكانوا ينسبون إليه كل من هو معروف بالصلاح.

٢- ورأي الذين يقولون إنه رجل فاسق ظاهر الفسق أرادوا أن يقارنوا مريم به لأنهم افترضوا أنها زنت حين ولدت ولدًا دون أن تتزوج.

٣- الرأي الذي يؤكد أن مريم كان لها أخ حقيقى يسمى هارون وكان رجلاً صالحًا في بنى إسرائيل (وأثبت هذا الرأي الفخر الرازى في تفسيره جـ ٤ ، ص ٣٧١).

والطائفة الثانية التي تؤكد أن هارون في تعبير «يا أخت هارون» هو أخو موسى الحقيقي يؤيد رأيهم بقولهم إنه تعبير لغوى استعارى بمعنى «منحدرة من سلالة هارون» كما نقول لرجل من تميم يا أخا تميم أو من مضر يا أخا مضر».

والرأي الأول أيده قتادة وكعب الأحبار وأبو زيد والمغيرة بن شعبة.

أما الرأي الثانى فإن الطبرى لم يحدد من يؤيدونه إلا أن ابن كثير في تفسيره جـ م ص ١١٩ يقول إنه رأي سعيد بن جبير.

ولكن الرأي الرابع من الطائفة الثانية ذكره السدى.

ولكن ما هو رأي الطبرى، إنه يقول أن الرأي الراجح هو المروى عن النبي، وهو أن المقصود ليس هارون أخو موسى ولكنه رجل صالح من قوم مريم.

ولكن فخر الدين الرازى في تعليقه على الآية ٢٨ من سورة مريم يؤكد العكس حيث يقول أن النبي قال إن هارون المقصود في هذه الآية هو النبي هارون، ومريم من ذريته «فالتعبير يا أخت هارون» يقصد به ببساطة مثل التعبير «يا أخا همذان» أى يا من أنت من هذه القبيلة[1] أما عما رواه الطبرى وعزاه إلى المغيرة ابن شعبة عندما بعث إلى أهل نجران فإننا نجد نفس القصة في صحاح ثلاثة هي: صحيح مسلم والترمذى والنسائى (انظر تفسير ابن كثير مج د القاهرة ١٩٥٤) من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن سماك، وقال عنه الترمذى: حديث حسن صحيح غريب.

ولو صحت قصة المغيرة بن شعبة هذه فإنها يمكن أن تقلب كل معطيات قضيتنا:

(١) فخر الدين الرازى – التفسير (مج ٤ ص ٣٧١ط بولاق – القاهرة ٨٨٦٢).

(أ) لأنها تعني أن الاتهام بالخلط التاريخى سيكون قد حدث والرسول ما يزال حيًا.

(ب) ويكون يوحنا الدمشقي ما فعل غير ترديد اتهام قديم قيل قبله بمائة سنة ولكن إذا صح أن هذا الاتهام وجه من قبل المسيحيين العرب في حياة النبي محمد ﷺ فيمكن أن نتساءل، بل يجب أن نتساءل لماذا اختلفت آراء المسلمين حول هذا الاتهام وقد عددنا من آرائهم عند الطبرى أربعة (ت ٣٠٩هـ)، وسنرى آخرين، كيف يحدث هذا الاختلاف وقد أعطى النبي ﷺ الإجابة الوحيدة الصحيحة: ولم يكن أمام المسلمين إلا أن يذكروا تلك الإجابة إلى كل من يتجرأ ويسوق نفس الاعتراض.

بالتأكيد كان من الطبيعى أن يسوق المسيحيون واليهود من باب أولى هذا الاعتراض فور سماعهم هذه الآية ٢٨ من سورة مريم وآيتى آل عمران وقد نزلت كلها في العهد المدني، ولكن لم يصلنا شىء عن اعتراض المسيحيين أو اليهود في المدينة، لماذا إذا يثير نصارى نجران زعمهم هذه المفارقة التاريخية؟ والقرآن الكريم الذي كان متأهبا للرد على اعتراضات اليهود والنصارى لماذا لم يذكر عن ذلك كلمة واحدة ولم يغير النص بآية ناسخة بدلاً من الآية محل الطعن والخلاف؟

كل هذه التساؤلات تؤكد في رأينا أن القصة والحديث المتعلق بها والذي رواه المغيرة بن شعبة غير صحيحة وأنها اختلقت لتؤكد لنصارى القرن الثانى والثالث الهجريين والذين أثاروا هذا الاتهام أنه اتهام فنده ودحضه النبي نفسه.

«حلنا للمشكلة»:

نرى أولاً أن المشكلة لم تثر في حياة النبي ﷺ لسبب بسيط وهو أن نصارى ومسيحى المدينة لم يروا في الآية «يا أخت هارون» أى مشكلة لأنهم مهتمون أنها تعني «يا منحدرة من نسل هارون» كما كانوا معتادين هم وغيرهم من العرب على هذه التعبيرات مثل «يا أخا بنى فلان» بمعنى يا من انحدر من سلالة فلان، ولم تكن قد أتت إلى مخيلتهم تلك الفترة الزمنية والتي ذكرها كثير من المستشرقين(١) من أن محمدا لم يكن يعرف أن بين هارون ومريم أم عيسى فترة طويلة من الزمن، وهو شيىء لا يهم أحدًا في المدينة في هذه الفترة، وقد كان اليهود على الأقل هناك ليعرفوا كل الناس بذلك.

ومن جانبنا يمكن أن نضيف إلى الأمثلة التي ذكرها الطبرى لشرح معنى هذا التعبير «يا أخا فلان يا أخت فلان» الأمثلة الآتية:

١- في القرآن نقرأ في سورة هود آية ٥٠ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، ولهذا يترجم بلاشير كلمة أخاهم بمعنى «ابن قبيلتهم» (جـ، ص٤٤١)، وهذا مثال واضح مأخوذ من القرآن نفسه ليوضح أن كلمة أخ أو أخت يمكن أن تستعمل بمعنى «عضو في القبيلة - أو واحد منهم».

٢- وفي خطبة مشهورة لعلى بن أبى طالب- رضى الله عنه- في كتاب نهج البلاغة يذكر بيتا من الشعر مصدرًا بقوله «كما قال

(١) من بين أحدث من قالوا بذلك نذكر موريس جودفروا ديمومبين في كتابه «محمد» ص٣٨٤ ، ١٩٥٧ حيث خفف من غلواء زعمه حين تكلم بصفة الشرط فقال: «قفد يكون محمد قد ظن أن التوارة والإنجيل نزلا في نفس الفترة».

أخو هوازن» ويقصد به دريد بن الصمة والذي كان من قبيلة هوازن.

٣- ويقال أحيانًا عن الحجاج بن يوسف الثقفى «أخو ثقيف» لأنه من قبيلة ثقيف.

٤- ومن الشائع اليوم أيضًا حتى في مقالات الصحف والمجلات حين تعنف أحدًا بهذه الألفاظ: «يا أخا العرب» بمعنى يا أحد أعضاء الأمة العربية.

ويمكن أن نجد الكثير والكثير من الأمثلة من هذا في أعمال العرب في كل العصور، ولهذا أكدنا في بداية هذا الفصل أنه ليس هناك أسهل من أن تشرح تعبير «يا أخت هارون» بمعنى «يا منحدرة من سلالة هارون» لأن هذا التفسير لغوى واضح جدًا لمن يعرف اللغة العربية جيدًا ويعتاد على مصطلحاتها.

ولكن يمكن أن يثور هنا اعتراض قوامه: لماذا ينادى القرآن الكريم مريم في هذا الموضوع بيا أخت هارون؟ والإجابة أن الأمر يستلزم توبيخًا يوجه إلى مريم لأنها وضعت طفلاً دون أن تتزوج، وهذا التوبيخ يكون أكثر قسوة إذا كانت من عائلة مقدسة فكلمة «هارون» هنا جاءت لتذكرها بخطورة ما اقترفت من الإثم، وهذا التوبيخ معبر جدًا وبليغ جدًا وهذا يتطابق مع البلاغة القرآنية والتي يعد الإيجاز أهم عناصرها.

إذا فنحن نؤيد أنه في زمن النبي محمد ﷺ لم يثر قول «يا أخت هارون» أى مشكلة لا من جانب اليهود ولا النصارى ولا المسلمين من باب أولى لأنهم فهموه بهذا المعنى «أى يا

منحدرة من نسل هارون»!

والذي يثير الدهشة حقًا أنه لا الطبرى ولا فخر الدين الرازى أيدا هذا التفسير؛ فالأول لا يؤكد هذا الرأي والثانى يفضل عليه الرأي الثالث وهو أن مريم كان لها أخ حقيقى يسمى هارون وكان رجلاً تقيًا من أتقياء بنى إسرائيل، ووجه التعنيف إلى مريم مصحوبًا باسمه «ليكون التوبيخ أكثر إيلامًا لأن من كانت لها تلك القرابة وأخ مثل هذا الأخ تكون خطيئتها أكثر خطرًا»[1].

«الرأي الغريب للقرظى»:

ولكن ما لم يقله أحد من المفسرين وهو أغرب الآراء ما قاله محمد بن كعب القرظى وهو ينحدر من قبيلة يهودية بالمدينة طردها وشردها النبي ﷺ وهم بنو قريظة، وهذا الأصل يشرح رأيه، ومحمد بن كعب القرظى هذا يزعم أن مريم هي «أخت هارون أمًا وأبًا وهي أخت موسى وقد اتبعت نهج موسى وأتت بشريعته» وينهض ابن كثير مج ٣ ص ١١٩) للرد بقوة على هذا الرأي ويقول: «هذا الرأي بيّن الفساد، لأن الله يقول في كتابه أنه أرسل عيسى بعد الرسل مما يعني أن عيسى كان آخر المرسلين وليس بعده إلا محمد، وقد ثبت في صحيح البخارى عن أبى هريرة أن نبي الله قال «أنا أولى من غيرى بعيسى بن مريم فليس بينى وبينه نبي»، وإن صح ما ادعاه محمد بن كعب القرظى فلن يكون بعده من الأنبياء إلا محمد، ويكون قبل سليمان بن داود،

---

(١) فخر الدين الرازى - التفسير (مفاتيح الغيب) سورة مريم آية (٢٨ ص٢٧١ طبعة. بولاق - القاهرة).

لأن الله قال: إن داوود كان بعد موسى في هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ثم قص القصة حتى قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ (البقرة : ٢٤٦ - ٢٥١)، ومما شجع القرظى على هذا الرأي ما وجد مكتوبا في التوراة بعد خروج موسى وبنى إسرائيل من البحر وغرق فرعون وقومه، فيقول القرظى: «عندئذ قامت مريم ابنة عمران وأخت موسى وهارون النبيين بالضرب على الدف هي ونساء أخريات معها يسبحون الله ويشكرونه على فضله الذي أولاه بنى إسرائيل، ويعني القرظى إذًا أن مريم هذه أم عيسى، وهذا خطأ خطير جدًا.

في الحقيقة أن أم عيسى تسمى مريم وكانت هذه عادتهم وهي أن يسموا بأسماء أنبيائهم وصالحيهم.

ونص ابن كثير هذا هام في كشفه لنا عن كاتب هذا الخلط بين مريم أخت موسى وهارون ومريم أم عيسى وهذا الكاتب ليس إلا محمد بن كعب القرظى، وهو يقتبس قصة مريم من سفر الخروج، صحاح ١٥ آيات ٢، ٢١، ونقرأ فيه:

«أخذت مريم النبية أخت هارون وموسى الدف فى يدها وخرجت كل النساء في أثرها بالدفوف يرقصن ومريم تنشد لهم «غنوا ليا والذي بعظمته قذف الفارس والفرسان في البحر».

ولكن إذا كان القرظى على علم تام بالتوراة فكيف ينخدع بهذه الصورة ويخلط بين مريم أخت هارون وموسى ومريم أم

عيسى؟ هذا ما لا يمكن فهمه.

ويمكن أن نتساءل هنا إذا لم يجب أن نفترض في هذا الصدد أن القرظى ليس مصدر الرأي الذي عرضه رولاند في اتهامه بزعم وجود خلط بين المريمين (مريم ومريم) فإنه لا الطبرى ولا الفخر الرازى ذكرا هذا الرأي المنسوب إلى محمد بن كعب القرظى، وهو المصدر الوحيد الذي وجدناه فيه ولد فى (٧٠١هـ/ ١٣٠١م) توفى (٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)، وبالطبع فهو متأخر جدًا، ولكننا لا نجد عنده التفسير بالمعجزة، وهي إمكانية أن تكون المريمان مريم واحدة هي أخت هارون، والتي عاشت كمعجزة حتى الزمن الذي يجب أن يولد فيه عيسى، ويرويه رولاند عن جاد جنولو في كتابه «تقريظ الدين المسيحي ضد أحمد بن زين العابدين بن الفارس (ص ٢٧٩) فيليب جاد جنولو (ماجليانو أبردز ١٥٩٦، حوالى ١٦٥٦)، وهو مستشرق إيطالى كان مدرسًا للغة العربية في جامعة روما وألف كتابا في النحو العربى عنوانه «الأساسيات المختصرة للغة العربية» نشر في ١٦٤٢ وقاموسا عربيًا بعنوان «نظريات في المعاجم العربية» وهو ما يزال مخطوطًا، وقد كتب أيضًا كتبًا دفاعية مثل: الدفاع عن الدين المسيحي ١٦٣١، وملاحظات ضد الدين المحمدي ١٦٤٩، وساهم في ترجمة التوراة إلى العربية (التوراة العربية ١٦٧١).

وما يهمنا هو «الدفاع عن الديانة المسيحية» والذي كتبه ردًا على شخص يسمى أحمد بن زين العابدين الفارسى الأصفهانى،

والذي كتب بالفارسية كتابات بعنوان «صاقل المرآة»، والذي كان بدوره حضًا لكتاب بعنوان «مرآة مرئية الحق»، وقد نشره في روما عام ١٦٣١ وفي سنة ١٦٣٧ نشره متنوعًا بترجمة عربية تحت هذا العنوان «إجابة القسيس الحقير فيليبس كورانولوس الراهب من رهبانية» يقال لها بلغة الفرنجى كلريكوس مينور، إلى أحمد الشريف بن زين العابدين الفارسى الأصفهانى.

والجزء الذي يهمنا في الطبعة اللاتينية هو الآتى:

بعد أن عرض الطعن بوجود خلط بين المريمين (مريم ومريم)، ساق إجابة المسلمين في هذه الكلمات:

«لقد وجدت عند المحمديين إجابة على هذه المفارقة التاريخية تقول أنها ليست مريمين ولكن مريم واحدة ظلت كمعجزة من زمن موسى حتى زمن عيسى المسيح لتحمل بالمسيح، ويستشهدون في ذلك بمصادر مسيحية حتى وقتنا هذا بهذه الطريقة على المفارقة التاريخية بالخلط بين المريمين». وحسب ألفاظه نفسها فإنه حتى لم يجد هذه الإجابة للمسلمين عند أحمد بن زين العابدين الأصفهانى خصمه، فهل وجدها في مرجع عربى (أو فارسى)؟، أيًا كان الأمر يمكن تأكيد ذلك لأنه لم يعطنا أي معلومات في هذا الصدد، هل قرأ تفسير ابن كثير في الموضع الذي ذكرناه؟ ولكن هذا الموضع لا يخبرنا عن بقاء إعجازى لمريم أخت هارون حتى زمن عيسى، هل كان هذا خلاصة لرأي ابن كعب القرظى؟ ولكن عمن أخذه؟ لابد أنه أخذه عن مؤلف مسلم، لأن جاد جنولى يعزوه إلى المسلمين يجب علينا إذًا أن نبحث في جانب المؤلفين المسلمين لا سيما

الذين كانوا يجادلون النصارى المدافعين عن دينهم.

وقد ظن أن جاد جنولى نفسه أحد المجادلين الأوربيين قد اخترع هذه الاستشهادات، فهي لا تبعد عن الروح التي كتب بها دفاعه، وفي الحقيقة لا نجد عنده إلا قليلاً من المراجع من مصادر المسلمين: فهو مثلاً يذكر (ص ٩٧) من النص اللاتينى (ص ٥٥٧) من الترجمة العربية كتابين غير معتمدين بعنوان «كتاب هاجر وكتاب تاريخ الإمام»، ويعزو إلى محمد كتابًا بعنوان «تاريخ الأنوار» (ص ٥٦٠ ت عربية ٣٠٣٠ - أصل لاتينى)، ويزعم بطريقة أكثر عبثًا أن محمدًا ﷺ ألف كتابًا يحتوي على ١٢ ألف حديث فسأله بعض المسلمين إذا كانت كل أحاديث الكتاب صحيحة فأجاب: إن ثلاثة آلاف فقط هي الصحيحة (ص ٥٨٣ع - ٢٨١ لات)، فهو يخلط الأوراق هنا، ويعتقد أن كتب السنة ألفها محمد بنفسه وأنها كانت موجودة ككتب مؤلفة في زمن النبي نفسه.

إن جادينولو أستاذ اللغة العربية بجامعة روما كان جاهلاً كما كان سيىء النية ولا يمكن أن نستخرج من كتابه «الدفاع عن الدين المسيحي» شيئًا ذا بال.

(ج) ابن كثير وحجته اللغوية التاريخية:

لنقل بعض الكلمات عن القرظى صاحب الرأي الفريد الذي خلط بين مريم أخت موسى وهارون ومريم أم عيسى.

ويسمى أبو حمزة محمد بن كعب بن القرظى، وقد ذكر

السمعانى نسبه الكامل، وهو محمد بن كعب بن سليم بن عمرو ابن لعس بن جعن بن قرظه بن عمران بن عمير بن قريظة بن حارث، وهو من المدينة، وقد روى الأحاديث عن ابن عباس وابن عمرو وزيد بن الأرقم، وكان من أعظم رجال المدينة في علمى الحديث والفقه، ومات بالمدينة سنة ١٠٨ أو ١١٧[١].

ولم يمكنا جمع مزيد من المعلومات عنه، وحتى نتعرف بدقة على اتجاهاته يجب أن ندرس الأقوال المنسوبة إليه في تفسير القرآن حتى نرى إذا ما كانت هذه التفسيرات القرآنية مصطبغة بما يسمى «الإسرائيليات»، وهي القصص المأخوذة من التوراة أو من الأجادا أو من التلمود.

على أي حال فإن رأيه في مريم (مريام)، فُند على الأقل من قبل ابن كثير كما أوضحنا آنفًا لأنه يعتمد على مخالفة تاريخية واضحة حيث يعني أن داوود وسليمان جاءا بعد عيسى وهو ما يتعارض مع القرآن نفسه لأن القرآن يؤكد أن داوود وسليمان جاءا بعد موسى كما أكده ابن كثير في الآيات ٢٤٦-٢٥١ من سورة البقرة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ حتى ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ ترجمة بلاشير.

وحجة ابن كثير هذه، والتي ساقها استنادًا على القرآن نفسه، ساقها أيضًا جورج سال في ملحوظة[٢] حول سورة آل عمران

---

(١) انظر السمعانى - الأنساب. ط. د - س مرجليوث - ليدن ١٩١٢ (بدون ترقيم).

(١) القرآن والمسمى جملة «قرآن محمد» ترجم إلى الإنجليزية حديثًا من الأصل

بهذه الكلمات «إن عمران أو عمران اسم لشخصين مختلفين حسب مصادر المسلمين، أحدهما كان والد موسى وهارون، والثانى كان والد مريم العذراء (الزمخشرى - البيضاوى)، ولكن بعض الكتابات المسيحية تسميه يواقيم، والمفسرون يعتقدون أنه إما الأول وإما الثانى هو المقصود بيواقيم في هذا الموضع، وعلى أي حال فإن الشخص المقصود في النص هو الثانى باتفاق، وهو المذكور مع مريم أم عيسى، والتي جاء اسمها مصحوبًا بهارون (القرآن سورة مريم) وبنت أخرى كانت تسمى أشيا أو اليصابات تزوجت زكريا وكانت أم يوحنا المعمدان، إذًا فحسبما يقول المسلمون يكون عيسى ويحيى أو يوحنا المعمدان أولاد خالة.

ومن شخصية الأسماء التي تخيلها الكتاب المسيحيون بصفة عامة، وهي أن القرآن خلط بين مريم أم عيسى ومريم أو مريام أخت موسى وهارون، فلو كانت هذه المفارقة التاريخية صحيحة لكفت وحدها لهدم الادعاء بصحة هذا الكتاب[1]، ولكن لأن محمدًا قد يكون جاهلاً بالتاريخ القديم وتسلسل أحداثه فقد ارتكب هذا الخطأ الفادح، وحتى الآن لا أرى كيف يمكن أن نخرج ذلك من إطار كلمات القرآن.

العربى مع ملاحظات توضيحية مأخوذة من أكثر التفاسير اعتمادًا تأليف جورج سال (ص٣٨) (من الترجمة) لندن ١٧٣٤.
(١) انظر رولاند: محمد الحقيقي (ص٢١١) - مراكشي (ص١١٥).

ولا يتبع ذلك لأن شخصين نفس الأسماء ليس بالضرورة أن يكونا نفس الشخص، وعلاوة على ذلك فإن هذا الخطأ الذي لم يتأكد بعدد آخر من الأخطاء في مواضع أخرى من القرآن فينتج من ذلك أن محمدا كان يعرف جيدًا بل ويتأكد أن موسى سبق عيسى بعصور عديدة - ويؤكد المفسرون ذلك حيث يقولون بفاصل جعلوهما أتباع أشخاص مختلفين الأول ابن شيار إزهار[١] ابن كاحاث بن لاوا، والثانى ابن ماثان[٢] ، ولكنهم عرضوا نسبه بطريقة غير دقيقة من لدن داوود حتى كروم[٣] .

---

(١) الخروج ٦، ١٨.
(٢) الزمخشري - البيضاوى.
(٣) رولاند (السابق ٢١١).

يمكن أن نلاحظ أن مريم العذراء تسمى في القرآن[١] أخت هارون ولم تسم أخت موسى التي قد تكون ظلت حية بمعجزة منذ زمنه حتى زمن يسوع المسيح بغية أن تصبح أم عيسى[٢].

هذا الرأي الحكيم في مجمله والحافل بالمعلومات هو أكثر الآراء موضوعية ونجاحًا من الناحية العلمية أكثر مما وجدنا بأقلام جريم وهورفيتز وفنسنك وجود فروادیمومبین وباريت ومستعربين آخرين كثيرين بعد قرنين من الزمان، إن كاتب هذا النص حقق نجاحًا إذا قسناه برولاند لأنه يتخذ موقفًا ويدافع عن رأية بحجج صحيحة منطقيًا ولغويًا مستفيدًا من رولاند والمفسرين المسلمين أمثال «الزمخشرى في الكشاف والبيضاوى فى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)».

ولا يمكن أن نحدد ما إذا كان سال قد قرأ الحجة الموجودة في تفسير ابن كثير لأنه هو نفسه لم يذكر ذلك وقد يكون توصل إلى هذه الحجة بطريقة مستقلة.

***

---

(٤) سورة مريم.
(٥) ف. جاذنيولو (ضد أحمد - السابق ص ٢٧٩).
Gaadagno 10 A Pology prorel. Chri. Control Ahmad Ebn Zeid el Abedin P. 279.

خاتمة

وبعد هذا الحديث المستفيض نصل إلى الخلاصة:

١- إن العبارة القرآنية ﴿ يَـٰٓأُخۡتَ هَـٰرُونَ ﴾ (مريم آية: ٢٨) لا يعني سوى «يا سليلة هارون»، فالاتهام بالزنا، والذي رمى به اليهود مريم أم المسيح أصبح أكثر شناعة قياسًا إلى أنها من عائلة مقدسة، ويؤكد «لوقا» هذا النسب لأن مريم قريبة الياصبات أم يوحنا المعمدان، كما يؤكد هيوليت أن اليصابات بنت خالة مريم كما تؤكد المصادر المسيحية هذه القرابة.

٢- وبهذه الطريقة فهمه يهود ونصارى المدينة والجزيرة العربية، ومن وجهة النظر اللغوية فإن استعمال أخ أو أخت أو يا أخا أو يا أخت وبعدها اسم عشيرة أو قبيلة أو بلد يكون بمعنى يا سليل هذه العشيرة أو هذه القبيلة أو البلد وهو استعمال كان وما يزال شائعًا في تاريخ اللغة العربية، وقد أشار إليه الطبرى وتبعه كثير من المفسرين المسلمين، وقد ذكر لذلك أمثلة عديدة ونحن أيضًا ذكرنا أمثلة أخرى من القرآن نفسه ومن كلام الكتاب الكبار وهي أمثلة تصل إلى حد الوفاء بالموضوع وأكثر.

٣- نعتقد أيضًا أن تعبير «يا أخت هارون» لم يثر أية مشكلة في حياة النبي، وما ذكره مسلم والنسائى والترمذى مع تحفظ لما ذكره الطبرى في موضوع الحوار الذي دار بين المغيرة بن شعبة الذي أرسله النبي إلى نجران وأهل تلك البلاد هو في رأينا مختلق لتأييد أن هذا الاعتراض أجاب عنه النبي نفسه.

ومن ناحية أخرى مما ذكره الطبرى وأيده فخر الدين الرازى

من أن مريم كان لها أخ يسمى هارون مرفوض لعدم استناده على أي معطيات تاريخية.

٤- ويمكننا أن نتساءل ما الذي جعل الأول يصيغ هذا الاتهام بالمخالفة التاريخية أو الخلط بين مريم أخت موسى وهارون ومريم أم عيسى؟ إن أول كاتب مسيحى ذكر ذلك هو يوحنا الدمشقي (ت ٧٤٩)، وإذا لم يكن هو صاحب هذا الاتهام فيمكن أن نعزوه إلى مسيحى الشام في نهاية القرن الأول الهجرى والسابع الميلادى أو الثلث الأول من القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى)، حيث جمعه يوحنا الدمشقي وأورده في كتابه **Haeresibus**.

٥- ومن خلال هذا يصبح هذا الاتهام واحدًا من الاتهامات الموجهة دائمًا إلى القرآن والنبي محمد منذ القرن الثامن حتى يومنا هذا من قبل رجال دين وأيضًا بعض العلماء في مجادلاتهم ضد الإسلام ودراساتهم العلمية وملاحظاتهم.

٦- وحتى نجيب على ذلك فحديث المغيرة بن شعبة مختلق ومنتحل وأورده بعض المنتحلين والمؤرخين.

٧- وحجة أخرى غير الحجة «السنية» نجدها عند ابن كثير، وهي حجة عقلية قائمة على النقد التاريخى، وهي أنه من المستحيل أن يورد القرآن تلك المفارقة التاريخية وهذا الخلط بينما يحتاط للفارق الزمنى في آيات أخرى وهو الفارق بين زمن هارون وزمن مريم أم عيسى.

وهذه الحجة القاطعة تبعها جورج سال في ملحوظة في

هذا الموضع من الترجمة الإنجليزية للقرآن والتي ظهرت في ١٧٣٤، ويؤكد أنه من المستحيل أن يقع القرآن في هذا الخلط بين مريم أم عيسى ومريم أخت موسى وهارون لأن هذه المفارقة تكون حسب هذه الألفاظ متعارضة مع كثير من المواضع القرآنية ويبدو فيها محمد على دراية تامة بأن موسى يسبق عيسى بعصور عديدة.

٨- إذًا فمن الغريب جدًا أن نجد جريم وهورفيتز وفنسنك وبلاشير وجود فروا ديمومبين وباريت، حتى وهم يتحفظون ويستعملون الشرط يكررون نفس الاتهام دون أي دليل ودون أن يتحملوا عناء مناقشة الحلول التي اقترحها المفسرون المسلمون وأيدها بعض الكتاب الأوربيين أمثال رولاند وچورچ سال، وعندهم أن هذا الاتهام حكم مسبق لا دليل عليه.

ويمكن أن نفهم مثل هذا الموقف من قساوسة ورجال دين ومبشرين مثل يوحنا الدمشقي ونيكولا دى كوزى **Nicholas de Cuse** وجودنيولو **Guodanolo** وغيرهم، لكننا لا نفهمه عندما يتعلق الأمر بعلماء يفترض فيهم الموضوعية وعدم الانحياز.

الفصل الثالث عشر
«قضية هامان»

من أحد المشاكل التي أثارها منتقدو القرآن هي تلك المتعلقة بهامان، والذي ذكر اسمه في القرآن ست مرات كمساعد ووزير لفرعون، وهذه هي الآيات التي ذكر فيها اسمه:

١ - ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾

(القصص: ٦).

٢ - ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾

(القصص: ٨).

٣ - ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

(القصص: ٣٨).

٤ - ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾

(العنكبوت: ٣٩).

٥ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾

(غافر: ٢٣، ٢٤).

٦- ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾

(غافر: ٣٦، ٣٧).

من هذه الآيات يتضح أن هامان لابد أن يكون وزيرًا لفرعون، ولهذا فإن قدامى مفسري القرآن أكدوا أن هامان كان وزير فرعون مصر الذي كان له مع موسى قصة، والمشكلة الوحيدة التي تثور هنا في هذه الآيات ما إذا كان هامان قد بنى فعلاً هذا الصرح، فالبعض يؤكد أن الصرح قد بنى فعلاً، ويحكى أن هامان استدعى ٥٠ ألف بناء لإنجاز هذه المهمة حتى تم الصرح.

وعندئذ صعد فرعون عليه ثم رمى السهم نحو السماء فتحولت إلى بقع من الدم وعندئذ قال فرعون: «لقد قتلت إله موسى»، بينما يرى بعض المفسرين الآخرين أن فرعون لم يبن هذا الصرح لأنه حسب قول الفخر الرازى أي شخص عاقل يستبعد أن يفكر في صعود برج أيًا كان ارتفاعه ليقترب من السماء، وفي الحقيقة أن من يصعد جبلاً عاليًا يرى السماء أبعد مما يراها من على الأرض، أى رجل عاقل يعرف تمامًا أنه لا يمكن عمل سهم يلمس السماء، وكل من حاول القيام بعمل مثل هذا يعد مجنونًا، فلا يمكن حسب الدين ولا حسب العقل أن نفسر هذه الآيات بطريقة يرفضها العقل بالضرورة، وكذلك يؤكد الرازى أن التفسير الأكثر تصديقًا هو أن نقول إن فرعون أعطى تلميحًا ببناء هذا الصرح لكنه لم يبنه في الحقيقة، وقول

فرعون بهذه الكلمات ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ (غافر: ٣٦ ، ٣٧)، «كان هذا من باب السخرية ليثبت أنه من المستحيل إثبات وجود إله موسى وإلا سيطلع إلى السماوات ليتأكد إن كان ذلك ممكنًا، وأى ارتفاع على أي برج حتى أعلى ارتفاع ممكن، وبهذا التفسير الرائع استطاع فخر الدين الرازى[١] أن يلقى الضوء على عبثية كلام فرعون.

ولكن لا أحد من المفسرين المسلمين أثار أية مشكلة فيما يتعلق بشخصية هامان، وهذا يقتضى أنه لا أحد من النقاد المسيحيين أو اليهود للقرآن فكر في إثارتها وإلا لوجدت إجابة واضحة من المدافعين المسلمين عن القرآن، وفي الواقع أنه لا أحد من المجادلين المسيحيين من لدن يوحنا الدمشقي حتى عصر النهضة أثار هذه المشكلة فيما يخص هامان[٢] ولكننا نجد ذلك فقط في المجادلات المسيحية الحديثة.

وحتى لا نذهب بعيدًا في تاريخ المجادلة المسيحية في هذا الموضوع نكتفي بكلام تيودور نولدكه **"Thedore Noldeke"** المستشرق الألمانى الشهير في مقال نشر أولاً في الموسوعة البريطانية الطبعة التاسعة (مج ١٦ ص ٥٩٧ حوالى عام

(١) فخر الدين الرازى، تفسير القرآن - القاهرة (جـ٢٤ ص٥٣)، وتوجد مسودة من أصله عند عبد الجبار، تنزيه القرآن (ص ٣١٠).

(٢) عادل تيودور خورى **Adel - Theodre Khoury** - علماء اللاهوت البيزنطيين والإسلام، لوڤان ١٩٦٩.

١٨٨٧[١] حيث يقول: أكثر جهلاء اليهود لا يمكن أن يخلطوا بين هامان (وزير أحشويروش) وهامان وزير فرعون (لمحات السابق ص٣٠).

هذا البرهان القاطع لنولدكه يقتضى الملاحظات الآتية:

١- من أي جهة زعم أن هامان في القرآن هو نفس هامان المذكور سفر أستر (١٣ -١ -١٥ ،٧) المقرب من الملك أحشويروش ملك الفرس وزوج أستر، فلا في التوراة ولا في الأساطير اليهودية الأجادية[٢] ولا الأخرى فليس لهامان هذا قبله ببناء البرج الشهير ببابل (سفر التكوين الإصحاح ١١، ١-٩)، والذي يبدو أنه بنى بعد الطوفان بقليل وبعد نزول نوح ومن معه، ومن ناحية أخرى فإن عاصمة شوشن كانت قلعة شوش في سوسيانا وهي في أرض فارس أصلاً وليست لها أية علاقة ببابل أو بابليون (سفر أستر ١ ، ٢-٣)، وهامان هو ابن همداثا من بلاد الأجاجى (أسنير ٤-١)، وهي بلاد قديمة مجهولة، إذن فالتوراة التي زعم أنها مصدر القرآن في هذه القضية لا تربط هامان لا ببابل ولا ببرج بابل، من أين يأتي إذًا الخلط إن وجد بين هامان وزير الملك أحشويروش وهامان المذكور في القرآن؟

---

(٣) مذكور في كتابه «لمحات من التاريخ الش رقي ١٨٩٢ ص ٢١، ٥٩».

(١) هي القسم التاريخى من العهد القديم الذي ينقسم إلى:

(أ) الهالاخاة (العقيدة)　　　(ب) الآجادة (التاريخ).

ولكن نولدكه لا يحاول إثبات قضيته التي لا برهان عليها وهو شيء مدهش من جانب رجل يشعر بأنه «عالم كبير» وأحد أعمدة الاستشرق!

٢- وإذا كان الأمر كما قال من أن أكبر جهلاء اليهود بالمدينة لم يخلط بين هامان وزير أحشويروش وهامان وزير فرعون، ومحمد بالتأكيد قد سمع من فم هؤلاء الجهلاء اليهود هذا الاعتراض وصحح هذا الخطأ الكبير المزعوم، وهذا الخطأ من المفترض أن لا يبقى في النص القرآنى المنقول بعد ذلك، بينما هذا النص موجود في القرآن منذ نزوله حتى اليوم.

إذًا فافتراض نولدكه خطأ محض وعبث.

وافتراض آخر ليس أقل عبثًا من هذا وهو افتراض موريس جودفروا ديمومبين، فبعد أن ذكر الآيات السابقة على هذا الشكل المختصر الآتى: «وقال فرعون يا هامان أوقد لي على الطين فاجعل لي صرحًا لعلى أطلع إلى إله موسى» ثم قال هذه ذكرى نورانية ولا تخلو من خلط، فهامان هذا كان معروفًا بأنه عدو لدود لليهود: وفي الآية القرآنية له صلة بفرعون وقارون أغنى رجل في الأرض وهم ثلاثة مسهم الشيطان كما سجل الشعر العربى القديم[١].

هذا النص ليس واضحًا لأنه يخلط بين الشخصيات الثلاثة ولا يحدد في أي شيء يكون هذا الخلط الذي يتحدث عنه،

(١) موريس جودفراو ديمومبين – محمد – باريس (ص٣٦).

وهو أقل وضوحًا من نولدكه، ومن ناحية أخرى فإن القول بأن هامان كان معروفًا بأنه عدو لدود لليهود لا يوضح لماذا اعتبر في القرآن وزيرًا لفرعون، فلقد كان لليهود أعداء آخرون ألد منه أيضًا ومذكورون في التوراة ولكن القرآن لم يذكر عنهم شيئًا، ومن باب أولى لم يلحقهم بفرعون.

إذًا فكلام جودفراو ديموبين أكثر غباءً وينم عن غموض مطبق في تفكيره.

بعد أن بينا وجه الحق في مزاعم نولدكه وجود فروا ديمومبين الآن ما هي تلك المشكلة الكاذبة في موضوع هامان:

في رأينا أن هامان المذكور في الآيات القرآنية الستة المذكورة آنفًا ليس اسم شخص، ولكنه لقب للكاهن الأكبر لفرعون، فلقد علمنا من تاريخ مصر أن الكاهن الأعظم لآمون تقلد بدءًا من الأسرة التاسعة عشر سلطة كبيرة من الفرعون انتهت بأنه سيطر على النيل الأعلى وأصبح قائد الجيوش ونائب ملك (كوش) والخازن الأعظم للإمبراطورية والمسؤول الأعلى عن أبنية الآلهة [1] في الواقع أصبح وزير فرعون في كل الأعمال العامة والأموال[2]، ومن بين الألقاب التي أطلقت على الوزير بتاح حتب نذكر «مراقب جميع أعمال الملك» (المرجع السابق) إذًا فالكاهن الأعظم لآمون كان يشغل منصب وزير فرعون.

---

(١) انظر أ. هـ برشتد، تاريخ مصر (ص٥٢).

(٢) دوما – حضارة مصر الفرعونية باريس ١٩٦٥ ص١٥٨.

واقترحت الآتى: اسم (هامان) في القرآن موافق (اسم آمون)، والتقارب بين الاسمين سهل جدًا لأن آمون ينطق أيضًا «آمانا» (انظر الموسوعة البريطانية جـ١ ص٣٢١ ط١٩٣٢) ويقصد به اختصارًا الكاهن الأعظم، كما يعني لقب «فرعون» ملك مصر فإن لقب هامان يعني في المصادر الشفوية وزير فرعون.

وبافتراضات هذا يتضح بجلاء وبسهولة القول بأن الذي في القرآن وهو وزير فرعون الذي كانت له قصة مع موسى يسمى (هامان)، ولا توجد أي مشكلة هنا في هذا الموضوع، وكل الانتقادات الموجهة في هذا الصدد فاسدة ومغرضة.

ولكن نولدكه في هذا الجزء من (لمحات - ص٣٠) يبدو سيء الفهم، فبعد نقده المتعلق بهامان ومريم يقول «بالإضافة إلى هذه الأخطاء فهناك تحريفات متنوعة حسب المزاج وإحداها خطيرة جدًا وتتعلق بمحمد نفسه فبناء على جهله بأى شيء خارج الجزيرة العربية فإنه يتكلم عن خصوبة مصر حيث المطر أحيانًا لا يرى وأحيانًا لا يفتقد، فالاعتماد على المطر يعد بديلاً عن فيضان النيل (يوسف ٤٩).

هذا النقد قبيح وسخيف وينم على جهل مطبق لدى نولدكه - الشهير جدًا وعن جهل باللغة العربية وكذلك بشؤون مصر:

١- أولاً الآية التي يستشهد بها هي هكذا "

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾

(يوسف: ٤٩).

يغاث تعني يسعف[1] وليس الكلام هنا صريحًا عن المطر، ولكن نولدكه وقع في الخطأ بسبب مترجمين أوروبيين للقرآن، والذين ترجموا هذه الكلمة على حريتهم بدلاً من أن يترجموها اعتمادًا على بعض المفسرين المهتمين بشرح وتسهيل فهم النص مثل السيوطى، وحتى هؤلاء المترجمين الأوربيين قرأهم نولدكه بشكل سيئ ومتسرع، فمثلاً ترجم چورچ سال هذه الآية هكذا «ثم يأتي بعد ذلك عام سيمطر للناس مطرًا غزيرًا ويؤدي ذلك إلى أن يصنع الناس الخمر والزيت»، ثم تسرع في ملحوظة تحت الصفحة ووجه نقدًا من نوع نقد نولدكه فيقول: «برغم أن بعض الكتاب القدامى كتب عن التناقض (أفلاطون وبوحب) فلو كانت تمطر غالبًا في الشتاء في الدلتا وأحيانًا تلاحظ ثلوج تسقط على الإسكندرية مخالفة لما قاله (سنيكا) (Nat Quaest . ١٤)، وفي الصعيد عند شلالات النيل تمطر في أحيان كثيرة، ومع ذلك يفترض البعض أن الأمطار المذكورة يقصد بها تلك التي تسقط على الحبشة أثناء فيضان النيل[2].

إن المصريين الذين يعيشون في الدلتا والوجه البحرى يعرفون تمامًا أن الجو يمطر بغزارة في الشتاء خلال شهر إلى أربعة شهور (من ديسمبر إلى مارس) وأن زراعة القمح والشعير

---

(١) انظر تفسير الرازى (مج ١٨ ص ١٢٥، وأبو حيان مج ٥ ص ٣١٤).

(١) القرآن مترجم على الإنجليزية من الأصل العربى (جورج سال) وظهرت هذه الترجمة عام ١٧٣٤.

متوسط المطر الذي يسقط على الإسكندرية وشمال الدلتا يقدر بـ ٢٦ ملليمتر (٨ بوصة)، وعلى القاهرة ٣٣ ملليمتر، انظر سوجات، أفريقيا لندن، هارب ١٩٧٤.

والفول .. إلخ تعتمد تقريبًا على المطر الذي ينزل في هذا الفصل، وأعرف تمامًا أن نولدكه لم يغادر أوربا ولم تطأ قدمه خلال حياته الطويلة (١٨٣٦-١٩٣١)، أى بلد عربى أو إسلامى، فمن أين كانت مصادره للدراسات العربية والإسلامية! ولكن ألم يقرأ ترجمة القرآن لسال والمشهورة جدًا في القرن الثامن عشر، يبدو أنه يهذى، إن خطأ نولدكه هنا مزدوج : فهو لم يفهم النص العربى للآية (٤٩) من سورة يوسف، ثم إنه يؤكد أنه في مصر لا يُرى المطر ولا يفتقد، وهو خطأ عظيم لا يرتكبه أي طفل مصرى.

المحتويات